جامعة البعث
كلية الهندسة المعمارية
قسم التصميم المعماري



الاتجاه الفكري لتوظيف الموروث المعماري
في العمارة العربية المعاصرة

رسالة أُعدّت لنيل درجة الماجستير في التصميم المعماري
الهندسة المعمارية

إعداد المهندس

مهند حسان الباكير

بإشراف

الأستاذ الدكتور: معتـز عبارة
كلية الهندسة المعمارية – جامعة البعث

الأستاذ الدكتور: عهـد خـزام
كلية الهندسة المعمارية – جامعة البعث

2010

فهرس المحتويات:

- **الفصل الثالث: كيفية تعامل الغرب مع التراث.**

<u>فهرس الأشكال:</u>

مقدمة:

مع بداية القرن العشرين كانت الحرب العالمية الأولى التي انتهت بسقوط الخلافة وسقوط البلاد العربية في براثن الاستعمار الغربي مما جعل المثقف العربي يشك في قوة تراثه وحضارته التي انهزمت أمام التكنولوجيا والعلم الغربي. مما ساعد على تسارع السباق باللحاق بالركب الغربي تاركين خلفهم تراثهم ولغتهم ودينهم ومعتقداتهم وأزياءهم وفنونهم.. فلما أدرك المثقفون العرب زيف السراب الغربي وان العيب فينا وليس في تراثنا عدنا لنبحث عن هذا التراث فلم نجده لأننا أضعناه حينما تركناه. والحقيقة أن للغرب فضل كبير في لفت انتباهنا إلى تراثنا.
إن نمط الحياة السائد اليوم في معظم المدن العربية إنما هو أقرب للحياة الغربية بمجمل النواحي ، مما يستوجب علينا كمعماريين ومفكرين أن نراعي هذه الجوانب الحياتية السائدة دون الاستغناء عن الطابع والهوية المعمارية المحلية .
إن الكلام عن التراث والعمارة العربية لا يزال كلاماً عاطفياً وسطحياً، فالرجوع إلى التراث لا يكون في الحجر الأبلق ولا في استعمال القوس أو الزخرفة، بل إن العمارة العربية الموروثة هي فكر ومضمون قبل الشكل ، فالتراث يكمن في نمط الحياة.

نحن نعيش اليوم عصراً جديدا تتسارع فيه الأحداث والتطورات الثقافية والعلمية، حيث أصبحت العولمة تشكل محورا أساسيا لتداخل الثقافات وانصهار المجتمعات. مع ما للعولمة من ايجابيات فإن لها تأثيرات سلبية على ثقافة المجتمع وهويته المحلية. وفي هذه الفترة الحرجة من تاريخ البشرية نحن أحوج إلى استلهام ثقافتنا العريقة وتراثنا المميز، والعمل على تأصيل واستيعاب عناصر تراثنا العريق والمساهمة بذلك في بناء حضارة المستقبل.
ويعد التراث العمراني احد أهم مقومات المحافظة على الثقافة والهوية المحلية لكونه شاهدا على تراكم خبرات المجتمعات عبر تاريخها، وأساسا يبنى عليه مستقبل هذه المجتمعات. ولذلك فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى أن نستوعب هذا التراث بالحفاظ على القليل الذي تبقى و إعادة تأهيله.
لقد تنامى الاهتمام بالتراث العمراني بشكل متزايد في السنوات الأخيرة الماضية لما اتضح من أهمية اقتصادية كبيرة لمواقع ومنشآت التراث العمراني، وخاصة لاقتصاديات القرى والمدن الصغيرة. وقد لعب النمو الهائل للسياحة الدور الرئيسي في جذب الاهتمام لهذا المورد الاقتصادي المهم. [1]
فالدعوة إلى العناية بالعمران المحلي لا يجب أن تتعامل مع المظهر فقط، بل يجب أن تؤكد على ارتباط العمارة بالتنمية الثقافية والإنسانية والاقتصادية والمحافظة على البيئة. وأود أن أؤكد هنا أيضا على أن التراث العمراني ليس نقيضا للمعاصرة، بل إحدى الدلائل على نضوج المجتمعات في هذا العصر.

جدلية البحث " الإشكالية":

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في أن معظم الدراسات التي اتجهت نحو تحليل التراث العمراني في المدينة العربية القديمة كان موجهة نحو التعرف على أهم السمات المعمارية والعمرانية التي تشكل منها هذا التراث في البيئات المختلفة ، مع استنباط أهم المفردات المعمارية التي يمكن الاستفادة منها في العمارة المعاصرة . في حين أنه من الأفضل أن تتجه الدراسات نحو التعرف على القيم التصميمية التي أفرزتها عملية التصميم المعماري للمباني التراثية . ليصبح التعامل مع فكر معماري يقبل التطور، وليس مع مفردات جامدة اختلفت في معظم الأحيان من بيئة عمرانية إلى أخرى، واختلفت أصولها ما بين كونها مبتكرة في العمارة التراثية وما بين كونها متطورة عن عمارات سابقة .

هدف البحث:

تهدف الدراسة في هذا البحث إلى استنباط أهم الملامح التي ميزت الفكر التصميمي للعمارة التراثية ، وتوضيح الكيفية التي تم بها صياغة هذا الفكر الموروث، و تقديم إطار فكري عام نحو تفعيل الاستفادة من ملامح هذا الفكر التصميمي في عمارتنا المعاصرة بما يتوافق مع ظروفنا الاجتماعية والبيئية، من خلال تقييم وتحليل بعض النماذج التي يمكن أن تساهم في تحقيق هذا الهدف.

منهجية البحث:

اتخذت الدراسة المنهج التحليلي كوسيلة بحثية، ولذا فقد تحددت الخطوات المنهجية التالية كأساس منهجي للدراسة في هذا البحث :

الخطوة الأولى: القاعدة النظرية، من خلال تعريف الموروث المعماري والعمارة العربية التقليدية، والاتجاهات المعمارية السائدة في الوطن العربي.

الخطوة الثانية: التحليل والاستنباط، من خلال استخلاص أهم ملامح الفكر التصميمي لعملية التصميم المعماري في العمارة التراثية، وأهم الثوابت والمتغيرات في الموروث المعماري.

الخطوة الثالثة: التطبيق العملي، من خلال تحليل تجارب عالمية في طريقة تعاملهم مع التراث، وتجارب معمارية عربية رائدة في مجال توظيف الفكر المعماري الموروث في العمارة المعاصرة .

الخطوة الرابعة: النتائج البحثية، وتضم أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة والتوصيات والمقترحات.

الفصل الأول: واقع العمارة العربية المعاصرة.

1-1 تعاريف:

إن السؤال الذي يطرح نفسه: هل يوظف التراث في العمارة العربية المعاصرة؟ أم يــهمل؟، هل التراث شيء مقدس يجب تقليده ؟ أم أن التراث شيء قد مضى وانتهى ينبغي قطع الصلة معه. أو أنه كنز يرجع إليه أو بعض وقت الحاجة؟ أو أن نستمر في الإضافة إلى التراث عن طريق ما يتركه السلف للخلف .
فللإجابة على ذلك ينبغي تعريف التراث والحداثة، ومعرفة الثوابت والمتغيرات في العمارة والعوامل التي تؤثر عليها.

1-1-1 الموروث: وهذه الكلمة تعني لغةً الميراث، من أصل ورث. وكلمات الورث والإرث والميراث والتراث تعني كل ما يورّث. وقيل الميراث في المال والإرث في الحسب والمجد وأصبحت الدلالة الاصطلاحية للتراث تعني كل ما يتصل بالإرث الحضاري من فكر وعلوم وعادات وثقافات، بحيث ارتبط مفهوم التراث بشخصية الأمة وخصوصيتها وهويتها. [5]

وعلى هذا الأساس يمكننا تحديد بعض الاتجاهات التي تشكل التراث، وهي:

أ - الموروث المادي: بأشكاله المختلفة من عمارة تمثل الأزمنة المتلاحقة كما تمثل الوظائف الاجتماعية والرؤية الفكرية. وقد ساعد تطور علم الآثار خلال السنوات المائة الأخيرة في بلورة هذا اللون من التراث المادي الذي هو تراث الحجر كشاهد على فلسفة عصر من العصور بكل أبعادها وتجلياتها.

ب - الموروث الروحي: أو التراث غير المكتوب، ويتمثل في منظومة القيم والعادات والتقاليد، والثقافة الشفوية من حكم وأمثال ودلالات لفظية متميزة خاصة بالبعد المكاني والزماني، وهي تختلف بين بنية وأخرى. والفولكلور الشعبي بما فيه من تراث موسيقي وغنائي وأهازيج ونكات وحكايات.
وعلى ذلك فإن لكل أمة تراثها الخاص بشقيه المادي والروحي وهو الذي يمنحها شخصيتها وهويتها وتميزها.

2-1-1 الحداثة: أما الحداثة فتعني لغوياً ما هو ضد القديم، وقد اصطلح الباحثون على مفهوم يتصل بالعمليات التي تتم لإحداث تبدلات في المجتمع تدفعه إلى الأمام، وهذه العمليات تصطدم عادة بالرؤية القديمة أو التقليدية، فينشأ صراع الأصالة والمعاصرة، أو التراث والحداثة. [5]

وهذا المفهوم يطرح بعض التساؤلات، وأهمها:
أ ـ هل من الضروري أن تكون الحداثة هدماً لكل ما هو قديم وإلغاء لكل ما هو تقليدي؟.
ب ـ هل عرف تاريخ الحضارة العربية الإسلامية دعوات للتغيير والتحديث أم بقي في حالة جمود حضاري مقيت؟.
ج ـ هل من الضروري فهم الحداثة على أنها النموذج المنبثق عن الحضارة الغربية في رؤيتها للكون والحياة؟. وهل من الضروري فرض هذه الرؤية على كل ما يخالفها من رؤى وفلسفات وتصورات؟.
د ـ هل يرتبط مفهوم التجديد بمفهوم الإبداع؟، أم هو مجرد تغيير تسميات لمسميات قديمة بأخرى حديثة؟. أي هل التجديد توليد معان حضارية مبتكرة؟، أم هو تجديد تسميات لمعان تقليدية؟.

وفي حالة الوطن العربي والعالم الإسلامي تباينت المواقف من مفهوم الحداثة الغربي، ويمكن تلخيص هذه المواقف فيما يلي:
أ ـ الانبهار بالحضارة الغربية والدعوة إلى قبول كل ما يرد منها في شتى المجالات التقنية والإنسانية والفكرية.
ب ـ الرفض المطلق لكل ما يرد من تلك الحضارة.
ج ـ رفض الفكر الغربي، والقبول بالتقنيات والإنجازات الصناعية والعلمية.
د ـ التوفيقية المرنة في التعاطي مع آفاق الحضارة الغربية في مجالات الفكر والتقنية والإنجازات المختلفة.

وقد أدى اللهاث المتسرع وراء الحداثة الغربية خلال القرن العشرين إلى نتائج كارثية بالنسبة للتراث، لأن التيار المنبهر بالحداثة الغربية فهم تلك الحداثة إلغاء للماضي بأشكاله المادية والروحية، والانطلاق في مضمار الرؤية الغربية وقيمها وتقاليدها.
وكان من أخطر ما نجم عن ذلك ما قمنا به من هدم وتدمير لأوابدنا العمرانية والمعمارية في سياق إعادة تخطيط مدننا وفق آراء الخبراء الغربيين الذين استقدمناهم بالإجلال والتقديس، وقمنا بشق الشوارع في المدن القديمة وهدم آلاف الأبنية التراثية من مدارس وأسواق وجوامع ودور باذخة، وقمنا بمركزة الأنشطة الإدارية والاقتصادية في قلب المدينة القديمة، مما استدعى الإيغال في الهدم والتوسع. في الوقت الذي كان فيه الأوروبيون يعيدون ما هدمته الحرب العالمية الثانية على الشكل الذي كان عليه قبل الحرب.
وهكذا غابت معالم مدننا القديمة... كالقاهرة ودمشق وبغداد وسواها الكثير.. وبدلاً من أن نتوسع في الأراضي الممتدة خارج نطاق المدينة القديمة رحنا نهدم تلك المدينة لنقيم مكانها علب الكرتون الإسمنتي، ونلغي ذاكرتنا المعمارية الحضارية وقد تم الانتباه إلى خطر ما

فعلنا، ولكن بعد أن سبق السيف العذل، ولكن كثيراً من المدن حافظت بنسبة تقل أو تكثر على خصوصيتها الحضارية المعمارية مثل فاس وتونس وحلب وأصفهان والقيروان وغيرها.
وفي المقابل كانت هناك دعوات إلى الانكفاء على الذات وتقديس الماضي ورؤية التراث ككائن متحجر لا حياة فيه.
وقد فهم كثير من الحداثيين أن التراث المكتوب مجموعة من الأوراق الصفراء البالية التي تضم الأذكار والأدعية والفتاوى القديمة المترهلة، وبالتالي، فإنهم قد أداروا ظهورهم لكل مكونات هذا التراث المكتوب وتوجهوا صوب النص الغربي داعين إلى ربط الثقافة العربية بركاب الثقافة الغربية كسبيل وحيد للتطور والنجاة.

2-1 ضياع الهوية المحلية :

إن الإحساس بالمكان هو العنصر السابق و اللاحق للإحساس بالزمان و كلاهما المكونان لهوية العمران فإذا فقد أحدهما ضاعت الهوية المعمارية المكانية (أي المحلية)، و صار العمران معبر عن الزمان دون التعبير عن المكان وما نراه في هذا القرن و في نهاية القرن الماضي هو سيطرة الطراز العالمي على مختلف مجالات الحياة و من بينها العمارة والعمران، فتوحدت طرق البناء و مواد البناء و المنفذون للمباني و توحد الأثاث و اللباس[6]

و هكذا تختفي من المدينة عناصر الهوية المكانية وظهرت محلها عناصر مكانية عالمية فرضتها حركة التجارة العالمية التي تسوق لإلغاء الطرز المحلية لتزداد مبيعاتها بازدياد المغرمين بكل ما هو جديد، و هكذا هجرت المدن القديمة و احتضرت الحياة فيها و صارت أثاراً يؤمها السياح الذين فقدوا هم كذلك متعة السفر و الانتقال أينما ذهبوا، فمن مشرق الأرض إلى مغربها تتشابه المطارات التي ينزلون فيها و تشابهت الفنادق التي يقيمون فيها و تشابهت الوجبات التي يتناولونها، تراهم لا يجدون متعة رحلتهم السياحية إلا في المدن الأثرية أو في المهرجانات الشعبية و صارت هوية المكان سلعة تباع وفقاً لمعايير الطراز العالمي الجديد فدخول المدن القديمة بمقابل و حضور المهرجان الشعبي بالمقابل و لأنه لم يجد من يمارس الأنشطة الشعبية تلقائيا كما كانت في الأفراح الشعبية إلى عهد قريب، وهكذا ضاعت هوية المكان و تبعتها هوية الإنسان الذي كان يعرف من هو من خلال لباسه وحركاته و طريقة حديثه أما الآن فلا يعرف إلا ببطاقة الهوية و حركاته صارت تابعة لمفهوم (الإتيكيت) و إلا صار متخلفاً وفق معايير الطراز العالمي الجديد بل إنه يتوجب عليه استخدام مفردات أجنبية ليفهم الآخرون بأنه حضاري و هكذا سيطر الزمان على المكان و ضاعت هوية العمران المكانية و تبعتها كل مناشط الحياة لأن المدينة و العمران هما الممثلان لحضارة الإنسان الزمانية و المكانية، أما المكان فقد فُقد و أما الزمان فقد اتقد........

3-1 أزمة العمارة في العالم العربي :

الحديث عن أزمة العمارة في العالم العربي متعدد الجوانب ويحتاج إلى دراسات مطولة ولكن نتناول جانب يسير من أسباب هذه الأزمة نسلط عليه الضوء ونشخص الداء لعلنا نساهم ولو بقدر يسير في الوصول إلى الدواء.

إذا أردنا أن نتناول أسباب أزمة العمارة في العالم العربي ... فيجب أن نحدد أولاً ماهية ومفهوم الأزمة فأزمة العمارة تكمن في ضياع الهوية المعمارية وتخبطها وسط تيارات مختلفة أثرت سلباً علي الملامح الأساسية للهوية المعمارية العربية. والبحث عن أسباب أزمة العمارة في العالم العربي عملية ليست يسيرة أو سهلة بل صعبة ومركبة ... فهناك عدة أسباب متشابكة ومتداخلة أدت إلي صنع هذه الأزمة. [5]

فإذا اعتبرنا أن أسلوب وطريقة ومنهج التعليم المعماري قد ساهم بنصيب وافر في صنع هذه الأزمة ، فسنجد أن وراء ذلك أيضاً الاتجاه والنظرة الغربية للهيمنة والسيطرة التي امتدت من السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية إلى الهيمنة الفكرية وبالتالي إلى الناحية المعمارية، وقد ساندها في ذلك النظرة الشرقية والعربية بتبني كل ما هو غربي على أنه النموذج والقدوة والمثل وتقليده تقليداً أعمى وتناوله بسطحية دون دراسة واعية للأسباب والأسس والأهداف التي أدت إلى ظهور هذا الأسلوب، ومدى توافقه مع ظروفنا الاجتماعية وتقاليدنا وإمكانياتنا الاقتصادية والتكنولوجية المتاحة " أي البعد الاجتماعي والاقتصادي " للتطبيق في مجتمعاتنا.

وهناك أيضاً أسباب أخرى عديدة ساهمت في صنع الأزمة، منها القصور في المواد التنظيمية والقوانين التشريعية وعدم ملاحقتها لسيل الأفكار الواردة من مجتمعات أخرى تختلف كل الاختلاف عن مجتمعاتنا، وكذلك مساهمة العناصر غير المتخصصة وتأثيرها سلبياً على عمارتنا لغياب الوعي المعماري والثقافة المعمارية يقابله على الجانب الآخر تهاون واضح من جانب المتخصصين ورضوخهم لرؤى غير واعية لا تحمل في طياتها قدر من الثقافة والوعي يمكنها من أن تساهم في تأكيد الهوية.

فالعمارة عبارة عن نتاج لمراحل متتالية ذات حلقات مترابطة متكاملة تسعى لبناء الفكر المعماري، بداية من المرحلة التعليمية تليها عدة مراحل منها مرحلة الممارسة الأولية ومرحلة الممارسة الإنتاجية الفعلية.

وهنا تتصارع القيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع مع القيم التقنية والفنية للمعماري، هذه مراحل وحلقات متتالية مترابطة إذا انفصلت حلقة عن أخرى انفرط عقد البناء الفكري المعماري من أساسه.

في هذا الإطار تتمثل أزمة العمارة في طبيعة ارتباط المكون الاجتماعي بالمكون الاقتصادي والسياسي وكذلك بالمكون التعليمي والتنظيمي الذي يحكم الممارسة.

لقد كانت العمارة على مر العصور ولازالت تعتبر المرآة التي تنعكس على صفحاتها الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمعات في كل عصر، وإن كانت في العصر الحاضر قد فقدت مقوماتها الحضارية فهي بذلك تعبر عن فقدان المجتمع لجانب من مقوماته الثقافية. فالعمارة المعاصرة في العالم العربي لم تعد جزءاً من الكيان الثقافي للمجتمع، بل قوالب من الخرسانة والحديد والحجر والطوب تؤدى وظيفتها المادية دون مراعاة للجوانب الحضارية 0 ويبدو أن الإنسان العربي المعاصر لم تعد تهمه العمارة كما كان من قبل، ومن هنا كان اهتمام وسائل الإعلام بالفنون الأخرى غير فن العمارة وبقيت العمارة المعاصرة في الظل بعيدة عن الصورة.

إن ارتباط العمارة بالثقافة ليس ارتباطاً وجدانياً أو معنوياً فقط بل أيضاً ارتباطاً عضوياً، ففيها يعيش الإنسان بجسده ووجدانه معاً، والتعايش بين الإنسان والعمارة هو تعايش مستمر سواء في مكان السكن أو العمل أو في مكان الترويح النفسي. [6]

فالعمارة إذن هي حيز يحتوى الإنسان في حركته الداخلية والخارجية ، هي البيئة التي تؤثر على تكوينه الحسي والعقلي والجسماني في نفس الوقت، والعمارة ليست قطعة تشكيلية يدور حولها الإنسان أو لوحة مصورة ينظر إليها من زاوية واحدة أو نغمة موسيقية تسمعها في لحظات أو فيلماً تشاهده خلال وقت معين وفى مكان معين، إن العمارة أكثر من ذلك وأوسع، هي البيئة التي ينمو فيها الإنسان بجسده وروحه بقيمه وتقاليده، هي السكن والسكينة هي الأمن والأمان، هي الرحابة والضيافة، هي منبت الفكر وبيت العلم، هي حيز العمل والإنتاج، هي معرض الفنون أيضاً و ملتقى الإنسان بربه، فأين كل هذا مما يقام أو يقال ؟

إن ارتباط العمارة بالثقافة ارتباط علمي يعرفه الخاصة والعامة، هي ملتقى العلوم الهندسية في الإنشاء والبناء في المواد والتجهيزات، وهي أيضاً ملتقى العلوم الفنية في التنسيق والتأثيث ... في التكوين والتشكيل ... هي فعلاً أم الفنون، فكيف تكون عمارة مجتمع ما إذا اهتم هذا المجتمع بالفنون الأخرى ولم يعطى العمارة الاهتمام الكافي، بينما البعض يقول أن (العمارة للمعماريين) وهى بذلك لا تحتاج إلى عون أو معين .. بينما العمارة في الحقيقة للمجتمع ككل ولكل المواطنين، فهي الأجدر والأولى بالاهتمام والرعاية والعناية لأنها مقياس التمدن والتقدم وحضارة الأمم.

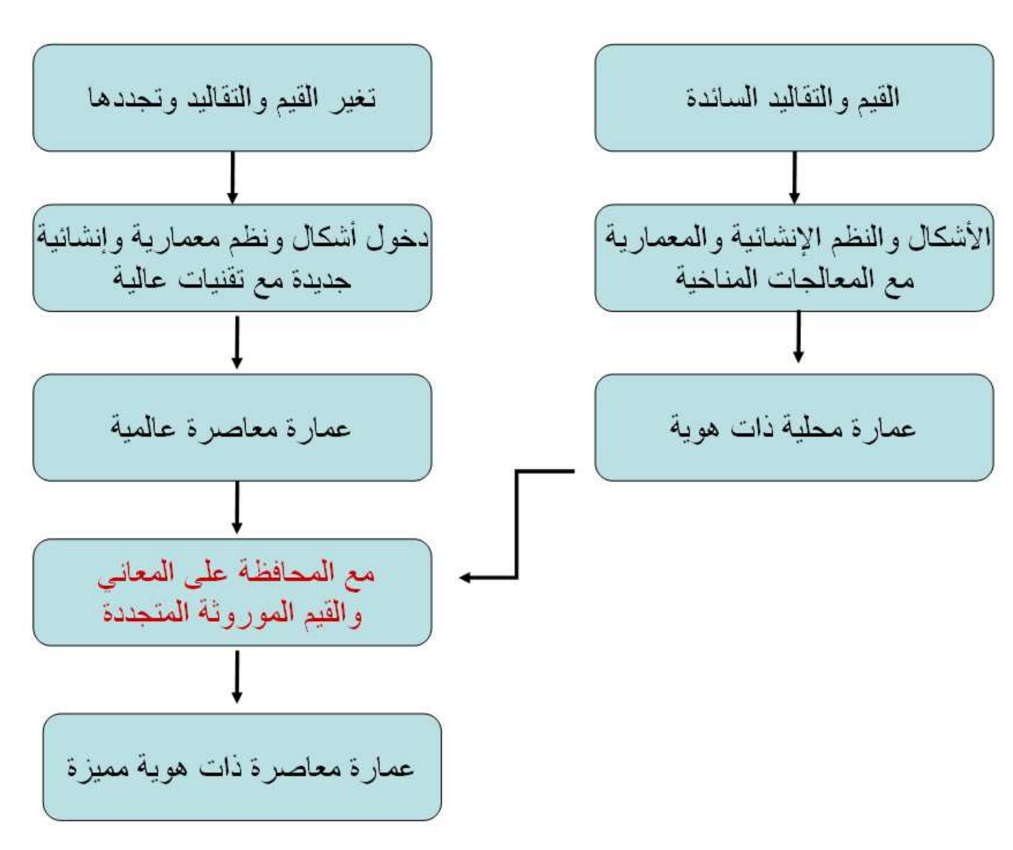
4-1 الإقليمية والمحلية في العمارة العربية المعاصرة :

تثار مسألة الإقليمية والمحلية في الأوساط المعمارية وترتبط غالبا بمسألة مصاحبة متعلقة هي الهوية، بل لعل من الأصح القول أن هاتين المسألتين تطرحان ضمن إطار الهوية وفي معرض التساؤلات التي تستثيرها مسألة الهوية وفي حال طرحها كمشكلة. وقد برزت قضايا المحلية والإقليمية في العمارة العربية مع مطلع السبعينيات من القرن العشرين وطرحت كمسألة جادة نظرياً على يد معماريين أمثال حسن فتحي ورفعت الجادرجي، ومن خلال طروحاتهم ومشاريعهم المختلفة التي بدأت تمتد حدود نطاق خارج منطقة جغرافية معينة. وبمعرض البحث في هاتين المسألتين يبرز التساؤل: ما هي أهمية التمييز بينهما وما هو انعكاس ذلك على العمارة فهماً وتطبيقاً؟.

في الحقيقة وقبل أن نحاول الإجابة المباشرة على هذا التساؤل، من المفيد التعريج قليلاً على تعريف هذين المفهومين وما يقصد بهما، ومن ثم عرض المواقف تجاه هاتين المسألتين لنتبين أهمية التساؤل وانعكاسه في العمارة العربية المعاصرة. من الملاحظ أن الفئة التي تتبنى البحث في موضوع الإقليمية والمحلية هي التي تعنى بمفهوم العمارة البيئية في الوقت ذاته، وذلك للعلاقة الوطيدة أو الخط القوي الذي يربط المفاهيم الثلاثة ببعضها وهي البيئة بثوابتها ومتغيراتها. ومن هنا فلإدراك مفهوم الإقليمية ينبغي التطرق لإثارة نقاط مرتبطة بالمناخ والعوامل الجيولوجية والطبوغرافية والإنشائية كمواد البناء، وتبعاً لذلك يمكن رؤية الإقليمية والمحلية على أنهما طرفي معادلة يقعان على نقيضين، بيد أنهما في نفس الوقت متداخلين. وبكلمات أخرى فهناك الخط الرفيع العام الذي يربط بين المحلية والإقليمية من نواحي بيئية عامة. إلا أن الإقليمية أشمل من الأخرى في التعبير عن بقعة جغرافية أوسع بما فيها من عوامل ومؤثرات بيئية ومناخية و ديموغرافية واجتماعية وغيرها. وبوضع هذه القواعد العامة في التمييز بين المفهومين، يمكن تبين معسكرين بين الباحثين النظريين في مفهوم العمارة، وبالذات العمارة العربية المعاصرة وضمن بوتقة الهوية بالذات، إذ فيما تنحو الفئة الأولى إلى اعتبار أن الخط الذي يربط المحلية عبر المناطق المتباعدة هو خط قوي لدرجة إذابة الفوارق الجزئية بين الأقاليم لتنزع وتميل نحو «الإقليم الواحد»، تخالف الفئة الثانية هذه الفكرة باعتقاد العكس، أي أن الخط الذي يربط الإقليمية هو من الضعف بمكان أن الإقليم الواحد ينزع ليتجزأ لمجموعات من «الأقاليم» أو المناطق المحلية التي تختلف جغرافياً وبيئياً. ومن هنا وبإدراك هذه النظرات المتباينة بين الفريقين يمكن لنا أن نتبين ما تعنيه هاتين الكلمتين في العمارة، وبالذات في العمارة العربية المعاصرة وضمن مشكلة متعلقة بالهوية والعودة للتراث. ولإعطاء المداخلة بعداً آخر، نلقي الضوء على الطرف الثالث أو الرابع في هذه المعادلة وهو البيئية، والتي يمكن النظر إليها على أنه الخلفية أو الأرضية التي تتحرك عليها الإقليمية والمحلية. [1]

والبيئية تعني ببساطة شديدة الوجه الطبيعي للعمارة بدون المعماري، أو بكلمات أخرى هي عملية البناء الطبيعية التي تستخدم المقدرات والموارد الطبيعية المتاحة دون اللجوء للوسائل العلمية أو التخطيطية المعقدة أو المعدة مسبقاً والتي يلجأ إليها المعماريون قبل إنشاء عمارتهم، أو هي عملية البناء كمرحلية وآلية طبيعية من ألفها إلى يائها، وهي آلية وليست ناتجاً فحسب، فيما قد تكون العمارة ناتجاً وليست آلية. وبالنظر إلى فكرة البيئية كآلية فقد

برزت المشكلة في غياب الوسائل الطبيعية مع غياب المواد المحلية للبناء والتي تتطلب الخبرات والأعراف البنائية المتوارثة. وبمعنى آخر فإن تعقد العملية البنائية المعاصرة التي اعتمدت المواد المستوردة كالحديد والخرسانة والزجاج ضمن تصميمات المعماريين المعاصرين لم تؤد إلى إيجاد أنماط جديدة من العمارة بل حيدت العمارة الفطرية الناتجة بفعل البيئية كآلية وكناتج، ونجم عن ذلك النزعة باتجاه الإقليمية التي تفرضها وحدة المواد والعناصر الأخرى المستعملة والتي لا تمتد فقط خارج حدود الإقليم بل ويمكن أن تمتد لتشمل أقاليم متباعدة أخرى جغرافياً وثقافياً وحضارياً، وهنا تبرز مشكلة الهوية. وكما نرى تبدو المشكلة متعددة الجوانب ومرتبطة ومتداخلة بين هذه المفاهيم جميعها.



الشكل (1) جدول يبين أن العمارة ذات الهوية هي ناتجة عن التقاليد والقيم الموروثة، المصدر الباحث

فالنزعة للإقليمية على حساب المحلية تؤدي للأنماط المعمارية التي تصلح لكل مكان رغم خصوصية المنطقة الجغرافية، وبذلك ترتبط المحلية بالبيئية بشكل أكثر تفصيلاً مما هو عليه الحال في الإقليمية، أي أن البيت الذي يبنى في اليمن مثلاً له خصوصية متعلقة بطبيعة المنطقة التي يبني فيها تبعاً للعوامل والأعراف الاجتماعية السائدة ومواد البناء وغيرها. ونتوقع تبعاً لذلك أن يختلف عن مناطق أخرى مجاورة ليس تشكيلياً أو زخرفياً فحسب بل ومن ناحية تركيبية بنائية. وكذلك الحال نتوقع وجود فوارق يعتمد مقدارها على مقدار اختلاف العوامل بين البيت في اليمن وذلك في سوريا أو العراق وهكذا، ولا يعني ذلك البتة انه لا يوجد تشابه بينها، بل على العكس نتوقع في الوقت ذاته وجود خيط رفيع يربط هذه البيوت جميعها بما يحقق كونها «عربية» تنتمي لذات الثقافة والحضارة، وهو ما نعنيه

بالهوية، ولذلك فالهوية لا تطرح ضمن الأقاليم من ذات الثقافة الواحدة، إنما هي مشكلة في حال تداخل الثقافات أو استجلاب مفاهيم وأنماط ومؤثرات من ثقافات أخرى. [23] ومن الملاحظ أنه من النادر أن نرى في العمارة العربية المعاصرة أوجهاً من التركيز على الآلية في البناء دون الناتج، إلا فيما نرى من جهود المعماري حسن فتحي في محاولاته لإرساء العلاقة بين الثالوث المعماري والبناء ومواد البناء. إلا أن المأزق الذي قد يحدث هو إبراز مجموعة من العناصر والمفردات المعمارية على أنها «وصفات جاهزة» يمكن تطبيقها واستخدامها في أكثر من بقعة جغرافية رغم تباين العوامل المحلية بها.



الشكل (2) الواجهة الرئيسية للمحكمة الدستورية العليا تقليد حرفي لعمارة المعابد الفرعونية، المصدر[23]

وبشكل عام يراوح المعماريون المعاصرون بين آفة التقليد الحرفي ونقل مفردات عبر أقطار مختلفة من العالم العربي وبين محاولة استنباط مجموعات من الحلول التي تنتمي للإقليم المصغر والموقع المحلي، وهي عملية شاقة تتطلب الدراسة والبحث الجاد والمسبق قبل عملية التصميم وإبراز الحل المعماري. ويبقى المعماريون بين مد وجزر بين هذين القطبين ويظل المكان والزمان خاضعين لمحاولات المعماريين البحث عن صيغة ولغة معمارية ملائمة تمثلهما بشكل صادق.



الشكل (3) المعاهد البحثية على شكل أهرامات بمدينة مبارك العلمية ببرج العرب، المصدر[23]

5-1 العمارة التقليدية و العمارة الحديثة بين مد وجزر:

من أجل دراسة ماهية العلاقة ما بين العمارة التقليدية و العمارة الحديثة و مدى تأثير عوامل المد و الجزر فيما بينهما، يجب أن تكون تلك الدراسة تعتمد علي معرفة دقيقة بأسس العمارة التقليدية و كذلك الاتجاهات المعاصرة للمدرسة العربية للعمارة الحديثة . و لقد أشرنا سابقاً إلى بعض الأسس الخاصة بالعمارة التقليدية و أن تكون الدعوة إلى إحياء التراث العربي العمراني و تطبيقه بالعمارة الحديثة ، لا يعني العودة إلى استخدام المواد الأولية و التفاصيل العمرانية التقليدية بدون دراسة مفيدة و كذلك من أجل استخدامها عشوائيا بدون وظيفية لمجرد إضافتها كعنصر تشكيلي فقط . إنما يعني العودة إلى دراسة كاملة عن نشأة التراث العمراني و الظروف المحيطة بتلكم النشأة و تطورها بناء علي المعطيات المحيطة المستجدة و المؤثرة بالطرق الإنشائية للبناء التقليدي و عبقرية البناء التقليدي و فلسفته في مواجهة ظروف البيئة و مدى نجاحه و تماشيه مع العادات و التقاليد العربية مع استنباط المواد المتطورة من البيئة المحلية المناسبة.

و كذلك يعني العودة إلى الأصالة و بناء شخصية عربية عمرانية من خلال نشر وعي يعتمد علي الثقافة التحليلية البناءة و التنظير الفكري المستنير اعتمادا علي الفهم الصحيح لعناصر و وحدات العمارة التقليدية و تحليلها هندسياً و الدعوة إلى استخدام روح التراث العمراني العربي من خلال العلاقات الفراغية لمكونات المبني و التصميم الداخلي عالي الخصوصية و مزايا المواد البيئية المعالجة و علاقة المباني بعضها ببعض وانسجام التخطيط العمراني مع البيئة المحيطة و معالجة الأعمال التحتية مراعاة للبيئة و الجغرافية لإقامة مجتمع عمراني متجانس .



الشكل (4) مقارنة بين انطماس الهوية بماضي دبي، المصدر[19]

و يبقي أن نتدارس الاتجاهات المعاصرة للعمارة العربية الحديثة بعقل واعي متحضر و ليس بالنقد المجرد و الصراخ غير المنطقي كمحاولة للهروب من مواجهة مسئولية تمليها علينا مجرد حضورنا لتك المحاضرات و الندوات التي تقيمها مشكورة بعض الجهات المعنية و المهتمة بالقضية الجوهرية التي تشغل فكر كل مهتم بالتراث العمراني العربي .

إن العمارة الحديثة بالمنطقة العربية قد ذهبت إلى آفاق بعيدة ، البعض منها جيد و البعض منها غير ذلك و كل ذلك خلال الفترة القصيرة السابقة و ربما يرجع ذلك إلى عدة عوامل،

أهمها عدم وضوح الفكر المعماري المستمد من منهجية عربية موحدة بالشكل الخارجي و يمكن أن تشمل عدة مدارس مختلفة بداخلها حتى لا نقع تحت شعارات معمارية فلسفية متنافرة فيما بينها وان كانت صادقة مع نفسها.

و مثال ذلك الوحدات السكنية الخاصة (الفيلات) التي تم تشييدها بالفترة السابقة تحت مسمي المجمعات السكنية الاقتصادية ببعض المدن العربية ليلاحظ عدم تناسبها إطلاقا من حيث المواد المستخدمة و التصميم المعماري و تصميم الموقع العام للمجمع، ليوضح مدي الانفصال بين المصمم و احتياجات مستخدم تلك المجمعات تحت شعار الاقتصادية والاجتماعية الشاملة و الإقليمية المجمعة لجنسيات متشابكة.

و لنا أن نتساءل عن ماهية الفلسفة المعمارية الحديثة بمنطقتنا العربية التي أدت إلى إفرازات للمناهج و الأنماط المعمارية الغير واضحة المعالم، و تداعيات تقترب من مرحلة السكون الفكري و النقل و الاقتباس غير المبرر و كل ذلك ليس سوى نتاج لاستمرار غياب ما أشرنا إليه من مدرسة معمارية عربية موحدة بالشكل الخارجي و يمكن أن تشمل عدة مدارس مختلفة بداخلها.

إن الحديث عن الواقع المعماري العربي الحديث يجب أن يكون حديث مصارحة و قد يكون له طعم و مرارة العلقم بالحلوق و ربما يراه البعض نقداً للنفس و الذات للشخصية المعمارية العربية ... و لكن بمزيد من الدراسة المفيدة و المصارحة البناءة و المكاشفة الإيجابية سوف نهيئ تربة صالحة في مرحلة تستحق غرس بذور أشجار الأمل و التفاؤل. [6]

6-1 مفهوم الأصالة والمعاصرة في العمارة الإسلامية:

بداية لابد من الإيضاح بأن الأصالة في مفهومها هي الحصاد الحضاري لتراث المجتمع ثقافياً واجتماعياً وعمرانياً على مدى التاريخ، والمعاصرة هي النتيجة الحتمية للتفاعلات المستمرة للمقومات الحضارية للمجتمع والمرتبطة بحركة التاريخ حاملة ما تستطيع من الحصاد الحضاري لتراثه ومتأثرة بالبعد الجغرافي لموقع هذا المجتمع من المجتمعات الأخرى التي تؤثر عليه في موجات متلاحقة من المد والجذر الحضاري مترددة بين الضعف والقوة تاركةً آثارها سلباً أو إيجاباً تبعاً لقدرة المجتمع على مواجهتها أو التفاعل معها أو الخضوع لها.

وهكذا تلتزم الأصالة بالمعاصرة في حلقات متتالية ومستمرة تدفع حركة المجتمع صعوداً وهبوطاً على مدى الزمان وفى بعد المكان لتظهر في العمارة والعمران كما تظهر في غيرها من المقومات الثقافية والاجتماعية للمجتمع. [4]

إن العمارة العربية الإسلامية في تعريفها لم تعد تخضع إلى المقوم الشكلي أو التشكيلي كما يراها المستشرقون في عمارة العالم الإسلامي كمنطقة محددة المكان وفي حقبة تاريخية محددة الزمان بقدر ما تخضع إلى المقوم العقائدي النابع من القيم والتعاليم الإسلامية التي لا تخضع إلى محددات للمكان أو الزمان. [12]

وتعرف العمارة الإسلامية بذلك بشقيها المتمثلين في المضمون الملتزم بالعقيدة بمنهجها التوسطي اجتماعياً واقتصادياً وبالشكل المتوافق مع البيئة بأبعادها الطبيعية والحضارية والمناخية، فلم يعد الرجوع إلى التراث المعماري إلا للاستلهام بالقياس أكثر منه للنقل أو الاقتباس.

7-1 تيارات الحداثة والنهضة الفكرية في العمارة العربية :

شهدت العمارة العربية المعاصرة خلال العقدين الماضيين نشاطاً ملحوظاً في إطار التعليم المعماري تزامن مع تبلور جيل الرواد الأول من معماريي العرب المعاصرين . ومما ساعد على تسارع هذه الحركة التعليمية ظهور الهيئات والمؤسسات التي عنيت بشؤون العمارة العربية الإسلامية المعاصرة، ومن أبرزها مؤسسة الآغاخان للعمارة الإسلامية التي اهتمت بدعم المؤتمرات التي تطرح قضايا العمارة والتخطيط في العالم الثالث، إضافة إلى تخصيص جوائز دورية تمنح لأبرز الأعمال المعمارية أو التخطيطية في العالم العربي والإسلامي، وأهم من ذلك أنها اتخذت من معاهد العلم المتميزة منابر علمية لها مثل جامعات (هارفارد و م، آي،ت) بأمريكا حيث أرسلت البعثات الطلابية مما شحذ الطاقات العلمية لدى الطلبة والجيل المعاصر إضافة إلى انفتاح العلماء في تلك الجامعات والطلاب المبعوثين على حد سواء على قضايا العمارة والتخطيط في العالم العربي. كما أن مؤسسة الآغاخان عملت على التعريف بشكل واسع النطاق بأعلام العمارة العربية المعاصرة، إذ توجت جهود المعماري حسن فتحي على مدار خمسين سنة بتنصيبه أول رئيس لجمعية ترشيح الجوائز، ومن خلال مجلتها (معمار) تمت تغطية هذه الحركة النشطة من التعليم والفكر المعماري ، إضافة إلى المجلات المعمارية والكتب المتخصصة من إصدارات الآغاخان أو غيرها كمجلة (البناء) السعودية التي كان لها دور مهم في دعم وتوسيع مدارك أولى طلائع الجيل الجديد من المعماريين إضافة إلى التعريف بالجيل الأول من الرواد من خلال أعمالهم و طروحاتهم الفكرية.

هذه النهضة الفكرية التي نمت مع السبعينيات وتسارعت مع الثمانينيات قادت إلى أمرين مهمين في العمارة العربية المعاصرة: **الأول،** هو تبلور فكر معماري معاصر بين مجموعة من المعماريين العرب عماده الدعوة لتبني التراث كنقطة انطلاق نحو التجديد والمعاصرة وهم جيل الرواد المذكورين ، **الثاني،** هو تبلور جيل من المعماريين الشبان الذين أنتجتهم الحركة التعليمية والفكرية سابقة الذكر، والذين يشكلون بشكل أو بآخر امتداداً لجيل الرواد الأول إما من خلال المعاصرة والملازمة المباشرة، أو من خلال الانفتاح على الفكر المعماري لهؤلاء الرواد، ولنتعرف تالياً على البيئة الفكرية المعمارية التي نشأ بها هذا التيار، فما أبرز التيارات المعمارية التي سادت خلال هذه الفترة وما قبلها؟ وما عوامل الشد والجذب المؤثرة في هذه النشأة؟.

يسود قطاع التعليم المعماري في الوطن العربي من خلال مواضيع دراسة نظريات العمارة الحديثة أو تاريخ العمارة الحديثة النزعة إلى تعريف التيارات التالية كأبرز ما ساد خلال القرن العشرين (وهي ما تشكل الخلفية والمناخ الفكري المعماري لجيل الرواد من المعماريين العرب وجيل قطاع التعليم، وهذه التيارات شكلت وتشكل الفكر المعماري وتعتبر أبرز عوامل الشد والجذب في العمارة العربية المعاصرة، وهذه التيارات هي: [13]

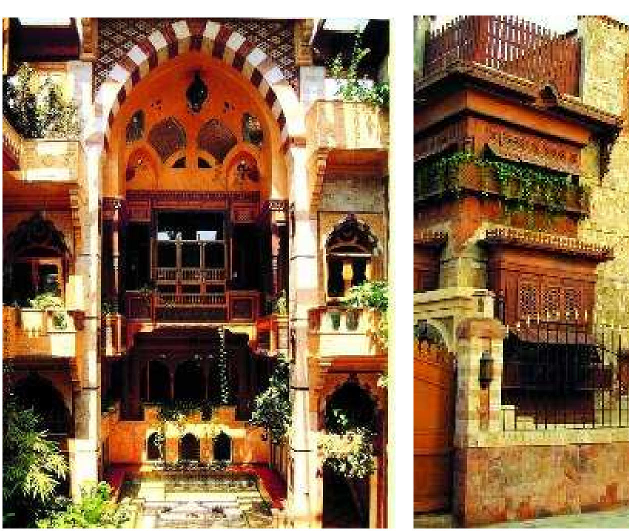
أولاً: العمارة الحديثة وقد سادت كتيار وكنظرية تستمد دعائمها من معطيات الثورة التكنولوجية ومعطيات العصر، وتتجلى في الأبنية متعددة الطوابق ولا تعكس هوية ثقافية بعينها، إنما تعتمد الوظيفية كأحد عوامل التصميم الرئيسية بها، ويمكن تبينها في أنماط المباني كالبنوك والمجمعات التجارية وغرف التجارة والأبنية العامة والفنادق وغيرها، وقد ساد هذا النمط المعماري في الغرب مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وانتقل مع مطلع القرن العشرين إلى العالم العربي على أيدي فئة قليلة من المعماريين الذين كانوا يشكلون التيار المعماري آنذاك، ومعظمهم ممن عاصر المعماري حسن فتحي وينتمي لنفس الجيل، ومن هؤلاء المعماري "ديران" الذي انتشرت مبانيه في الأردن التي تعكس هذا الاتجاه، ولاحقاً برز المعماري جعفر طوقان مع السبعينيات الذي يراوح بين عدة اتجاهات ومن أبرزها هذا الاتجاه من خلال تصميماته ببيروت، وهناك أيضاً دار الهندسة (شاعر ومشاركوه) بالقاهرة وبيروت التي تعتمد هذا الاتجاه بشكل رئيس في تصميماتها. ويتميز "ديران" عن غيره من أصحاب هذا الاتجاه بدقة المعالجات المعمارية والاتزان في التعبير.

ثانياً: اتجاه ما يسمى **(عمارة ما بعد الحداثة)** وهذا الاتجاه انتشر بالعالم العربي مع نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات، ويعتمد إعادة قراءة أصول العمارة الكلاسيكية أحياناً مع مزيج من التكنولوجيا والعقلانية. ويشاهد في مختلف أنماط المباني السكنية منها والعامة. ويلاحظ في هذا الاتجاه استخدام الألوان والمواد الحديثة بمهارة عالية مع الدقة في التحكم بالنسب والحجوم. وينتشر هذا الاتجاه في معظم المباني الحديثة على طول امتداد الوطن العربي.



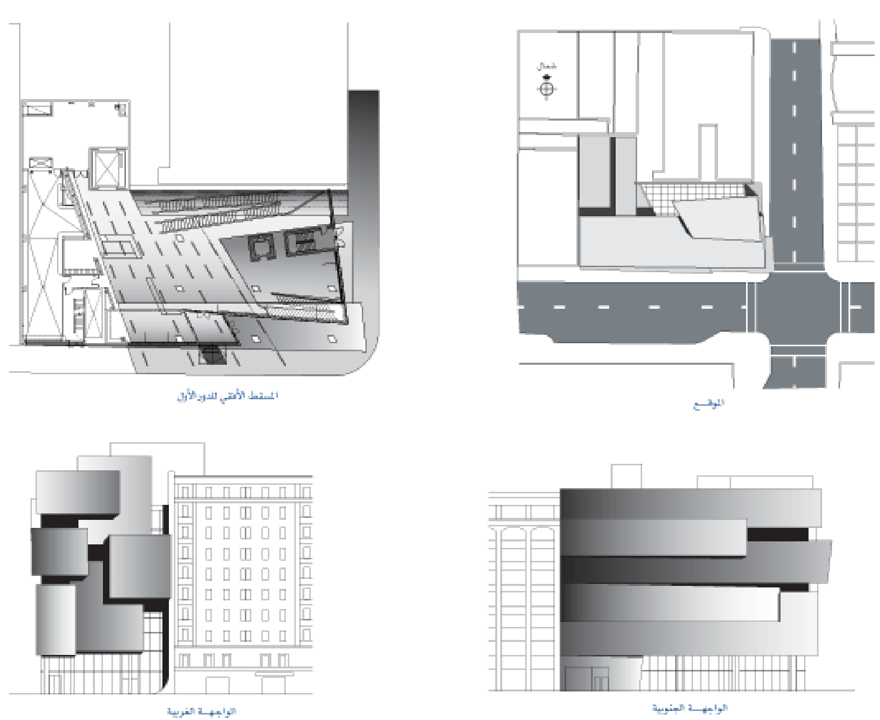
الشكل (5) الثراء بعناصر ومفردات التقليدية في الواجهات في النادي الدبلوماسي بقطر، المصدر[19]

ثالثاً: (الاتجاه العقلاني) وهو يميل إلى الكلاسيكية أحياناً في بعض جوانبه كالحذر في استخدام المواد الحديثة. ويعتمد الاستخدام الحذر الواعي للحجوم والألوان والميل للهندسة المستوية مع التوازن الوظيفي أكثر من الاتجاهات الأخرى مع عدم إغفال النواحي الجمالية والبساطة في التكوين.

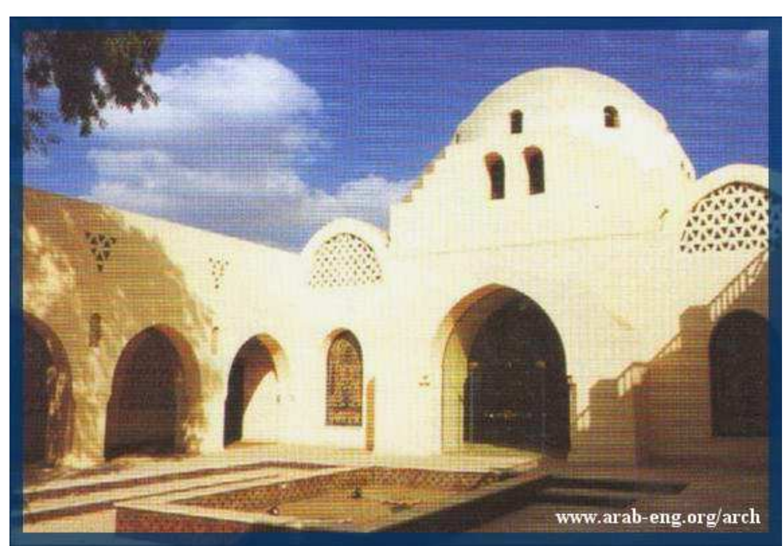
الشكل (6) دار المكية للمصمم المعماري الدكتور (سامي محسن عنقاوي)، المصدر[29]

رابعاً: اتجاه ما يسمى عمارة (Deconstruction) أو يمكن إطلاق كلمة (التفكيكية) على هذا الاتجاه، واحد ابرز رواده المعمارية زها حديد من العراق. ويغلب على هذا النوع من العمارة النواحي الفنية التشكيلية أكثر مما تعكسه العمارة الناتجة من الاتجاهات الأخرى. وأحياناً يغلب التجريد واستعمال المواد الحديثة والزوايا المختلفة ضمن نفس العمل المعماري الواحد.



الشكل (7) متحف الفنون البصرية في سينسيناتي – زها حديد، المصدر[25]

خامسا:الاتجاه التراثي، وهذا الاتجاه يضم الأغلبية الغالبة من رواد المعماريين، وينطلق من هذا الاتجاه مجموعة تيارات **كالمحلية والإقليمية والانتقائية الصورية** التي يصنف المعماري عبد الواحد الوكيل من ضمنها وغيرهم.
وقد شكلت هذه التيارات ابرز ما ساد وشكل المناخ والبيئة الفكرية التي تبلور بها الجيل التالي لجيل الرواد. وهو ما نقصد به جيل التعليم المعماري المعاصر .



الشكل (8) أحد أعمال عبد الواحد الوكيل، المصدر[23]

إن النظرة السريعة للعمارة العربية المعاصرة تبين وجود أقطاب فكرية رئيسة على الخريطة العربية، أولهما بمصر حيث حسن فتحي (حتى أواخر الثمانينيات)، وعبد الحليم إبراهيم التسعينيات، والأخرى بالأردن حيث راسم بدران ورفعت الجادرجي بالعراق وغيرهم من رواد الاتجاهات المختلفة. بيد أن مجالات التفاعل بين هذه الطروحات الفكرية على ارض الواقع تتمحور في دول الخليج العربي الآخذ بالنماء والتبلور بشكل متسارع مع نهاية القرن الماضي من حيث الفكر المعماري فكرا وتطبيقاً . ولعل من عاصر حسن فتحي وتتلمذ على يديه أو تأثر بفكره وأسلوبه كثر، وكذا الحال بالنسبة لعبد الحليم إبراهيم وراسم بدران وغيرهم. أما أحد أبرز الأقطاب الفكرية المعمارية في المملكة السعودية فيتمثل بمكتب البيئة السعودي والدكتور علي الشعيبي .

وكناتج لما تمخضت عنه الحركة التعليمية من ناحية، والنشاط الفكري والتطبيقي لجيل الرواد، فقد برزت مع مطلع التسعينيات مجموعة من المعماريين الذين يمكن تمييزهم كأسلوب وكموهبة فنية وذهنية، وهم ممن لازم رواد المعماريين وعاصر بعضهم واطلع على فكرهم وتطبيقاتهم، ويمكن أن يشكل ظاهرة معمارية فكرية وعملية إن توفرت الظروف الملائمة.

8-1 رواد النهضة الفكرية:

رغم مضي قرنين من الزمن على الاحتكاك المعاصر مع الغرب ورغم تفجر مصطلح الحداثة في المجتمعات العربية المعاصرة وتضخم فكرة الهوية في عقول المثقفين العرب، إلا أن العمارة العربية لم تجد لها من يحتضنها ويحولها إلى فكر جماهيري وإلى مدرسة نقدية يمكن أن نطلق عليها مدرسة نقدية عربية في العمارة. هذا الغياب الذي لم يؤثر فقط على شكل المدينة العربية المتدهور دائماً، بل أنه أثر على الذائقة العربية، فلم يعد هناك طلب للجمال، ولم يعد هناك من يبحث عن التميز.. خصوصاً على المستوى العام..

هذه الملامح الباهتة للعمارة في العالم العربي على المستوى الفكري والعملي تزداد مع تعاقب الزمن. وبدلاً من أن تتراكم التجارب الرائدة.. تراكمت الإخفاقات وأصبحت هي المسيطرة على ذهن المعماري العربي الناشئ.. فلم تسعفها مثلاً كل المحاولات التي قام بها بعض الرواد الأوائل أمثال حسن فتحي ومحمد مكيه لتشكيل صورة غائرة الجذور في المجتمع العربي.. نقول لم يستطع هؤلاء الرواد تغيير الصورة المتهالكة التي ظهرت عليها العمارة العربية منذ أن ابتعدت عن جذورها وتنازلت عن أصالتها... لا أحد ينكر ما للجوائز المعمارية من دور كبير في تشكيل الفكر العمراني.. فالجائزة تعني بشكل أو بآخر تتويج لفكر وعمل معماري متميز، مما يدفع الآخرين للتشبه بالفائزين وتقليدهم.. كما أنها تدفع النقاد لدراسة الأعمال الفائزة وتحليلها والبحث في أسباب فوزها. على أن الأمر اللافت للنظر في العالم العربي هو غياب كل هذه الآليات رغم أن هناك جائزة لمنظمة المدن العربية لها عقدان من الزمن. تأسست عام 1983م. ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن وزعت الجائزة سبع مرات حجبت فيها جائزة المعماري لثلاث دورات متتالية مما يعكس المأزق الذي تعيشه العمارة العربية المعاصرة.

ربما نحن بحاجة إلى التحدث عن أسباب هذا التدهور الذي تعيشه العمارة في العالم العربي، فما الذي يمنعنا من صناعة معماريين متميزين.. أهي أزمة ثقة تعيشها المدن العربية ومسؤوليها مع المعماري العربي، أم هي مشكلة تعليمية وتقنية تجعلنا دائماً متأخرين عن الركب. في أحد لقاءات المعماري الأردني المعروف راسم بدران، أنه تحدث عن المعاناة الاقتصادية التي يعانيها المعماري العربي، فهو لا يأخذ أجراً مجزياً بل أجره عبارة عن ترضية مقارنة بالمعماري الغربي.. ربما يكون هذا هو أحد الأسباب والذي يؤكده المعماري السعودي المعروف علي الشعيبي الذي أبدى أكثر من مرة أن المشكلة تكمن في العائد الاقتصادي الذي يتلقاه المعماري العربي من عمله. ولكن لا يمكن أن نعلق عجزنا على شماعة (الأجر المتدني) الذي يتلقاه المعماري العربي، فكثير من المعماريين المعروفين، وعلى رأسهم "لوكوربوزيه" كان دخله بسيطاً مقارنة بشهرته، على أنه قدم أعمالاً معمارية مازالت تعد من أهم التراث الإنساني المعاصر في مجال العمارة.إذن المشكلة أبعد من مسألة الأجر، وإن كانت مهمة، وأعقد من مشكلة الثقة في المعماري العربي.. التي غالباً ما تتجسد بوضوح، عندما يكون المشروع كبيراً ومعقداً.. بحجة أن المعماري العربي ليس له تجربة.. ولا يملك المقدرة التقنية.. مع أن المعروف أن لكل شيء بداية، فالمعماري "نورمان فوستر" عندما أسندت له مهمة تصميم "شنغهاي بنك" لم يكن لديه تجربة في تصميم مثل تلك المباني والآن هو من أشهر المعماريين في العالم في تصميم المباني المتعددة الطوابق.. ربما نلقى ببعض اللوم على الثقة المفقودة هذه والتي انتقلت للمعماري العربي وأفقدته الثقة بنفسه...

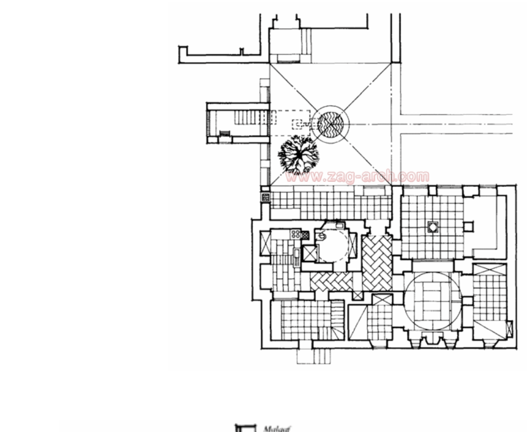
ومع ذلك فإن المشكلة تتجاوز هذه القضايا الإجرائية إلى مسألة التربية والتعليم التي يعاني العالم العربي من وجود خلل كبير فيها، فمناهجنا التعليمية لا تنتج مبدعين.. وهذا ما نحتاج أن نفكر فيه في المستقبل.
لعل أهم الأسئلة هو الذي يتعلق بالسبل الكفيلة بصناعة جيل من المعماريين العرب يحملون على عاتقهم رسالة العمارة كثقافة بصرية ـ اجتماعية يمكن أن تعكس مستقبل الثقافة العربية.
وسنذكر شرحاً موجزاً عن الملامح الفكرية لأهم رواد النهضة الفكرية في العالم العربي المعاصر: حسن فتحي، رفعت الجادرجي، راسم بدران.

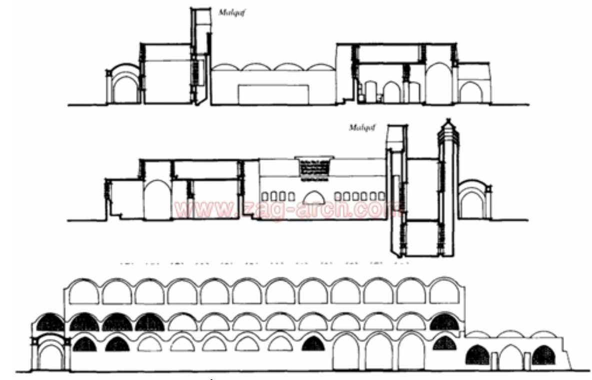
1-8-1 حسن فتحي: [13]

يعتبر حسن فتحي رائد العمارة العربية المعاصرة في العالم العربي، وهد سيد الأصالة والعودة إلى التراث والاستلهام منه وإحياء تقاليده.
ولد المهندس حسن فتحي عام 1900م ميلادية، وتخرج في "المهندس خانة" بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا)، وحصل على جائزة الدولة التشجيعية سنة 1959م، وجائزة الدولة التقديرية سنة 1969م، وتُوفي سنة 1989م دون أن يتزوج، لكنه أعطى حياته كلها لأفكاره.
تكمن الأهمية الحقيقة لحسن فتحي في كونه مهندسًا له وجهة نظر خاصة مرتكزة على تراث أمته ومستفيدة في الوقت نفسه من إنجازات الآخرين. فالبناء عنده لم يكن مجرد جدران وسقف، بل كان حياة وحضارة، وتراثًا لم يمت، بل ما زالت روحه حية، وإعدادًا جيدًا لمستقبل متواصل مع هذا التراث تواصلاً جديًّا في غير انقطاع.
كان حسن فتحي يرى أن أهم مشكلات المعمار والإسكان في الدول الفقيرة كمصر تكمن في الفوارق الرهيبة بين القدرات المادية والدخل السنوي للأهالي وتكاليف البناء، مما يؤدي إلى عدم القدرة على بناء العدد الكافي من المساكن التي يحتاجها أفراد المجتمع، فيحظى بالمساكن من يملكون تكاليفها، وتبقى الأغلبية الفقيرة بلا مأوى، إلا الأكشاك أو الخيام أو التكدس كل عشرة أفراد في شقة من حجرة واحدة وصالة، مما يؤدي بدوره إلى مشاكل اجتماعية نفسية لا نهائية.
ويرى أن الإصرار على حل المشكلة بالمساعدات المالية التي تُمْنح للأهالي عن طريق الحكومات أو الهيئات الدولية لن تأتي بنتيجة، كذلك لن تكون ميكنة البناء واستخدام المباني الجاهزة أو الطرق الغربية في البناء حلاً لعظم تكاليفها.
ويطرح المهندس حسن فتحي حلولاً أهمها: قيام الأهالي بالبناء بأنفسهم لأنفسهم عن طريق التعاون التقليدي، وليس الجمعيات التعاونية لذات الموظفين البيروقراطيين، وإخضاع علوم الهندسة والتكنولوجيا الحديثة لاقتصاديات الأهالي ذوي الدخول شديدة الانخفاض، بما يسمح بإيجاد مسكن يتفق مع هذه الدخول، ويؤكد حسن فتحي هنا أن ذلك يستلزم إيجاد النظام الاجتماعي - إداري / مالي- بما يسمح باستمرار فاعلية النظام التعاوني التقليدي في الظروف الحالية غير التقليدية، ذات النظام الذي بطلت فاعليته قبل الأوان بالنسبة للغالبية العظمى من الأهالي من جراء عمليات التحول الاجتماعي والاقتصادي التي شملت العالَم المُصَنِّع وجَرَّتْ معها العالَم غير المصنِّع أو العالم الثالث.

كان المفهوم الواسع لكلمتي الثقافة والتراث هو مدخل حسن فتحي إلى فلسفته في مجال العمارة، فهو يرى أن "الثقافة عُرفت بأنها نتيجة تفاعل ذكاء الإنسان مع البيئة في استيفاء حاجاته المادية والروحية، وينطبق أكثر ما ينطبق صدق هذا التعريف على الفنون التشكيلية ومنها العمارة؛ لأنه ليس من المعقول أن يصور مصور سويسري لوحة بها جِمال ونخيل عن طبيعة بلاده، كما لا يمكن ولا يُعْقل أن يقوم مهندس معماري عربي ببناء شاليه سويسري في مصر أو الكويت، وبجواره نخيل وجمال، إنه يكون أمرًا مضحكًا كما هو في الأفلام الهزلية، ولكن للأسف هذا هو الحادث اليوم في كافة البلاد العربية، ليس ببناء شاليهات سويسرية في المنطقة العربية، وإنما ببناء عمارات أمريكية على الطراز الغربي الحديث الذي يتنافى مع طبيعة البلاد وأشكال الناس وملامحهم التي تصبح عندما نراهم بجوار تلك المباني كأشكال النخيل والجِمال بجوار الشاليه السويسري".
وكان يسخر فيقول: تصور سودانيا في ملابس لويس الخامس عشر، أو سعوديا في بيت زجاجي؟
فحسن فتحي كما نرى يؤكد على أن يكون المعماري ليس مجرد مهندس، ولكنه مدرك للأبعاد المختلفة للبيئة والسكان تاريخيًّا واجتماعيًّا وسيكولوجيًّا وبيولوجيًّا، كما يهتم بمراعاة مناسبة البناء للمكان (وادٍ / صحراء / جبل) حتى لا يكون قبيحًا وغير متناسب مع البيئة، وهو يرفض أن يصبح الطابع الفرعوني أو القبطي أو البابلي أو الآشوري أو الإسلامي مجرد حلية زائفة في بناء معماري على النمط الغربي، وهو يعبر عن سعة أفقه وذكاء فهمه بقوله: "إن ثمَّة عناصر قديمة بائدة في العمارة التقليدية لا تصلح اليوم، مقابل عناصر أخرى فعالة متطورة هي التي يجب استخلاصها وإثراؤها بوحي من مواد البناء المحلية".. فالفن المعماري عند حسن فتحي "ليس صيغة ثابتة لكل العصور، بل هو مرهون بالملامح والقوى والسمات السائدة وبالظروف الخاصة الدائمة التغير".
لقد طبق حسن فتحي فلسفته في قرية القرنة في البر الغربي - جنوب وادي النيل - في مواجهة الأقصر، وشرحها تفصيليًّا في كتابه "عمارة الفقراء" الذي نُشر بعدة لغات أجنبية وأعطى حسن فتحي الشهرة العالمية، كما طبق أفكاره المعمارية أيضًا في قرية "مشربية".

وقد تميزت البيوت التي بناها حسن فتحي وظلّ يدعو للأخذ بها والتي استوحاها من بيوت النوبة بأنها متوافقة توافقًا كليًّا مع البيئة فهي -غير رخص تكلفة خاماتها- تحقق تهيئة مناخية رخيصة للمنزل ليس بحكم خاماتها المتوافقة مع البيئة فقط، بل بحكم توافق تصميماتها، فالبيت من هذه البيوت يستمد تهويته وإضاءته من فناء داخلي تنفتح عليه نوافذ البيت من الداخل، وهذا يقي أهل البيت من الأتربة والتيارات الهوائية غير المستحبة، فضلاً عن ذلك فإن هذا الفناء يحقق خصوصية البيت وحرمته التي تتوافق مع القيم الدينية والأخلاقية لساكنيه، وهاتان الوظيفتان ما كانت تحققهما تصميمات البيوت الحديثة التي يضعها المعماريون التقليديون من كونها تستمد فلسفة تصميماتها من العمارة الأوروبية التي تفضل - تبعًا لتوافقها مع بيئتها- الانفتاح على الخارج.





الشكل (9) استراحة جرف حسين بالنوبة – نموذج لأعمال حسن فتحي، المصدر[19]

وما نريد أن نؤكده أن حسن فتحي لم يرتبط بخامة الطين في مبانيه إلا في المباني التي كان يبنيها في بيئات متوفرة فيها هذه الخامة. وحينما كان يبني في الصحراء كان يبحث عن مواد بيئية توجد في البيئة الصحراوية، وهو ما حققه بالفعل حين كان يبني بالحجر في الصحراء، وقد دعا لاستخدام الطفلة التي توجد في الصحراء كخامة بيئية رخيصة وأفضل من أي خامة صناعية أو مستجلبة.

2-8-1 رفعت الجادرجي: [3]

ولد المهندس المعماري رفعت الجادرجي في بغداد سنة /1926م/ وحصل على دبلوم في الهندسة المعمارية من مدرسة "همرسمث للحرف والفنون" البريطانية.

عمل الجادرجي منذ تخرجه في مجاله الخاص في مكتبه "الاستشاري العراقي" وعيّن رئيساً لقسم المباني في مديرية الأوقاف العامة العراقية ثم مديراً عاماً في وزارة التخطيط العراقية في أواخر الخمسينات. وكذلك عمل كرئيس لهيئة التخطيط في وزارة الإسكان.
لقد أسهم الجادرجي في العديد من المعارض المعمارية في بيروت وإسبانيا والسودان وغانا وتونس وبريطانيا. ونال جوائز عديدة بينها الجائزة الأولى للمسابقة العالمية لبناء المصرف التجاري العراقي في بغداد ونصف الجائزة الأولى لمسابقة مجمع البرلمان الكويتي والجائزة الأولى لمسابقة المسرح الوطني في دولة الإمارات العربية.



الشكل (10) مجموعة من أعمال رفعت الجادرجي، المصدر[3]

يقول الجادرجي عن توجهه في فن العمارة: "كان اهتمامي منصباً على إيجاد أسلوب ملائم لمعمار عربي معاصر، وكانت نقطة الانطلاق في ذلك هي اعتماد النقاش المستمر بين المعماريين والرسامين والنحاتين والمفكرين العرب". وكان السؤال عما إذا كان من الضرورة أن يظل الفن المعماري عندنا عرضة للأفكار الغربية الأوروبية أم أن عليه أن يتأثر بالبيئة المحلية والتقاليد الطبيعية والمواد المتوافرة. "وبالنسبة لي فقد بدأت أتعلم من المعمار التقليدي وأحاول أن أتوصل إلى المواءمة ما بين الأشكال التقليدية والحضور الحتمي للتكنولوجيا الحديثة. كان هدفي ينحصر في خلق معمار ينسجم مع الواقع المكاني الذي يشيّد فيه، وأن لا يسمح بالتضحية بشيء جوهري لصالح الإمكانيات التكنولوجية الحديثة. وفي الوقت نفسه كنت مهتماً بفهم وتحليل التفكير القائم في الطرق التقليدية للسيطرة الطبيعية وانعكاسات الضوء". ويكمل "إن محاولتي المبكرة للبحث في العناصر التقليدية كان لها بعض الأثر على الجيل الأصغر من المعماريين".. و"أن اهتمامي الحالي ينصب على الرغبة في تطوير أكثر للنزعة التجريدية في الأشكال التقليدية المحلية والقومية وقيمها الجمالية بمعزل عن المفهوم الإنشائي للبناية". وقد أظهرت أعماله مدى تطور المزاوجة ما بين التأثير المبكر للمعماري الفرنسي "لكوربوازيه" والهولندي "ميس فان د روي"وبين استنباطه التدريجي لصفات المعمار التقليدي العراقي والعربي ومحاولته الجمع بين التقاليد والتراث الثقافي القديم.

لقد انعكس اتجاه الجادرجي للتزاوج بين الحديث العالمي والتراثي المحلي في المباني التي أعاد صيانتها مثل المساجد والخانات والدور القديمة في العراق. كما تأثر به عدد من المعماريين العرب الشبان عندما وضع أمامهم الجادرجي البدائل لمعمار الأسلوب العالمي المقنن والذي يزداد انتشاراً في الشرق الأوسط متجهاً بهم نحو تنوع واختلاف متجددين.
استطاع رِفْعَتْ الچادرچي أن يدعم أعماله المعمارية بفكر جدلي نقدي تبدى في عدد من مؤلفاته، وبخاصة كتاب "مفاهيم ومؤثرات نحو فن معماري دولي ذي أساس إقليمي"، وهو يرى أننا نستطيع أن نغني تاريخ العمارة المعاصرة بعمارة إقليمية نابعة من العمارة الموروثة، وهو يرى أن العمارة نتاج تفاعل جدلي، فليس من مساواة بين الخصوصية الإقليمية وبين النقل من الماضي، فلكل عصر تقنياته وتعبيراته وقيمه الجمالية الخاصة، كما أن الهروب إلى الماضي ما هو إلا تعثر في سياق التقدم المرموق.
ويؤكد الچادرچي على فكرة مهمة، وهي أن العمارة العالمية لا تزدهر وتغنى إلا بإعطاء فرص للبعد الإقليمي، الذي يثري الدولية المعمارية. [3]

3-8-1 راسم بدران: [13]

يعتبر راسم بدران أحد أهم المهندسين والمنظرين العرب (المولود في فلسطين) الكلاسيكيين الرواد في مجال التجديد والتحديث في العمارة العربية المعاصرة.

تقوم تصاميم بدران على مثلث أضلاعه هي: الماضي – الحاضر – المستقبل. فهو يدرس تاريخ الموقع و يرنو إلى تطوره المستقبلي لكي يصل إلى الحاضر. يعبر من تراكمات الماضي متجهاً إلى المستقبل ليصل بأعماله إلى الآن وهنا.
يدع الجوانب الاجتماعية والثقافية والبيئية تنساب في أعماله. وينطبق هذا على مباني الأسرة الواحدة (مبنى حنظل، عمان) تماماً كما على الأحياء الكاملة (حي فوهايس، الأردن). ويبدو أن شاعرية المكان الأول، التي يتسم بها مسقط رأسه حاضرة في كل أعماله.



الشكل (11) قصر الحكم بالرياض، المصدر[25]



الشكل (12) مسجد الملك عبد العزيز، المصدر[25]

البناء التجميعي للمكعبات، وتدريجها وتداخلها هي أشكال تتردّد دائماً، لتضفي على المباني الكبيرة مثلاً نوعاً من التواضع، وتدخلها في محيطها لتتكامل معه (الجامع الكبير، بغداد).

الاتصال البصري بين الفراغات أو المباني تسهله الفتحات والممرات ومحاور للنظر. الأسطح والأدراج وانسياب الشوارع تخلق مساحات عامة وشبه عامة للالتقاء، لتدعو بذلك للمؤانسة في المكان. حساسيته للطبيعة ودورها تجد انعكاسها في تصاميمه بوضوح، حيث تستفيد التصاميم من حركة الشمس والريح لتؤمِّن محيطاً صحياً للسكن والساكن (مباني سكنية وادي بو جميل، بيروت).

بداهة بدران في جمعه وموازنته بين التقاليد والحداثة تجعل أعماله فريدة، وتجعل منه فناناً أصيلاً ومعمارياً عربياً معاصراً وبارعاً، يضفي حيوية على الأماكن التي يصممها ويعيد كتابة حكاياتها من جديد. [25]

الفصل الثاني: العمارة العربية الموروثة وأهم مبادئها الفكرية.

1-2 الخصائص العمرانية للمدينة العربية الإسلامية:

لقد قسم "هيوروبرت" في كتابه النمط العمراني في الشرق الأوسط تطور مدن المنطقة إلي المراحل التالية:

1- مرحلة ما قبل الإسلام (أي ما قبل عام 650م).
2- مرحلة العصور الإسلامية (من 650م - 1800م)
3- مرحلة التدخل الغربي (من 1800م - إلي 1950م).
4- المرحلة المعاصرة (بعد عام 1950م). [8]

بهذا المنظور التاريخي يمكن متابعة التحولات العمرانية التي مرت بها المدينة العربية الإسلامية. انه من الصعب تحديد الملامح العمرانية للمدينة في المنطقة العربية قبل الإسلام نظراً لاندثار بعضها أو تطوير البعض الآخر بعد الإسلام. فمن المعروف أن معظم المدن التي أقيمت قبل الإسلام كانت في أودية الأنهار مثل النيل أو دجلة أو الفرات. وكان الطابع الغالب على المستوطنات البشرية الرئيسية قبل الإسلام هو الطابع اليوناني الروماني الذي يعتمد على التخطيط الشطرنجي المتساوي التقسيمات مع وجود الأجورا أو "الفورم" كمركز إداري وتجارى للمدينة. أما غير ذلك من المستوطنات فلم تتعد أن تكون تجمعات سكنية أشبه بالقرى عنها بالمدن مع وجود فراغات من الأراضي الفضاء بين بعضها البعض. وتظهر الدلائل الأثرية أن معظم مساكن هذه التجمعات السكنية كان لها أفنية داخلية بسبب الظروف المناخية والبيئية. كما كانت توجد أنظمة هندسية راقية لمد المدن بالمياه والري. فقد ظهرت المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ثم في أجزاء من مصر وشمال أفريقيا، وتبع ذلك امتداد الإمبراطورية الرومانية إلي مناطق شرق البحر المتوسط حيث شيدوا مدنهم في المواقع الدفاعية كمراكز دفاعية تحولت بعد ذلك إلي مراكز تجارية تزخر بالأسواق والمصانع. وتختلف المدن الرومانية عن المدن الأخرى جنوب البحر المتوسط وشرقه. إن التدرج الهرمي للمجتمع في المدينة الرومانية كان واضحا بالنسبة للقرب من المركز الإداري للمدينة فالفئات الأعلى تسكن بالقرب من المركز ثم تأتى الفئات الأقل وهكذا. أما في المدن الأخرى فكان التقسيم الاجتماعي مطبقاً في كل حي على حدة وهذا ما تميزت به المدينة الإسلامية فيما بعد. لقد بدأت مدن منطقة شرق البحر المتوسط في التدهور حوالي عام 300م. واستمر هذا التدهور بعد ذلك مع ظهور الدولة القومية في العراق وإيران وتقهقر الإمبراطورية الرومانية من المنطقة. واستمر هذا الركود العمراني حتى عام 650م وانتشار الدولة الإسلامية غرباً عبر شمال أفريقيا وتركيا، وشرقاً عبر بلاد الفرس. وفى هذه المرحلة شهدت المنطقة أكبر نمو عمراني عبر تاريخها الطويل. الأمر الذي أعطى عمران الدولة الإسلامية خصائصه البيئية المتميزة. كما اتبعت التعاليم الإسلامية لإدارة المدن ببعدها الاجتماعي والحضاري وهذبت من كيان المدن التي فتحها الإسلام واتجه معظم التحضر في العصور الإسلامية ناحية الداخل بعيدا عن المدن الساحلية

فانتقل مقر الحكم في مصر من الإسكندرية على الساحل إلي الفسطاط في الداخل كما انتقل مقر الحكم من تونس على الساحل إلي القيروان في الداخل.



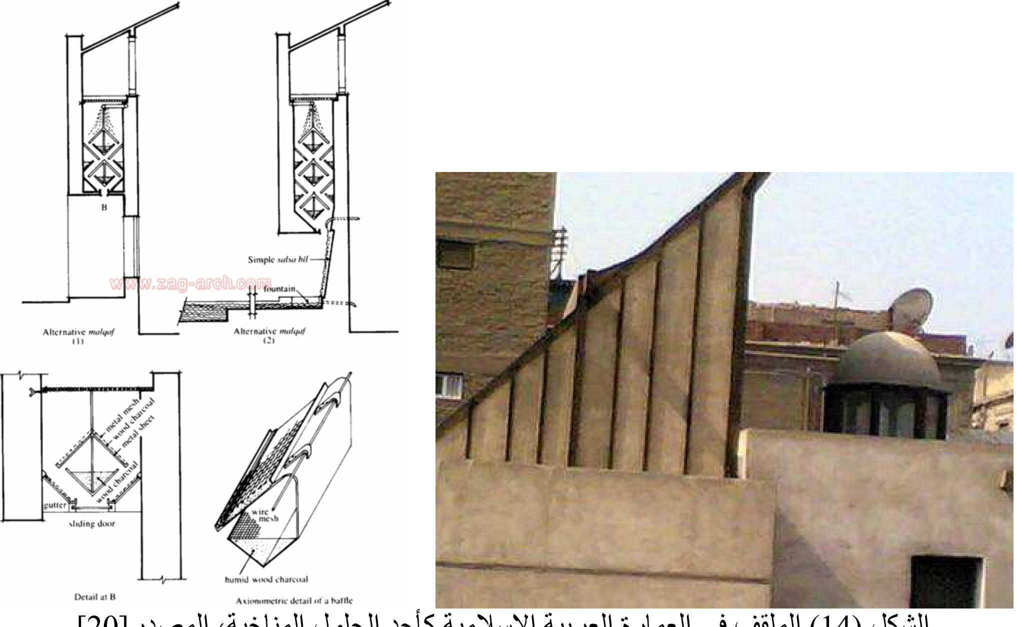
الشكل (13) النسيج العمراني المتضام في المدن العربية القديمة، المصدر[14]

إن التكوين العمراني الاجتماعي للمدينة الإسلامية يصعب تحديده على أساس جغرافي كما هو الحال في المدينة الغربية. فالترابط الاجتماعي والعرقي هو المكون لأحياء المدينة الإسلامية. لذلك فإن وحدة الفكر والعقيدة في المجتمع الإسلامي والتي شكلت البناء العمراني للمدينة الإسلامية يربط مابين الرباط في المغرب غربا وبين مشهد في إيران شرقا. كما يتميز النمط العمراني للمدينة الإسلامية كذلك بوجود سور يحيطها كخط دفاع عن المدينة بالإضافة إلي حمايتها من تلوث الهواء من غبار الصحراء. وتمتد الحركة في المدينة الإسلامية - عند الدخول إليها من أبوابها الكبيرة- على طول القصبة الرئيسية للمدن حيث تتركز الأنشطة التجارية. الأمر الذي يميزها بالاتجاه الطولي للاستعمالات التجارية. كما تمتد بنفس الصورة الأنشطة الحرفية في شكل محلات وورش صغيرة متجاورة متعاونة مع بعضها في إنتاج السلع المختلفة. ويحتل المسجد مركز المدينة في منتصف القصبة وتتبعه المدارس الإسلامية، كما تتركز حوله الحرف المرتبطة بالنشاط المركزي مثل تجليد الكتب والخطاطين وصناعة السجاد أو الأنشطة الحرفية التي تسد حاجة الريفيين فتتجمع حول البوابات الرئيسية للمدينة. ومن القصبة التجارية الرئيسية للمدينة تتفرع الشوارع والطرقات التي تتجمع حولها الأحياء السكنية حيث الهدوء والسكينة والظلال والراحة النفسية والارتباطات الأسرية. وإذا كانت القصبة التجارية قد تغطى بعض أجزائها فإن الشوارع المحلية للأحياء أيضا قد تغطى بعض أجزائها كما هو موجود في مدن شمال أفريقيا.

وتتميز حوائط الطرقات في المدينة الإسلامية بالبساطة وقلة الفتحات والارتفاع القليل الذي يتناسب مع عروض الشوارع. ومع بساطة التعبير المعماري للواجهات الخارجية فإن داخل المساكن يزخر بالثراء في التفاصيل المعمارية والزخارف الداخلية وهذه ظاهرة تعلو وتهبط من منزل إلى آخر تبعاً لقدرة صاحب المسكن. وهكذا تتأكد روح المساواة والبساطة والتجانس في الخارج كظاهرة اجتماعية مع ثراء الداخل تعبيراً عن الحرية الفردية.

الأمر الذي يعكس القيم والتعاليم الإسلامية الموجهة لحركة الفرد والمجتمع. ويعتبر الفناء الداخلي للمسكن ظاهرة اجتماعية تتواءم مع الحاجة المناخية.

ويمتاز التشكيل العمراني للمدينة في فترة العصور الإسلامية بوجود عناصر معمارية متميزة تعبر عن محاولة الفكر المعماري لإيجاد الحلول المعمارية المناسبة لمناخ المناطق الجغرافية المختلفة في العالم الإسلامي. ويعتبر الملقف من أهم هذه العناصر. [8]



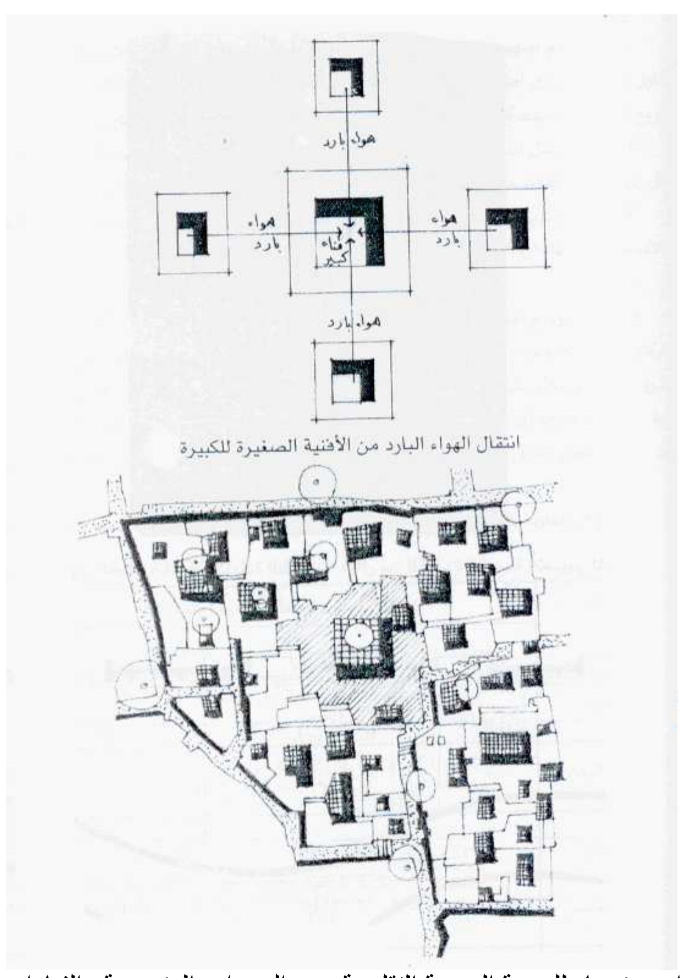
الشكل (14) الملقف في العمارة العربية الإسلامية كأحد الحلول المناخية، المصدر[20]

والملقف يختلف في تصميمه من منطقة إلي أخرى، ففي المناطق الحارة الجافة يوجه إلي ناحية الشمال حيث تهب الرياح معظم أوقات السنة بحيث يتم توجيه هذا الهواء من أعلى إلي أسفل ليمر على عناصر رطبة وذلك لزيادة نسبة الرطوبة في الهواء وبالتبعية لزيادة الإحساس بالبرودة في أيام الصيف الحارة. وفى المناطق الأخرى الرطبة الهواء يوجه الملقف إلي أربع جهات حتى تزيد فرصة هبوب الرياح بحيث يتم توجيه هذا الهواء من أعلى إلي أسفل ليمر على مواد تمتص منه الرطوبة في أيام الصيف وبالتبعية يزيد الإحساس بالبرودة. وفى أحيان أخرى يمكن توجيه الهواء الجاف ليمر على خزانات مياه أسفل المباني لتزيد من رطوبته وفى نفس الوقت ليخفض من درجة حرارة المياه المخزنة. ويعنى ذلك أن العناصر المعمارية في المدينة الإسلامية هي نتيجة طبيعية لتفاعل الإنسان مع البيئة من ناحية ولتجاوبه مع التعاليم الإسلامية والخصوصية من ناحية أخرى.
وإذا كانت القصبة التجارية تعتبر أهم الملامح العمرانية في المدينة الإسلامية فإننا لا نغفل أهمية الميادين العامة في بعض المدن الإسلامية ولكن ليس بنفس أهميتها في المدن الغربية.

2-2 العمارة العربية التقليدية، فلسفة ذات ثلاثة أبعاد:

تعتبر العمارة التقليدية ترجمة واضحة لخصائص التراث العمراني العربي حيث تختزل العمارة التقليدية كل منطلقات و أصول العمارة العربية القديمة و ذلك من حيث الخلفية الفلسفية العقائدية المتمثلة في رسوخ الدين الإسلامي في الفكر العربي بعد الإسلام . و إن كانت الخلفية الفلسفية العقائدية الواحدة هي اللبنة الأولى في أسس العمارة العربية القديمة فان التنوع و الإبداع كان من مظاهر القدرة و التفوق التي أعطت الإطار العام للعمارة العربية القديمة و أبرزت ملامح فن العمارة التقليدية .

فقد كانت العمارة التقليدية ملخص فلسفي ذو ثلاث أبعاد لقصة فنية طويلة لظهور المدن العربية القديمة. كونها نتاج للمدن الكبرى التي ظهرت علي الأرض العربية مثل أور و ماري و منفيس و تنيس و طيبة و مدائن صالح التي كونت ملامح العمارة العربية الأولى و انصهرت ضمن بوتقة فلسفة و عقيدة جديدة انعكست علي العادات و الحياة اليومية . حيث لم تنقطع العمارة التقليدية عن جذورها الأصيلة و تركاتها الغنية مما أدى بها إلى مزيد من التحرر الكامل والتفرد و الخصوصية.



الشكل (15) نسيج عمراني متضام للمدينة العربية التقليدية يبين الممرات المتعرجة والفناءات الداخلية، المصدر[16]

إلا انه من الواجب أن نوضح أن العمارة التقليدية هي نسيج محلي من خيوط محلية أساسية قد نسجت في **ظروف بيئية عالية التأثير** و تعتبر انعكاسا لقدرات المعماريين و البناءين السابقين لتنفيذ طراز خاص من العمارة العربية الإسلامية يتميز بالصبغة المحلية التي تنبثق من عبقرية المكان و تقاليده الأصيلة . كما يجب أن نوضح العمارة التقليدية ليست كما في نظر العامة عبارة عن استخدام لمواد خام محلية بطريقة بدائية التشكيل ، إنما هي **عمارة عالية التقنية** بما يخص طرق البناء و التشكيل مثل تجهيز مواد الكلس و الجص و كذلك عمارة **وظيفية بالدرجة الأولى** و يتضح ذلك من العلاقات الفراغية أبسط وحدات البيت التقليدي و تبرز كيفية الدراسة البيئية باختيار العناصر مثل الملاقف لتبريد الهواء و ختاما الطرق الإنشائية المتطورة مثل القباب المحنية و اختيار المواد التي تتحمل إنشائيا و استيرادها إذا لزم الأمر . و برغم ذلك يجب أن لا نغفل انه لا يمكن أن نجد عمارة تقليدية نقية بمعني إنها نمط محلي خالص تم إنشاؤه بواسطة أشخاص محليين منعزلين عن العالم من حولهم. [12]

أي أن العمارة التقليدية قد تأثرت بعوامل خارجية عديدة و لكن بتأثير محدود لا يغرق في النمطية أو الانزلاق المعماري أو التقليد الأعمى وإنما حافظت علي خصوصية مكانها و إنما كان تأثير العوامل الخارجية عنصرا مساعدا لدعم و تقوية الأفكار المحلية للمعماري المتحرك بحرية ضمن حدود جغرافيته البيئية . و إن كان لنا أن نقدر كم كانت نسبة تلك التأثير الخارجي علي العمارة التقليدية المحلية الخاصة بالمحليات العربية . فإننا من خلال الدراسة الفنية الدقيقة ، نستطيع القول إنها نسبة لا تذكر و لنا مثال علي ذلك مثل الموروث الهائل بالمساجد القديمة من عهد فجر الإسلام حتى نهاية ما يمكن أن نطلق علية حقبة البناء التقليدي الخاصة بالمحليات العربية . ما هو الإضافات التكوينية التي قد ألحقت بالمساجد القديمة التقليدية، نجد أنها لا تتعدى المنبر و القبة و المنارة و نستطيع القول أيضا أنها لم تكن إضافة إنما تطوير للعناصر التكوينية للمسجد بفجر الإسلام.

أي إننا نستطيع أن نلخص أن التأثير الخارجي علي البناء التقليدي الخاصة بالمحليات العربية محدود و يكاد لا يذكر ، عكس ما نراه قائما بالعمارة العربية المعاصرة حيث نشاهد هجرة دائمة و إقامة اضطرارية للأسمنتية الزجاجية للعمارة الغربية إلى بلادنا العربية رغم الرفض الجغرافي و الأيدلوجي و البيئي لتلك النماذج الغربية. حيث طغت العمارة الغريبة الغربية علي المدينة العربية مما هدد شخصيتها و صبغها بطابع لا لون و لا هوية له.

ألا انه دائما هناك أمل في التطلعات نحو الأصالة و محاولة التحرر من عبث المؤثرات الغربية و ذلك بفضل الجهات المعنية المخلصة التي تحاول بناء شخصية عربية عمرانية من خلال نشر وعي يعتمد علي الثقافة التحليلية البناءة و التنظير الفكري المستنير اعتمادا علي الفهم الصحيح لعناصر و وحدات العمارة التقليدية و تحليلها هندسيا و ليس مجرد مسح أو تنقيب اثري و لكن دعوة إلى الأجيال القادمة بأننا نملك تراث عمراني حقيقي غني يبعدنا عن الوجبات المعمارية السريعة المجهولة التكوين و التشكيل.

كما أن الدعوة إلى الأجيال القادمة يجب أن ينظر إليها علي أنها مسئولية كبيرة بل خطيرة حيث انه يجب أن تكون الدعوة إلى استخدام روح التراث العمراني العربي من خلال العلاقات الفراغية لمكونات المبني و التصميم الداخلي عالي الخصوصية و مزايا المواد البيئية المعالجة و علاقة المباني بعضها ببعض و انسجام التخطيط العمراني مع البيئة

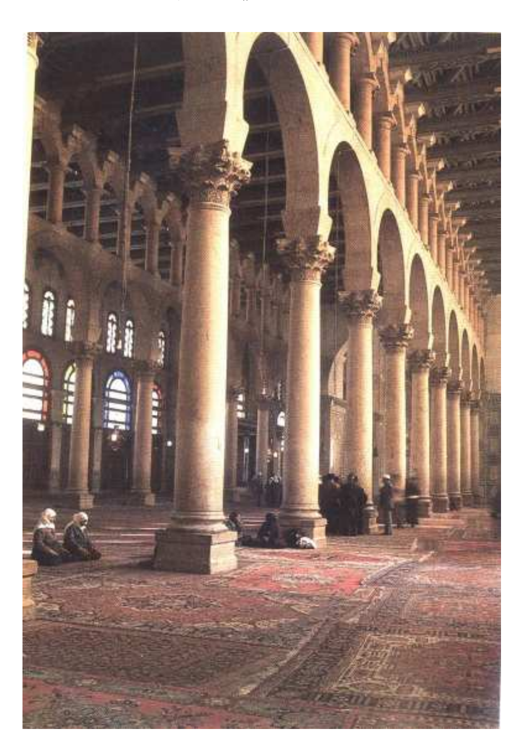
المحيطة و معالجة الأعمال التحتية مراعاة للبيئة و الجغرافية لإقامة مجتمع عمراني متجانس، لا أن نركز دعوانا إلى تصاميم الواجهات بوحدات تراثية مزروعة فقط و الاكتفاء بالحديث عن البراجيل خارجيا فقط و ليس من ناحية المضمون و الوظيفية مما يجعل تلكم الدعوة مبتورة و تفقد المصداقية و تؤدي إلى انفصال بائن بين المراد و الواقع.
ونحو المزيد من التحرر الثقافي و العودة إلى تراثنا العمراني الفريد و إنارة الطريق إلى استرداد البيئة العربية و الجمالية العربية التي تراجعت كثيرا أمام الغزو الثقافي و الاستيراد غير المحدود . نتذكر قول المهندس المعماري العربي شيخ البناءين حسن فتحي: "أني أعتقد أنه قد آن الأوان لكي نقف قليلا خارج الدوامة العارمة التي جرفت كل مقومات ثقافتنا المعمارية لننظر إلى تراثنا نتناوله بالتحليل العلمي و التقويم الموضوعي ، ذلك التراث الذي كونه أسلافنا علي مدي نيف و ألف عام و استمر في التطور إلى عهد قريب ، و الذي استعبدناه بأكمله و أسقطناه من الحساب في كل ميادين النشاط المعماري لعلنا نكون مخطئين في ذلك فنرجع عن الخطأ و نعطي هذا الميراث حقه في الحياة و التطور ، واصلين بذلك ما أمر الله به أن يوصل".[13]

3-2 الإسلام وموقفه من التراث :

حيث أن المسلمين ملتزمون بالشريعة التي هي مصدر الثوابت في العمارة فقد لا يحتاجون إلى التغييرات الجذرية والسريعة والمفاجئة كالتي حصلت للعمارة الغربية من بعد عصر النهضة. ومادام المعماري يخضع تصميماته لمتطلبات الشريعة الإسلامية فهو لا يزال في استمرارية والانقطاع الذي حصل في الشكل الخارجي نتيجة استخدام مواد بناء جديدة وتقنيات جديدة وأشكال تابعة لها نتيجة طبيعية للتطور وهذا من سنن الحياة والإسلام لم يتصادم يوما ما مع تقدم العلوم أو كان يعادي استعمال التقنية المفيدة أو مواد البناء الحديثة كما حصل في العالم الغربي حيث اضطروا إلى التخلي عن الدين كي يواكبوا مستجدات العصر فتقنية البناء والمواد والزخرفة وطرق الإنشاء لا تتمذهب بمذهب خاص ولا تتلبس بجنسيه دون غيرها فهي أمور محايدة NEUTRAL في عرف الإسلام. فأينما ذهب المسلمون شجعوا العمارة المحلية وأضافوا أليها واستخدموا مواد البناء المتوفرة والتقنية بذكاء فأبدعوا لأنهم اعتبروا أن مواد البناء والتقنية من المتغيرات وليست من الثوابت وان الثوابت هي القيم التي يحملها الإنسان ومصدرها الشريعة فالإبداع في هذا المجال لا يمس الدين فلذلك كان هناك التجديد والتطوير والتغيير والتنوع. [10]



الشكل (16) بعض زخارف اعمدة المسجد النبوي الشريف من العمارة الماضية
وهذا يدل على سعة الدين الاسلامي وعدم التضييق، المصدر[10]



الشكل (17) تيجان الاعمدة في المسجد الاموي من عمارة سابقة غير عربية
ومع ذلك لم يتحرج المعماري العربي من توظيفه في عمارته، المصدر[10]

لذلك لما تأثر المسلمون بالثورة الصناعية ودخول المواد المصنعة الجديدة وما رافقها من أنظمة تشييد وتقنية بناء لم يعارضوا ذلك بل على الفور تبنوها واستخدموها مادامت تخدم مصالحهم ولم تتعارض مع الثوابت ، لذلك نجد استعمال الخشب في بيوت مكة في الرواشن والمشربيات بكثرة ومكة شرفها الله تخلوا من الأشجار (أرض غير ذي زرع) وكلها مستوردة ولم ينكر عليهم أحد عملهم ذلك في استيراد مواد من خارج البيئة بل إنها أصبحت

لاحقاً سمة مميزة لعمارة مكة وأطلقت عليها العمارة التقليدية أو التراثية أو المحلية ولكن القيم المستقاة من الشريعة مثل حرمة الجوار و الخصوصية استمرت في العمارة التي استورد موادها من الخارج .

فالثوابت هو ما أثبته الله ورسوله بشكل واضح وصريح وغير ذلك فإنه من المتغيرات ، فإذا تحققت الثوابت في العمارة فالتجديد في المتغيرات لا ضرر فيه وتحديث المتغيرات القديمة ليس به من بأس مادام يؤدى غرض ما ومنفعة للفرد أو للمجموعة ، أما تحجير العمارة في بلاد المسلمين بأنها أنماط وأشكال ثابتة فهذا عين الخطأ فالإسلام دين عالمي سيستمر حتى تقوم الساعة فلا يمكن توقيفه في فترة من الفترات ومن ثم نتمسك بتشكيل المباني أو الفراغ أو بالطرز التي صنعها معماريو تلك الفترة والتي اصطلح عليها بعض المحدثين خطأ بأنها عمارة إسلامية وغيرها بأنها غير إسلامية . وفي نفس الوقت لا يوجد ضرر من استعمال المحبين والمشجعين للطرز التي أفرزتها فترة من الفترات وكانت من التراث (حسب التعريف الذي ذكرته سابقاً) أو دمجها مع العمارة الحديثة لإنتاج عمارة ما بعد الحديثة .

إذاً الإسلام ليس ضد مواد بناء آتية من الغرب أو من الشرق ولا نستطيع أن نقف ضد استخدام التقنيات الحديثة (الغربية أو الشرقية) أو مواد البناء المستوردة أو الاختراعات بحجة أنها غربية أو حديثة ولكن يجب أن يكون عندنا مصفاة ، يجب أن نفرق بين الأدوات والقيم. فلقد انتشر في مكة والمدينة وجدة المشربيات والرواشن المصنوعة من الخشب وكلها كانت مستورده لعدم توفر الخشب في الحجاز وأصبحت فيما بعد من العمارة المحلية والتقليدية

إذاً العمارة تتكون من مواد بناء ونظم هي من المتغيرات وكذلك تتأثر **بالقيم والمبادئ وهي من الثوابت** فبالمحافظة على الثوابت وباستخدام المواد والتقنية والأساليب الحديثة نحافظ على الاستمرارية ونحصل على عمارة مناسبة تواكب التغيير وتصبح لاحقاً من التراث .

إذاً الخطأ ليس في استيراد أو جلب التقنية أو مواد البناء أو تقليد الماضي أو الاستفادة من التراث وخلافه ولكن الخطأ هو في التقليد وان ظهر مساوئه وعيوبه وعدم جدواه أو الاستيراد لما يسبب ضرراً للمجتمع أو القيم .

فالتشريعات الخاصة بالبناء والإسكان في الدول العربية ما هي إلا ترجمه للتشريعات الغربية مما سبب عند تطبيقه في البلدان العربية في القضايا الاجتماعية تناقضاً واضحاً ظهر جلياً في العمران مثل نظام الارتداد والمنقول من بريطانيا سبب في تغيير النسيج العمراني وخرق حرمة الجوار بالسماح في عمل فتحات تطل على الجيران بعد تطبيق الارتداد ، فلو أردنا أن نبنى تحت ظل هذا النظام مباني من الطين والحجر ومزينة بالمشربيات والعقود والقباب والمثلثات فسينتج نسيجاً عمرانياً لا محالة كما هو في المعاصر وستجرح الفتحات حرمة الجوار ، فيما يدل على أن الشريعة وليس مواد البناء ولا التقنية ولا الزخارف كانت السبب في إعطاء الهوية للبيئة الإسلامية ولقد قدم الدكتور صالح الهذلول في كتابه المدينة العربية الإسلامية أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية .

فالإسلام دين عالمي لا يتقيد بزمان ولا مكان ولم يقف يوما حجر عثرة أمام تطور التقنيات أو استخدام المواد الجديدة أو تحجير وتضييق مفهوم العمارة بزخارف ومفردات سطحية أو مواد دون مواد أو تقنية دون أخرى فهذا التصنيف والتحجير أتى من كتابات بعض ممن عنوا من الغربيين بتاريخ العمارة في البلدان الإسلامية وتبعهم في ذلك من قراء كتبهم وتحمس لها أو درس على أيديهم، أي إذا كانت العمارة الإسلامية هي العقود والأقواس مثلا فإذا أتينا إلى بيئة ليس فيها عقود أو قبب مثل منطقة نجد والتي ليس بها عقود أو مشربيات مثلاً فهل هذا يعنى أن نشك في إسلاميتهم.

لذا ينبغي للمعماريين أن يتفهموا احتياج المجتمع أولاً ومن ثم إيجاد الحلول الملائمة ومعالجة المشاكل الناتجة سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو مناخية أو تضاريسية أو تقنية .... الخ ويعملوا على احترام الثوابت الإسلامية ، عندها فقط نحصل على استمرارية التراث وألا فالفجوة ستظل قائمة لتقليدنا للغرب سواء من الذين يقدسون التراث العمراني ويرون أن المنتج المعماري هو المصدر لاستنباط القيم والمعاني بدلاً من الرجوع إلى الأصول التشريعية ال أثرت على المنتج فظهر بذلك الشكل أو من الذين غلو في القطيعة مع التراث وان الاقتباس منه جريمة وخطيئة وان أحاطت بنا عمارة مليئة بالرواشن والقبب والزخارف والمثلثات.

فان كلمة "العمارة الحديثة" يجب أن لا تفهم خطأ ضمن المجتمع الإسلامي ، فالجديد والحديث لا يعني الأفضل أو الأحسن ولكنها صفات تطلق على الأشياء فالجديد هو ما لم يكن لنا به عهد سابق وهو نقيض البالي، والحديث نقيض القديم فكل جديد حديث وليس كل حديث بجديد ، فكل المباني كانت حديثة ثم أصبحت قديمة وأيضا كلها كانت جديدة ثم أصبحت باليه وهذا لا يفيد أنه جيد أو رديء ، ملائم أو مناسب ، قبيح أو جميل ، ففي تعاملنا مع المشاريع المعمارية يجب أن ننظر إلى كل مشروع على حده ونعرف الغرض الذي من أجله عمل هذا المشروع ومدى الحاجة إليه وهل حقق الغرض والاحتياجات أم لا وعلى هذا يتم النقد والتذوق.

لذلك لا يوجد مانعا من استعمال المواد الجديدة والحديثة على بيئتنا ولكن الأهم من ذلك هو تطوير صناعة البناء والتقنية المحلية وان نعرف كيفية التعامل مع الجديد ضمن إطار الشريعة الإسلامية ولا يجب خلط الأمور وجعل أشياء لا علاقة لها بالإسلام وإضفاء صفة القدسية لها وهى ليست منه في شيء وهنا يأتي دور المؤسسات التعليمية والمؤتمرات في تثقيف المعماريين واستعمال المصطلحات والألفاظ الصحيحة في النقد والشرح وتشجيع التذوق الفني وإزالة كل تعصب مذهبي فني.

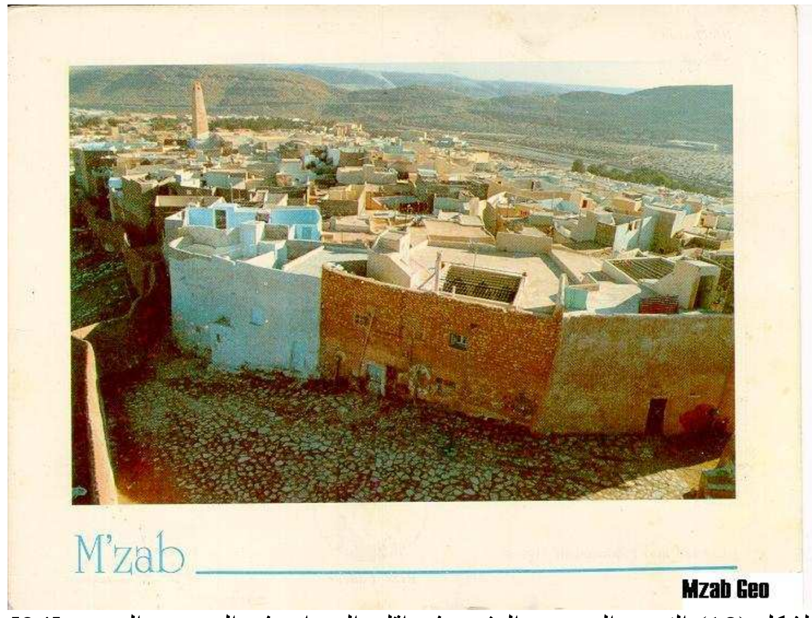
وما هو مطلوب حقاً من المعماريين الممارسين والأكاديميين والباحثين في الجامعات ربط الحاضر بالماضي في الجوهر وليس في المظهر فقط والعمل على استمرارية التراث وتجنب الفصل القائم بين الماضي والحاضر روحياً .

2-4 القيم والمفاهيم الفكرية في العمارة التراثية: [14]

كانت العمارة على مرّ العصور الإسلامية مرآة تعكس المقومات البيئية و الحضارية للسكان في كل عصر سواء كانت من الناحية الاجتماعية أو الثقافية أو من الناحية الطبيعية و المناخية، و كانت تحمل في مجملها و تفاصيلها كثيراً من القيم المعمارية التي استمرت تحملها على مرّ العصور، و التي يمكن أن تمتد إلى العمارة المعاصرة في المجتمعات الإسلامية، و يمكن إجمال هذه القيم على النحو التالي:

2-4-1 التعبير العضوي للعناصر المعمارية:

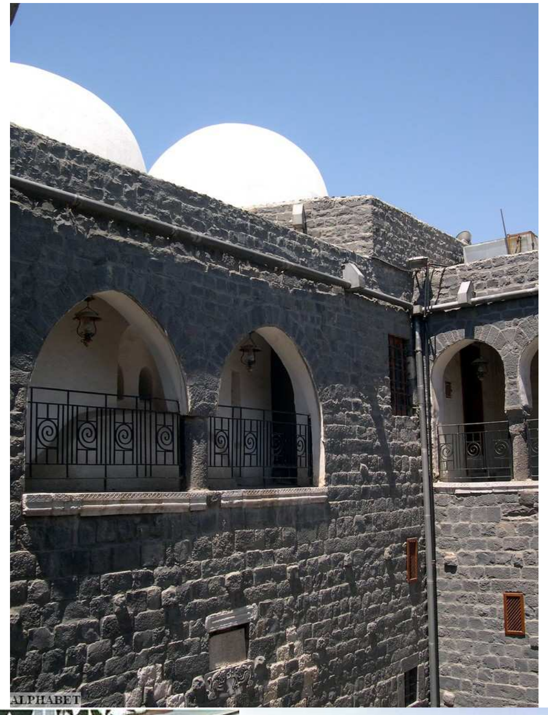
يعكس التشكيل العام للعمارة الإسلامية وظائف المكونات المختلفة للمباني و ذلك دون الارتباط المسبق باعتبارات تشكيلية أو معمارية معينة، و لذلك ظهرت التشكيلات المعمارية في العمارة الإسلامية في صورة عفوية و تلقائية واضحة ليس فيها تكلف أو تصنّع، الأمر الذي يوضح صفاء الفكر المعماري و تلقائية التعبير. و التشكيل المعماري للعمارة الإسلامية بذلك كان يعبر بصدق عن الوظيفة و البيئة الطبيعية و الثقافية و الاجتماعية السائدة.



الشكل (18) التعبير العضوي العفوي في إقليم الميزاب في المغرب، المصدر[24]

2-4-2- التباين بين المسطحات المقفلة و المفتوحة:

يظهر التباين بين المسطحات و الفتحات في العمارة الإسلامية نتيجة لطبيعة و طرق الإنشاء التي كانت تعتمد على مواد البناء المحلية مثل الحجر أو الآجر، الأمر الذي أعطى معظم الفتحات اتجاهاً طولياً و أوجد العقود لتغطية الفتحات الكبيرة، و يؤكد التباين بين المسطحات المقفلة و المفرغة اعتبار العناصر المعمارية أعضاء مميزة في تكوينات متكاملة، فلا توجد هناك ارتباطات تشكيلية مفتعلة سواء بخطوط رابطة أو بمسطحات ألوان أو بغير ذلك من الوسائل أو الإضافات المعمارية السطحية التي لا ترتبط بوظيفة أو بمنطق أو تعبّر عن قيم معمارية أو حضارية، كما يظهر في كثير من التشكيلات المعمارية الحديثة .





الشكل (19) التباين بين المسطحات المقفلة و المفتوحة في بيوت حمص القديمة، المصدر[21]

2-4-3- التعبير المعماري للعناصر الإنشائية:

يظهر التعبير المعماري للعناصر الإنشائية جلياً في العمارة الإسلامية خاصة في المباني السكنية، حيث تظهر أعتاب الأبواب الحاملة للأبراج معبرة عن صراحة الإنشاء، و بنفس التعبير تظهر الأكتاف الإنشائية للمباني كما تظهر صراحة الإنشاء في طرق التسقيف و يؤكد هذا التعبير عدم استعمال الإكساء في تغطية المواد المستعملة في البناء سواء كانت من الحجر أو الآجر، هذا في الوقت الذي تظهر فيها الأعمال الخشبية بلونها الطبيعي مؤكدة مرة أخرى صراحة التعبير. و عندما لا تظهر مادة الإنشاء واضحة كانت تغطيها مادة طبيعية أخرى مثل "القيشاني" أو "الكاش المزخرف" فالعمارة الإسلامية بفارس و أفغانستان شرقاً و المغرب غرباً غنية بهذه الأمثلة . [14]


الشكل (20) التعبير المعماري للمواد الإنشائية في البيوت الكويتية القديمة، المصدر[27]

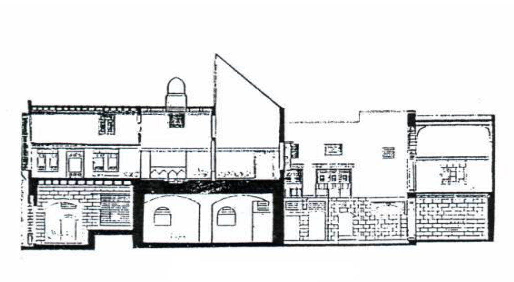
2-4-4- التناغم في التشكيل المعماري:

يعتبر التناغم من القيم الواضحة التي تظهر في التعبير المعماري للواجهات في العمارة الإسلامية وأكثر ما يظهر هذا التناغم في واجهات المباني العامة، و قد يظهر هذا التناغم بإيقاع غير منتظم كما في الواجهة الرئيسية لمدرسة السلطان حسن بالقاهرة، حيث يتكرر التشكيل الطولي للفتحات على مسافات غير منتظمة. و يظهر متجانساً كما في وجهات المباني السكنية التي تعكس خلفها حركة متصلة بين مجموعة من المستويات الأفقية للعناصر المختلفة. و يظهر التناغم والإيقاع المعماري كذلك في الفتحات المثلثة التي ظهرت في المباني القديمة بوسط الجزيرة العربية حيث استعمل الطين كمادة للبناء التي انعكست على الفتحات بشكل مثلثات من البناء ظهرت كذلك مع خط السماء في تناغم مستمر يربط جسم المبنى بزرقة السماء و يرتفع هذه التناغم من آن لآخر عند الأركان ويشترك في هذا التشكيل معظم المباني الصحراوية سواء في الجزيرة العربية أو في واحات مصر.


الشكل (21) التنغيم في التشكيل المعماري، المصدر[23]

2-4-5- تكامل الفراغات (الحيز المنساب) :
يعتبر تكامل الفراغات و تداخلاتها من أهم القيم التصميمية للعمارة الإسلامية و خاصة في المباني السكنية. و تتأكد هذه الظاهرة في العلاقات الفراغية بين القاعة و الفناء و ارتباط فراغ غرف الطوابق العليا بفراغ طوابق السفلى، كما تتأكد هذه الظاهرة كذلك في التباين و الانتقال المفاجئ من الفراغ الضيق الملتوي للمدخل إلى الفراغ الأكبر في الفناء الداخلي للمبنى. و تساعد هذه الظاهرة في نفس الوقت على امتصاص الهواء و تفريغه و تجديده داخل المبنى . [14]



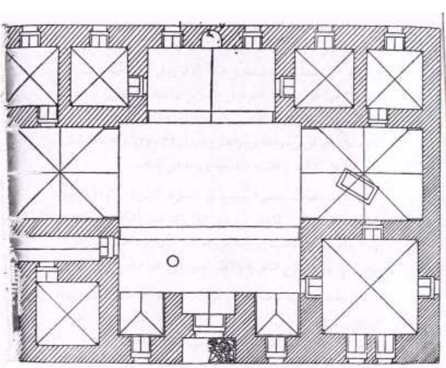




الشكل (22) تكامل الفراغات والمدخل المنكسر في البيوت الدمشقية القديمة، المصدر[22]،[14]

2-4-6- التوجيه إلى الداخل:
يعبّر توجيه المباني إلى الداخل عن طبيعة الحياة الاجتماعية و الظروف المناخية، الأمر الذي استبدل معه الفراغ الخارجي بالأفنية الداخلية حتى تستوعب النشاط الخاص بالسكان. و بذلك تظهر المباني الإسلامية متلاصقة ليس بينها أي مسافات أو فراغات تعكس ما تتجه إليه العمارة المعاصرة في المدن الإسلامية، و تختلف نسب أطوال و عروض و ارتفاعات الأفنية الداخلية. فهي تتراوح من 1:1 إلى 2:1 إلى 4:3 في المقسط الأفقي و 2:1 في المسقط الرئيسي. و في حالات الصالات المرتفعة أو القاعات و التي تعتبر بمثابة أفنية مغلقة داخل المبنى فيظهر فيها عنصر آخر يربط الفراغ الداخلي بالخارج و ذلك في شكل القبة أو الغطاء العلوي للقاعة و التي تمثل السماء التي تنعكس على سطح النافورة التي تتوسط أرض هذه القاعات . [14]
تمتاز العمارة الإسلامية بالخصوصية الداخلية، فأي مبنى سواء أكان مسجداً أم مدرسة أم مسكناً، فإنه يحمل الطابَع الداخلي بمعنى أن عمارته الخارجية أقل شأناً من عمارته الداخلية، ونرى ذلك في المساجد الأولى، كالجامع الأموي بدمشق وجامع عقبة في القيروان وجامع قرطبة، كما نراه بشكل شامل في المساكن والقصور. إن الخصوصية الداخلية هذه تنسجم في المباني الخاصة، مع شاغل المبنى الذي يبحث عن مجال خاص به يستقل فيه عن العالم الخارجي، ولذلك فهو يغني هذا المجال الداخلي بأروع الزخارف والأثاث المعماري، ويهمل الواجهات الخارجية لأسباب كثيرة أبرزها رغبته بعدم التظاهر والتفاخر والمباهاة، وتدخل هذه الخصوصية في نطاق مفهوم المقياس الإنساني.







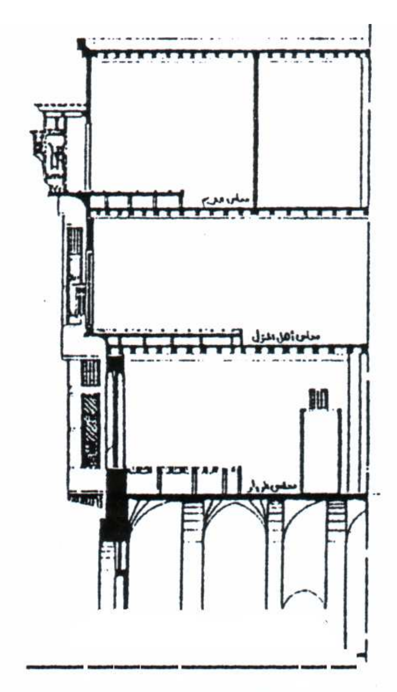
الشكل (23) التوجيه نحو الداخل، المصدر[19]

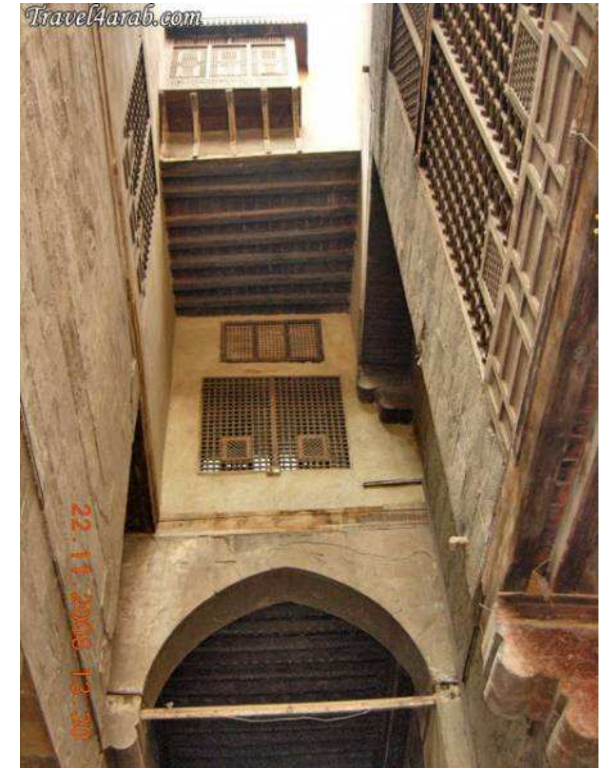
2-4-7- خط القطاع الخارجي للمبنى:

من الملامح المعمارية التي تتميز بها بعض المباني في العمارة الإسلامية خط القطاع الخارجي وخاصة في المباني السكنية.

إن خط القطاع الخارجي يحدد جانبي الشارع و في هذا القطاع تزداد البروزات تدريجياً من الطوابق السفلى إلى الطوابق العليا، الأمر الذي يساعد على تظليل جوانب المباني و زيادة الانتفاع بالفراغ العلوي للشارع، ومنه تطور لينتج عنه السيباط . [14]

و قد ظهر هذا الاتجاه المعماري أخيراً في كثير من المباني الحديثة في مدن الغرب بالرغم من اختلاف الظروف المناخية، كما في تصميم دار المدينة في بوسطن بالولايات المتحدة و في المبنى الإداري الذي صممه المعماري الإيطالي "رودجرز" في "ميلانو"، و في غيرها من المباني التي صُممت بمثل هذا التشكيل حتى أصبح اتجاهاً تصميمياً يلجأ إليه المعماريون في مبانيهم الحديثة في الدول العربية تقليداً لتطوره في العمارة الغربية، و ذلك دون تمييز بين الخصائص المعمارية التي تتميز بها العمارة المحلية في كل دولة بل و في كل منطقة من هذه الدول.





الشكل (24) ازدياد البروزات للطوابق العليا في خط القطاع الخارجي للمبنى، المصدر[27]،[14]

2-4-8- معالجة الظروف المناخية (التحكم المناخي) :

من الملامح المعمارية التي تعكسها العمارة الإسلامية ظهور العناصر المعمارية التي تخدم الظروف المناخية. فإلى جانب الأفنية الداخلية تعتبر الملاقف من أهم العناصر المميزة التي تخدم هذه الظروف. و يختلف تصميم هذه الملاقف باختلاف المناطق المناخية و اتجاهات الرياح و رطوبة الجو فيها، فظهرت أنماط لها مثل "البادجير" في منطقة الخليج. [14]

إن نظام الملقف يبقى النظام الأمثل للتهوية والترطيب في المباني الإسلامية التي تقوم في بيئة جافة تميل إلى الحرارة، وهو نظام اقتصادي وصحي ولا بد من العودة إليه في أبنيتنا الحديثة. لا ليكون صيغة معمارية جمالية كما في جبل علي في دبي، بل لكي يؤدي وظيفته الصحية والاقتصادية .

كذلك نجد المشربيات في العناصر الأخرى التي تخدم الظروف المناخية و الاجتماعية معاَ و قد ارتبط اتساع فتحاتها بمستوى نظر الإنسان حيث تضيق هذه الفتحات عند مستوى النظر و تتسع بالتدريج إلى الأعلى من هذا المستوى، و المشربيات و إن كانت تساعد على رؤية الخارج دون رؤية الداخل من الخارج إلا أنها كانت تستعمل لترطيب مشارب المياه و تبريدها. و العمارة الإسلامية بالإضافة لذلك غنية بالعناصر الأخرى، مثل النوافذ ذات الضلف التي تنزلق إلى أعلى أو إلى الجانبين أو غيرها من الأشغال الخشبية المستعملة داخل المباني أو خارجها .

لقد راعى المعمار استعمال الحجر والآجر والخشب في عمارته بسِماكاتٍ مناسبة لحماية سكان المبنى من البرد والحر الخارجي .

لقد روعي في غرف المسكن، كما في حرم المسجد، أن يكون مستوى الأرض فيها أعلى من مستوى أرض الفناء أو الصحن، والسبب أن الهواء البارد أثقل من الهواء الدافئ، ويبقى مستقراً في قعر الفِناء تصده عن دخول الغرف عتبات عالية في أسفل الأبواب، ويبدو هذا النظام أكثر وضوحاً في القاعات التي تعلو أرضها على شكل منصة أو منصتين يعلوان عن مستوى أرض القاعة، فتكون حائلاً ثانياً يمنع تسرب الهواء البارد إلى مستوى أرض المنصة .

بالإضافة إلى توجيه الغرف والإيوان بما يتلاءم مع حركة الشمس على مدار السنة واختلف من بلد لآخر حسب التوزيع الجغرافي .





معالجة الظروف المناخية.

الشكل (25) بعض أساليب معالجة الظروف المناخية، المصدر[14]، [25]

2-4-9- التشكيلات الهندسية والزخارف:

من الملامح المعمارية التي تعطيها العمارة الإسلامية تلك التكوينات و التشكيلات الهندسية التي تظهر في التفاصيل المعمارية الدقيقة التي تكون العناصر المعمارية الكبيرة و هي تقسيمات هندسية متكاملة متداخلة تستعمل في الأجزاء المفرغة كما في الفتحات و النوافذ أو في الأجزاء المقفلة كما في الأبواب و الأثاث الداخلي، و هناك عدد لا حصر له من هذه التشكيلات و تظهر هذه التكوينات الهندسية كذلك في الزخارف التي تغطي الحوائط سواء من الرخام الملون أو الفسيفساء، و الفن الإسلامي غني بهذه التكوينات الهندسية المبنية على أسس هندسية لها معانيها الخاصة في الرسم و التنفيذ .

تبقى الزخرفة من أهم خصائص الفن المعماري الإسلامي. صحيح أن مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أول منشأة معمارية إسلامية، كان في بدايته شديد البساطة والتقشف، فهو مجرد سقيفة من سعف النخيل تقوم على جذوع النخيل، ولم يكن البناء مزيناً بأي عنصر زخرفي، إلا أن إعادة بناء المسجد بأمر الوليد بن عبد الملك، وفي عهد والي المدينة عمر بن عبد العزيز، قد تم وفق أسس معمارية جديدة حافلة بالزخارف والفسيفساء، على غرار مسجد دمشق. ولقد وصف هذا المسجد العالم الفرنسي (سوفاجيه) ورسم زخارفه في كتابه عن هذا المسجد . يقوم فن العمارة الإسلامية على تكوين التصميم حسب تقاليد الهندسة المعمارية

الإسلامية، وتبعاً للشروط الوظيفية، كما يقوم على ابتكار الزخارف النباتية والهندسية والخطية الجميلة. ولقد سارت الزخارف قدماً حتى طغت على التصميم، ونرى مراحل ذلك واضحة في جامع قرطبة سواء"بالقسم الذي أنشأه أولاً عبد الرحمن الداخل على غرار المسجد الأقصى في القدس والمسجد الأموي بدمشق. ثم أضيفت لهذا المسجد إضافات غيرت شكله وأغنته، ففي عام (848م) قام عبد الرحمن الثاني بإنشاء زيادة باتجاه العمق بمقدار ست وعشرين متراً. ثم تابع الحكم الثاني بن عبد الرحمن الناصر سنة (965م) إنشاء زيادة في الجنوب استمراراً للزيادة الأولى؛ وعلى امتداد جامع عبد الرحمن الداخل. ومن خلال هذا التسلسل التاريخي والمعماري يتوضح لنا تدرج طغيان الزخارف حتى بدا المحراب في قسم الحكم من أروع المحاريب الإسلامية زخرفة وفخامة، وكانت قباب هذا القسم مفخرة الزخرفة الإسلامية. ثم يضيف الحاجب المنصور الإضافة الثالثة سنة (992م) على امتداد الجامع من جهة الشرق . [14]

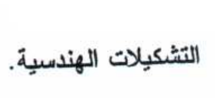
إن تطور زخارف التيجان والأقواس والقباب في أقسام جامع قرطبة يقدم لنا المثال الصريح على زيادة تدخل الزخرفة في تكوين فن العمارة الإسلامية.

الزخارف التي تسمى الرقش العربي Arabesque هي من أبرز آيات الإبداع الفني الإسلامي، ولكن طغيانها على فن العمارة وبخاصة في قصور الحمراء في غرناطة كان سبباً في حصر العمارة ذاتها في نطاق الزخرفة.

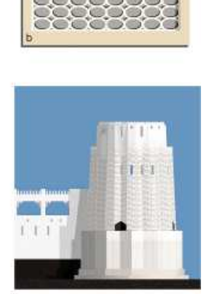
تبقى الكتابات التي زينت سقوف وأفاريز العمارة الإسلامية من أهم عناصر الإبداع المعماري، بيد أن هذه الكتابات، على جمال الخطوط فيها، تبقى وثائق مفيدة في تاريخ العمارة الإسلامية .وأقدم الخطوط الجميلة التي زينت العمارة الإسلامية، هي الخطوط الموجودة حتى اليوم في أفاريز قبة الصخرة من الداخل، وهي تؤرخ بناء المسجد مع آيات قرآنية كتبت كلها بخط كوفي لين مرصوفة بأحجار الفسيفساء التي تزين هذه القبة. وتكاد لا تخلو عمارة إسلامية من كتابات نقشت على الحجر أو الخشب أو نفذت بالفسيفساء والخزف وموضوع أكثرها آيات قرآنية كريمة. والمتأخر منها يتضمن مآثر المنشئ ودوره في إعمار البناء .وهذه الكتابات تحدد تطور الخط العربي منذ نشأته الأولى إلى ظهوره بالأسلوب الكوفي والأسلوب الثلث. وفي المساجد الفارسية المملوكية والعثمانية روائع الخط العربي التقليدي المبتكر بشكل شطرنجي أو تصويري.











الشكل (26) الزخارف والتيجان والأقواس في العمار الإسلامية، المصدر[24]، [14]

2-4-10- تنسيق المواقع:

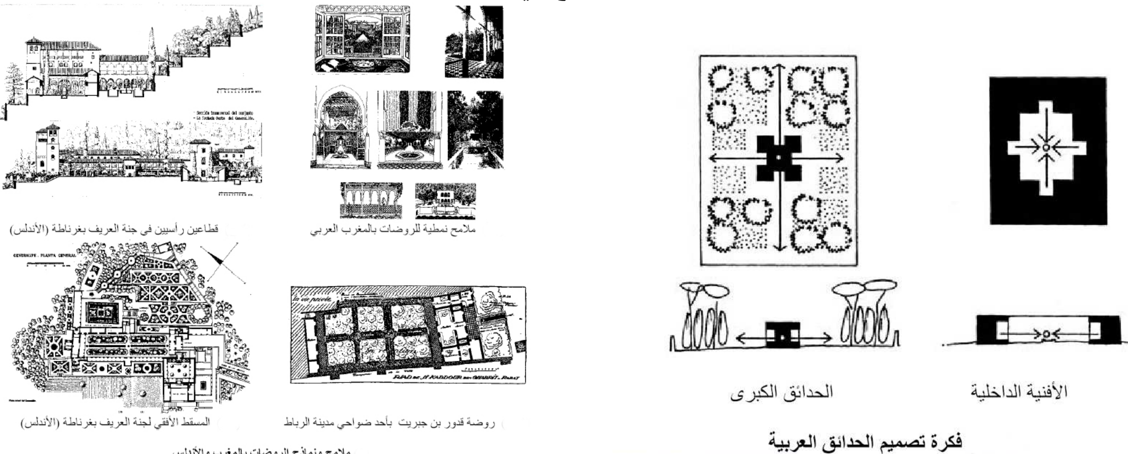
لقد كان لتنسيق المواقع أهمية خاصة في الأفنية الداخلية للمباني و ذلك نظراً لظروف البيئة الطبيعية الجامدة التي كانت تعيش فيها المدن الإسلامية. كما كان هناك العديد من أمثلة تنسيق المواقع على مستوى المدن العربية القديمة مثل الحدائق المعلقة التي ظهرت في مدينة المنصور ببغداد حيث استعملت المستويات المختلفة في تصميم مثل هذه الحدائق.

كما توجد أمثلة أخرى رائعة تظهر فيها حركة المياه في القنوات و النافورات في داخل و خارج المباني كما في قصر الحمراء في غرناطة و في كثير من المباني السكنية الأخرى حيث أعطى تنسيق الأفنية اهتماماً خاصاً ليس فقط بسبب المعيشة اليومية للسكان فيها، و لكن أيضاً لفائدتها في تلطيف الجو الداخلي للمباني و تكييفه طبيعياً .

وفي جميع المباني كانت المياه وسيلة نظافة وترطيب ومتعة عندما كانت تتدفق من الفوارات والسلسبيل في فسقيات وبرك مختلفة الأشكال. ولقد درس اتجاه المبنى؛ لكي يتفق مع الحاجة إلى دفء الشمس، مع ضرورة الوقاية من دخان المطابخ وروائح المراحيض .



تنسيق المواقع في قصر الحمراء

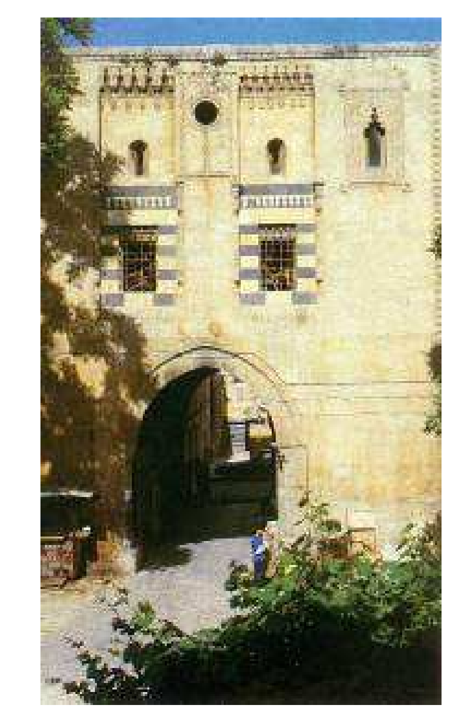


الشكل (27) تنسيق المواقع في العمارة العربية الموروثة، المصدر[24]، [15]

2-4-11- تنوع أساليب البناء بتنوع مواده:

لقد اختلفت أساليب البناء في العمارة الإسلامية القديمة باختلاف البيئة الطبيعية و الصناعية في كل بلد من بلدانها، الأمر الذي أوجد الاختلافات الواضحة في التعبير المعماري في هذه البلدان و إن كان يربط بينها وحدة حضارية واحدة تتمثل في السلوك الاجتماعي والثقافي.

و يعني ذلك أنه مع اختلاف أساليب البناء فإنه يمكن أن يكون هناك وحدة تعبيرية عن العمارة الإسلامية مع أن لكل أسلوب من أساليب البناء إمكانياته المعمارية الخاصة سواء أكان البناء بالآجر كما في العراق أو إيران و المغرب العربي أو بالحجر كما في سوريه و مصر أو بالطين كما في اليمن والمناطق الصحراوية في شبه الجزيرة العربية. و سواء أكان ذلك بالنسبة لبناء الجدران أو طرق التغطية أو الأسقف، و يعني ذلك أن اختلاف مواد البناء لا يؤثر على وحدة التعبير في العمارة الإسلامية الذي يضمن لها الاستمرارية الحضارية ويؤكد لها صفة المعاصرة مع انتشار مواد البناء وتنوعها في وقتنا الحاضر مما يتيح للمعماري التشكيل والإبداع في واجهات الأبنية الحديثة .



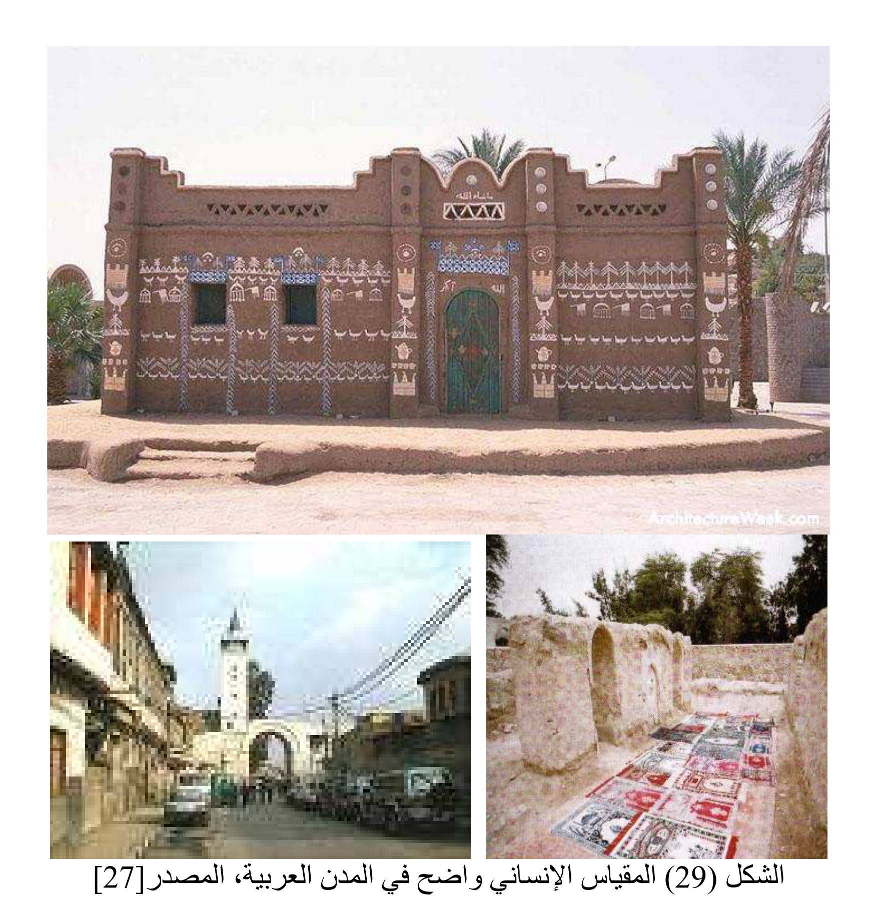




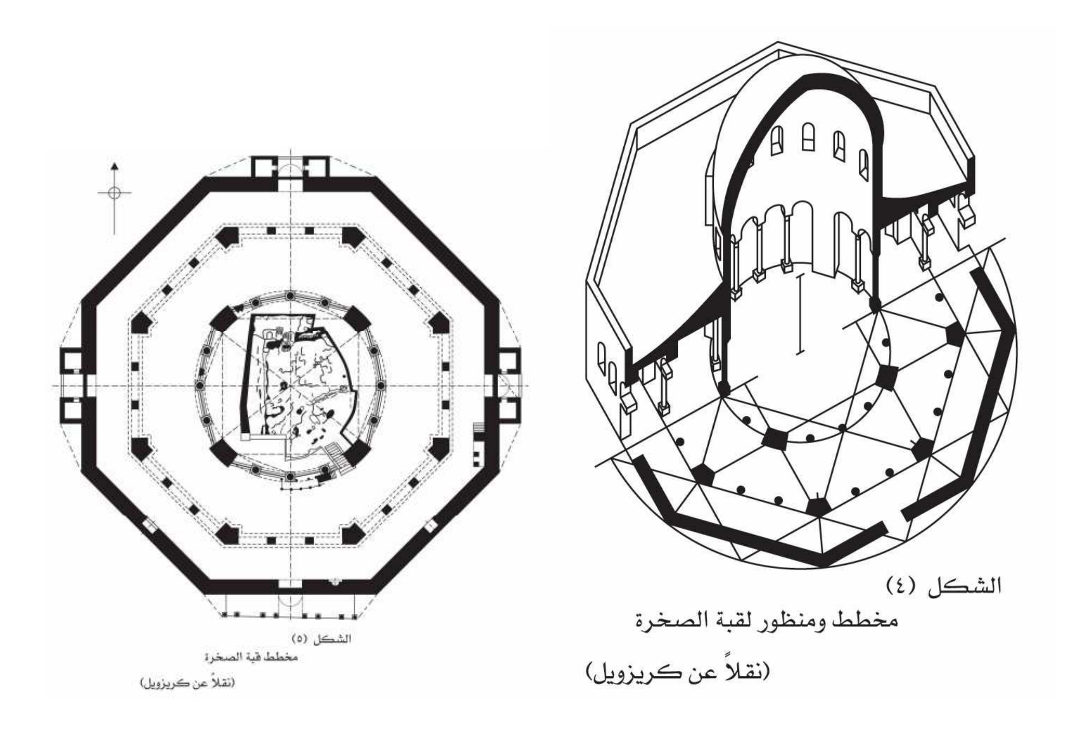


الشكل (28) تنوع أساليب البناء حسب المادة المتوفرة في كل بلد، المصدر[19]، [29]

2-4-12- المقياس الإنساني:
لعل أبرز سمة من سمات العمارة العربية الإسلامية هي أنها عمارة ذات أبعاد إنسانية بكل معنى الكلمة.
لقد توضح هذا المقياس بالمقارنة مع المقياس الرياضي الذي قامت عليه العمارة الغربية منذ عهد الإغريق والرومان وحتى الفن المعماري الحديث، والمقياس الرياضي يقوم على الخضوع الكامل للنظام الذي تكوَّن بفعل العلاقات الهندسية الرياضية وبواسطة الأدوات كالمسطرة والفرجار، بينما قامت العمارة الإسلامية على الارتباط العضوي بحاجات الإنسان وظروفه المناخية والاجتماعية، وبعقائده ومُثله، وكانت أداة المعمار ذراعه وكفه وإصبعه وخيطه الذي قاس به المسافات وأقطار الدوائر عند إنشاء الأقواس والقباب والقبوات، و به صنع الشاقول لكي يحدد استقامة البناء. وكان حدسه، وليس عقله فقط، دليله في تصميم البناء وفي تزيينه وزخرفته، وفي بنائه وتدعيمه.
ولقد ارتبط المعمار ارتباطاً وثيقاً بمصلحة الساكن وحاجاته العائلية والاجتماعية وبطبيعته النفسية، وبقدرته على التفاعل مع البيئة.
لقد تكون المقياس الإنساني في العمارة الإسلامية منسجماً مع الثوابت المُناخية والتقاليد وروح الحضارة الإسلامية، وليس سهلاً استيراد هذا المقياس وتطبيقه في غير موطنه، وكذلك ليس ممكناً اعتماد المقياس الهندسي الرياضي لتحليل ودراسة فن العمارة الإسلامية.
لقد صنع المسكن لكي يكون موطن صاحبه ضمن إطار تاريخه وعقائده، وفي إطار حضارته وثقافته وعقائده الإسلامية. [14]
فالسمة العامة للمدن العربية هي الارتفاعات المنخفضة التي تشعر الساكن بالحميمية والراحة النفسية خارج المنزل وداخله.
على أن العمارة الإسلامية إذ قامت على المقياس الإنساني، فإنها لم تكن خالية من المنطق العلمي والبحث الرياضي، لقد أسهم المسلمون في وضع الأسس الرياضية الأساس لإقامة المنشآت والعمارة والعمران، وكان الخُوارزمي أول من أوجد الأعداد ومنازلها، وابتكر الصفر وعلم اللوغاريتم المأخوذ عن اسمه، ووضع الخُوارزمي كتاباً في حساب الجبر والمقابلة، وقدم المعادلات الجبرية الأساس. واستطاع أبو كامل شجاع بن أسلم أن يحل المعادلات ذات المجاهيل الخمسة. وكان من الرياضيين ثابت بن قرة الذي اشتغل في الحجوم المكعبة والأشكال المربعة، أما أبناء موسى بن شاكر، فلقد وضعوا مصنفاً عرف باسم (كتاب معرفة مساحة الأشكال) الذي ترجم إلى اللاتينية في كتاب (تعلم الغرب عن بني شاكر)، حل مسألة تقسم الزوايا إلى ثلاثة أقسام.



الشكل (29) المقياس الإنساني واضح في المدن العربية، المصدر[27]



الشكل (30) مسجد قبة الصخرة يوضح العلاقات الرياضية والنسب الإنسانية والدقة في البناء، المصدر[24]

5-2 التعامل مع المستجدات المعاصرة في ظل الموروث المعماري:

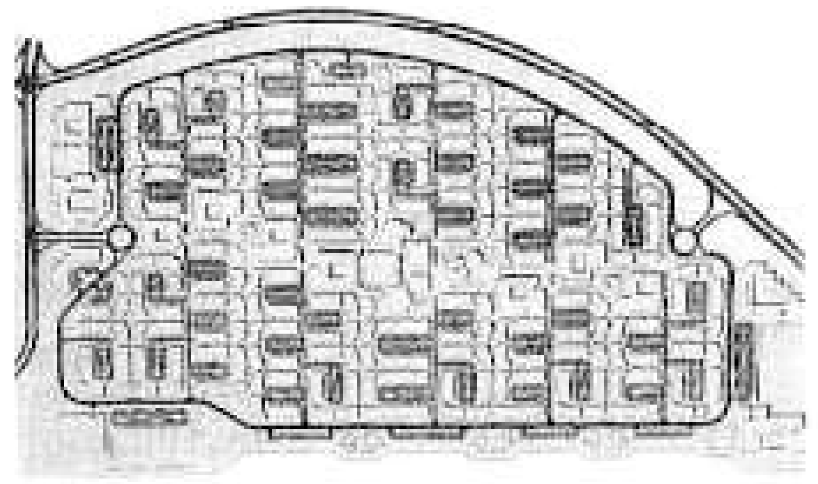
ولما كانت قضية التعامل مع هذه المستجدات أمرا يستحق التأمل والتفكير العميق، لذا فإن هذه الورقة البحثية تولى عناية خاصة لكيفية التعامل مع المستجدات المعاصرة وأهمها، إشكالية الظروف الاقتصادية والتقدم التكنولوجي في مجال العمارة وقوانين البناء والتعليم المعماري. تلك العوامل التي أثرت بشكل واضح في تشكيل هيئة ومضمون العمارة العربية المعاصرة، وأدت إلى انقطاع التواصل الفكري بينها وبين العمارة في عصورها الإسلامية. وتبدو الإشكالية في كيفية تحقيق هذا التواصل في ظل وجود هذه العوامل. [14]

1-5-2 إشكالية الظروف الاقتصادية:

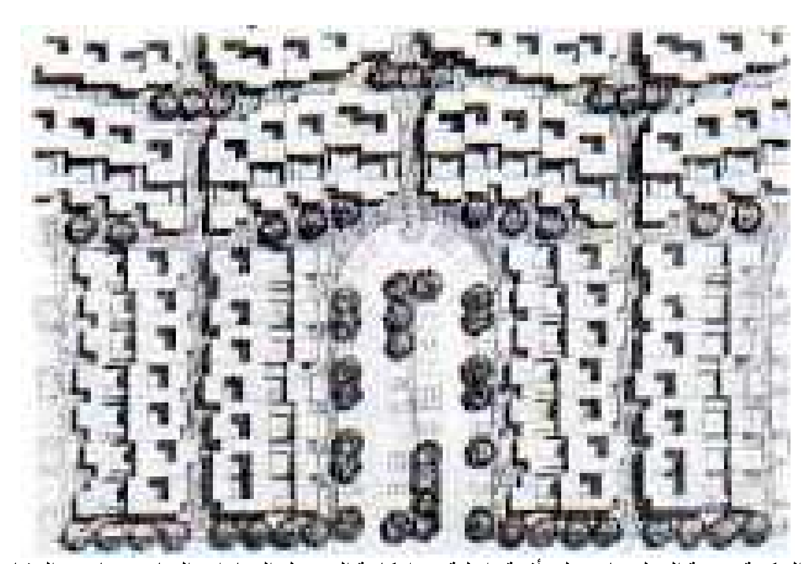
إن مدننا المعاصرة قد وصلت إلى حد من المشاكل يصعب علاجه بسهولة حيث أن العودة إلى تلك القيم في المدن الحالية والتي قد تكون مكلفة نسبيا فإنها تعتبر على المدى البعيد أكثر اقتصادا بالمقارنة باستخدام الوسائل الميكانيكية والتكنولوجية، إضافة إلى ذلك فإن تطبيق تلك المبادئ له مردود اقتصادي غير ملموس كون الراحة النفسية التي تعود على المستخدم تؤثر بشكل مباشر على قدرته على العمل و الإنتاج .

إن الفرصة مازالت سانحة أمامنا في التوسعات العمرانية حولها والمدن الجديدة ، والتي يمكن تطبيق المبادئ التخطيطية والتصميمية والتي تستمد جذورها من تراثنا المعماري والتي التزمت بتقاليدنا وعاداتنا، وتكتسب منها هذه المدن صفة الارتباط بالأصل ثم تأخذ بكل أساليب التكنولوجيا المتطورة بما يتلاءم مع الظروف المتاحة. إن المدن الجديدة، حيث الأسعار منخفضة نسبيا عما هي عليه في المدن القائمة، يمكن أن توفر المسكن الملائم والذي تتوفر فيه جميع احتياجات السكان، من المساحات الكافية وتوفير الإضاءة والتهوية والخصوصية. كما أن الفرصة مازالت متاحة في هذه المدن الجديدة لتطبيق المبادئ التخطيطية والتصميمية والتي قامت عليها مدن العصور الإسلامية مع توفير الاحتياجات الحديثة للمدن جنبا إلى جنب. كما أن الفرصة مازالت متاحة للعودة بالمبنى إلى الاتجاه للداخل من خلال الفناء الداخلي الذي تطل عليه الغرف الداخلية.

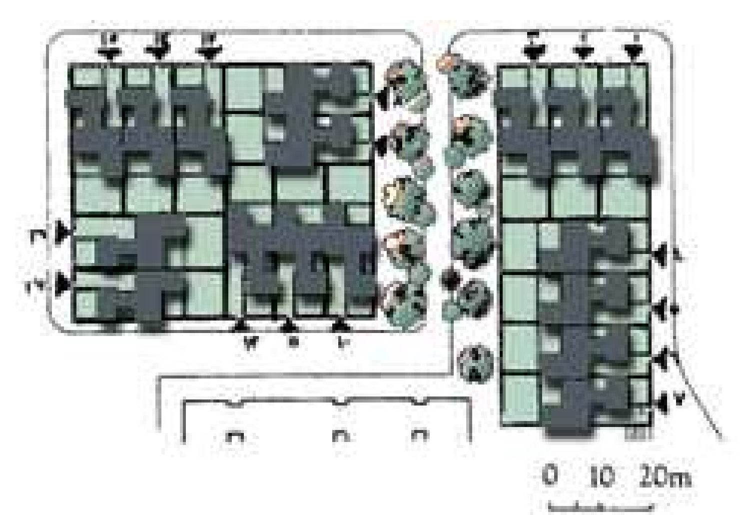
إنها دعوة للاستفادة من نظم تخطيط وتصميم المدن في العصور الإسلامية، في مدننا المعاصرة مع الأخذ في الاعتبار الاحتياجات المعاصرة. ورغم أن تخطيط مدن العصور الإسلامية لا يستوعب حركة السيارة، إلا أن هناك حلولا عديدة لهذه المشكلة.



التخطيط العام لمدينة الصليبخات



تجميع الوحدات السكنية بمدينة الصليبخات على أفنية داخلية مع إمكانية الوصول السيارات إليها من جانب والمشاة من جانب آخر



جزء من الموقع العام لمساكن الأفنية بأغادير بالمغرب حيث تم تجميع المساكن فى نسيج متضام مع إمكانية وصول السيارة لكل الوحدات السكنية.

الشكل (31) أمثلة عن عدم تعارض البناء وفق مبادئ فكرية موروثة مع مستجدات معاصرة مثل السيارة، المصدر[19]

2-5-2 إشكالية التقدم التكنولوجي في مجال العمارة:

لا شك في انه قد حدث في الفترة الأخيرة تطور هائل شمل جميع أوجه حياة الإنسان، وبالتالي فقد انعكس هذا التطور على العمارة المعاصرة بوصفها البوتقة التي تنصهر فيها جميع المستجدات. وقد تمثل هذا الانعكاس في مجموعة من الأوجه من أهمها ظهور بعض الابتكارات الحديثة التي خدمت الناحية المعمارية مثل تكييف الهواء والمصاعد. وكذلك التطور الكبير في مجال تشغيل المواد التقليدية واستحداث مواد أخرى لم تكن معروفة من قبل، بالإضافة إلى التطور الهائل في مجال تقنيات تنفيذ الأعمال المعمارية. وفي ظل الموروث المعماري وما يحتويه من قيم معمارية ترتبط بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية والبيئية فإن هذا التطور يعد من الإشكاليات الهامة التي تتطلب من المعماري المعاصر أن يتعامل معها و يصيغها في قالب من العمارة المتوافقة. [14]

فقد أدى ظهور آلات تكييف الهواء مثلاً إلى اتجاه المعماري المعاصر لإلغاء العناصر التقليدية مثل الفناء الداخلي والمشربية و ملاقف الهواء، رغم ما أثبتته الدراسات الحديثة من أن الحياة في جو صناعي قد يؤدى إلى الشعور بالضيق النفسي والكسل والخمول. إضافة إلى الزيادة في استخدام الطاقة الكهربائية، رغم أن هذه الدراسات قد أثبتت أن المعماري في العصر الإسلامي قد نجح باستخدام وسائله التقليدية في تحقيق راحة حرارية وبالتالي راحة نفسية للإنسان. وتتطلب الصياغة المعاصرة للموروث المعماري الموائمة بين العناصر التقليدية في تحقيق الراحة الحرارية للإنسان داخل المبنى وأيضاً استخدام تقنية تكييف الهواء، إلا أنه من المناسب أن يحدث توافق بينهما بحيث يمكن استخدام أجهزة التكييف بالتوازي مع استخدام العناصر التقليدية، وهذا من شأنه أن يساعد على الاقتصاد في استخدام الطاقة الكهربائية، بالإضافة إلى تحقيق مناخ داخلي يمكن احتماله في حالة تعطل الوسائل الميكانيكية، وهذا ما استطاع بعض المعماريين المعاصرين تحقيقه. مما يؤكد على أن هذه النظرة يمكن تحقيقها.

كما أدى ظهور المصاعد الكهربائية إلى الانطلاق بالمبانى إلى الارتفاعات العالية التى أبعدت الإنسان عن الأرض حيث كان يحيا ويعيش دائما، وسببت له العزلة عن الخارج وأصابته بالأمراض النفسية والاجتماعية بالإضافة إلى أن المصاعد بوصفها غرف مقفلة تكون بعيدة عن الروح الإسلامية. ولا يمكن رفض وجود المصاعد كوسيلة وفرتها التقنيات الحديثة فى المبانى ولكن يمكن تطويعها لتخدم المبادئ الإسلامية وتحقيق مبادئ الأمن والسلامة فى الاستخدام. [14]

كما يتطلب استخدام المواد الحديثة فى البناء ضرورة التعامل معها التعامل معها بشكل يتناسب مع امكانياتها العالية فى ظل المحافظة على الموروث من الفكر المعمارى. حيث يرتبط استخدام المواد عموماً بقدرتها على العزل الحرارى، فعلى سيل المثال عند تصميم النوافذ الخارجية والداخلية لأى مبنى يتطلب الأمر دراسة المواد التى يمكن استخدامها بسهولة وفى نفس الوقت تحقق عزل حرارى مناسب، وهنا يمكن أن تظهر إشكالية التفضيل بين استخدام الألمنيوم أو الخشب. فالمادة الخام للألومنيوم متوفرة بكثرة كما يمكن تصنيعها بسهولة وخفض سعرها من خلال نظرية الإنتاج بالجملة (الإنتاج الكمي)، إلا أن مادة الألومنيوم لها توصيل حرارى ثبت من استخدامها والتجارب التي أجريت عليها أنها توصل الحرارة بصورة كبيرة تصل إلى 95% من الحرارة بالخارج مما يبدو غير مناسب

للاستخدام فى البيئة الحارة على عكس الخشب فى أعمال نجارة الفتحات الخارجية يساعد على العزل الحرارى، ولكن هو أمر مكلف بسبب استيراد الأخشاب من الخارج، ومن هنا يمكن إحداث توازن بين الأمرين باستخدام الأخشاب فى الفتحات الخارجية لما توفره من عزل حرارى، مع إستخدام الألمنيوم فى القواطيع الداخلية أو أى استخدامات أخرى داخل المبنى.

كما ثبت أن استخدام المسطحات الكبيرة من الزجاج في واجهات المباني يحولها إلى أفران حرارية، وحيث أنه قد حبانا الله بشمس مشرقة على مدار العام فلا نحتاج إلا لمسطحات صغيرة من الفتحات الخارجية. فيجب دراسة مسطحات الفتحات الملائمة للاحتياجات الحقيقية تبعاً لوظيفة المبنى. ويعتبر سبق التصنيع (Prefabrication) هو من أهم النجاحات التكنولوجية في مجال البناء الذي فتن به عدد كبير من المعماريين على اعتبار أنه يحقق خفض للتكلفة والوقت بالإضافة إلى مراقبة الجودة. ولكن كانت النتيجة سلبية للغاية وتمثل ذلك في الملل الناتج عن تكرار التصميمات بصورة كبيرة وربما يؤكد ذلك أن العمارة هي أكثر من مجرد كم وإنتاج ، بل هي مجموعة عمليات متراكبة من شأنها تحقيق الهدف المرجو بكل جوانبه. ولكن الإنتاج الكمي يمكن أن يحقق نجاحاً كبيراً في مجال تصنيع المواد الأولية من أسمنت وحديد التسليح وكابلات الكهرباء ولمبات الإضاءة والمقابض وخلافه.

إن في الإمكان تطويع تصنيع المباني ليتلاءم مع القيم المعمارية الموروثة بزيادة المرونة في التشكيل وتنوع الأشكال في وحدات البناء وهنا يكمن عنصر التحدي لربط التراث المعماري بالتقدم التكنولوجي كرد على المتسرعين في اتخاذ القرار حيث لا يجدون أمامهم البديل عما يقومون به من إنشاءات. لقد تمكن المعماري باستخدامه للخرسانة المسلحة في المباني من عمل البحور الواسعة بدون أعمدة داخلية، مما يوفر مرونة أكبر في الاستعمال، كما إن استخدام البلاطات المنبسطة(Flat Slab) يوفر عمل أسقف بدون اللجوء إلى وضع كمرات ساقطة مما يعطى مرونة كبيرة في عملية تشكيل الفراغات الداخلية وتغييرها تبعاً للحاجة على مدار عمر المبنى. إضافة إلى أن وجود قواطع متحركة سهلة التشكيل يزيد من هذه العملية. وباستخدام نظام البلاطات المنبسطة هذه يمكن عمل (شراعات) فوق الأبواب الداخلية للغرف مما يعمل على وجود تهوية عابرة للغرف مع عدم الإخلال بخصوصيتها وذلك بإغلاق الأبواب. ويمكن عمل هذا في ظل الارتفاعات المستخدمة حالياً للوحدات السكنية والتي لا تكفى لتحقيق هذا المطلب مع نظام الكمرات الساقطة. وقد وجد هذا النظام في بعض التكايا التي تواجدت في العصور الإسلامية في مصر.

وإذا كان السقف المنحنى (القبة أو القبو) قد أستخدم في عمارة العصور الإسلامية بهدف إنشائي لتغطية فراغات كبيرة بواسطة مواد البناء المتوفرة وهى الطوب والحجارة. فإنه من غير المنطقي اللجوء لعمل نفس الشكل باستخدام الخرسانة المسلحة، بل يجب البحث عن طريقة أخرى لتغطية الفراغ باستخدام ما توفره التكنولوجيا الحديثة.

ولكن بالنظر للموضوع من وجهة نظر أخرى نجد أن استخدام السقف المنحنى كان له وظيفة أخرى غير الوظيفة الإنشائية، فهذا الشكل يعطى حماية من أشعة الشمس لجزء من السقف بعكس السقف المستوى . وبسبب وجود جزء من السقف مواجه للشمس مما يجعله ساخناً والجزء الآخر الغير مواجه للشمس يكون باردا مما يساعد على تحريك الهواء لفرق الضغط بين المنطقتين الواقعتين أسفل هذين الجزأين. [14]

3-5-2 إشكالية قوانين البناء المعاصرة:

قد يظن البعض أن عملية وجود اللوائح المنظمة للبناء هي عملية اختصت بها العمارة المعاصرة فقط. ولكن بالنظرة العميقة للعمارات السابقة يتضح أنها كانت خاضعة لقوانين مشابهة سواء كانت مكتوبة كالحضارات السابقة للحضارة الإسلامية أو لقواعد متعارف عليها كما في عمارة العصور الإسلامية والتي توضح الإعمال المعمارية الموروثة منها، أنها كانت خاضعة لقواعد فقهية في عملية البناء مستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية أو من مسائل فقهية أفتى بها العلماء وأصبحت في حكم القانون، ومنها ما ارتبط بعدم جرح خصوصية الجار أو تعلية البناء وعلاقة ذلك بحجب الهواء عن الجار أو البروز في الطريق العام، التي استمدت جميعها من القاعدة الفقهية " لا ضرر ولا ضرار".[14]

وإن كانت القوانين المعاصرة أوجدت بعض القيود على الفكر المعماري فإنه لا يمكن التعامل مع هذه القوانين بشكل مستقل عن باقي الظروف الاقتصادية والاجتماعية مما يتطلب إعادة النظر في بعض نصوص هذه القوانين المتعارضة مع ما هو موروث من المبادئ الإسلامية.

فعلى سبيل المثال تحدد النصوص القانونية أبعاد الأفنية الداخلية بشكل لا يمكن معه تحقيق مطلب الخصوصية الخارجية السمعية والبصرية، وما يتبعها من تحقيق للراحة النفسية بالإضافة إلى تحقيق البيئة السكنية الصحية وتلبية متطلبات الفراغات من إضاءة وتهوية ومطل جيد. كما أن هناك على سبيل المثال أيضاً بعض اشتراطات المناطق الخاصة التي يطبق عليها نظام الكثافة البنائية أو التي تلزم بترك نسبة معينة من مسطح الأرض كمناور خارجية أو داخلية. وهذا من شأنه أن يوجد فراغات خارجية بين المباني تصبح في حكم الفراغات ذات الملكية العامة، فيصعب صيانتها بالإضافة إلى أن أبعادها لا تحقق الخصوصية اللازمة بين العمارات المتقابلة بعكس فكرة الفناء الداخل.

كما تنص بعض القوانين على ترك نصف البروزات الخارجية للمبنى على الشارع بلكونات. وذلك من شأنه إيجاد فراغ غير مستغل من الناحية الوظيفية نظراً لصغر عرضه بالإضافة إلى عدم تحقيق الخصوصية الخارجية لهذا الفراغ مما جعل إغلاقه وإضافة مسطحه للغرف من جانب السكان هي السمة الغالبة في معظم الأحيان.





الشكل (32) أبنية حديثة في مدينة حمص تبين كيفية تغيير القاطنين
للبروزات المكشوفة التي أقرها نظام ضابطة البناء، تصوير الباحث

وتتطلب الصياغة المعاصرة للتعامل مع إشكالية قوانين البناء إعادة النظر في بعض النصوص التي تتعارض مع تحقيق مبادئ الفكر الموروث، فعلى سبيل المثال أنه لتحقيق الخصوصية فإنه يمكن أن تعطى الأولوية لمن يبدأ بالبناء باحترام حرمة جاره في نظام الفتحات التي يتبعها في تصميمه وهذا (عرف) اتخذته بعض الدول المتحضرة مثل اليابان. كما يصبح البناء على الصامت بين القطع المتجاورة عاملا مساعداً على توجيه الفراغات اللازمة إلى الداخل بدلا من الخارج كما في حالة الوجائب. وإذا اقتضى الأمر وجود فتحات تطل على الشوارع الخارجية المحيطة بالمبنى فإنه ولتحقيق الخصوصية يمكن استخدام المشربيات أو أية معالجات معمارية أخرى من شأنها تحقيق هذا المطلب.

4-5-2 إشكالية التعليم المعماري:

ارتبط التعليم المعماري في معظم البلدان العربية منذ بدايته باتجاهات التعليم المعماري العالمي إلا أن هذه الاتجاهات أخذت تتطور من وقت لآخر لتتلاءم مع العصر واحتياجاته المتطورة. فهناك اتجاه يركز على العلوم الإنشائية وتنفيذ المباني وآخر يتجه إلى العمارة من الناحية التصميمية والنظرية، بالإضافة إلى ذلك يوجد أيضاً الاهتمام بتخصصات التصميم الحضري وكذلك اتجاهات تصاميم البيئة والتي تهتم بالبيئة بصورة أساسية على اعتبار أن العمارة جزء من بيئة شاملة وان دراستها يجب أن تنبع من هذا المنطلق. [14]

وفي بلدنا وغيرها من البلدان العربية صار اتجاه التعليم المعماري جامداً لا يتحرك، ويظهر ذلك في المناهج الدراسية، فتكاد تكون ثابتة في جميع أقسام الهندسة المعمارية، ولا يتعدى الاختلاف بينها سوى مجرد تغيير أسماء بعض المواد أو نقلها من سنة دراسية إلى أخرى أو إضافة بعض المواد الجديدة والتي لا تضيف جديداً إلى هيكل التعليم.

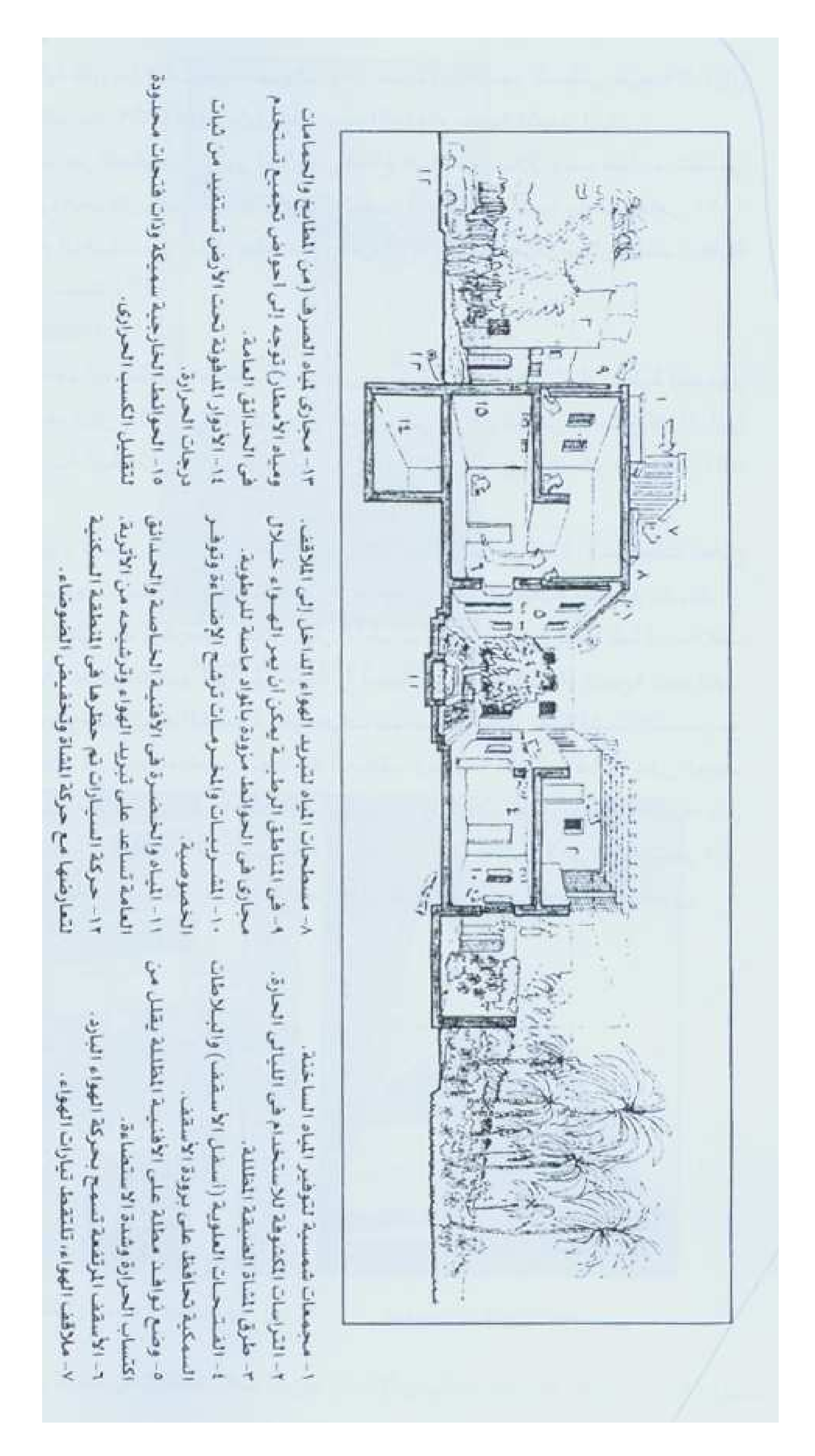
وتنبع عملية الاستفادة من مبادئ الفكر المعماري الموروث من خلال محورين أساسيين، أولهما خاص بالمحتوى العلمي الذي يدرسه الطالب، والآخر خاص بالأستاذ القائم على التدريس. بالنسبة للمحتوى العلمي فإن المناهج التعليمية التي تدرس حالياً للطلاب لا تركز بشكل واضح على دراسة التراث المعماري المحلي وتحليله وربطه بمسبباته وتطوير ثوابته لضمان عنصر الاستمرارية الحضارية والشخصية المتميزة، حيث يتم التركيز في تدريس الطلاب على نظريات العمارة الغربية والحضارات السابقة بصورة كبيرة. أما بالنسبة لعمارة العصور الإسلامية فلا يتم التعرض لها ودراستها إلا من خلال منهج تاريخ العمارة في سرد تاريخي للأعمال المعمارية ومكوناتها دون الدخول في تحليل الفلسفة التي بنيت على أساسها هذه العمارة وحددت هيئتها المعمارية في شكل مشروعات فعلية يقوم الطلاب بها أثناء مرحلة الدراسة. كما يعتمد الطالب في دراسة معظم المواد الدراسية على المراجع الأجنبية التي تختص بشكل أساسي بدراسة وتوضيح الأعمال المعمارية المعاصرة في بيئات ومجتمعات لا تتفق مبادئها وقيمها المعمارية الاجتماعية والعقائدية مع مجتمعنا وبيئتنا.

لا وبل مراجع أجنبية من عمارة الستينات والسبعينات، فيخرج الطالب من غير حصيلة عن تراثه وعمارته فتكون أعماله فيما بعد هي نسخة مما تعلمه من عمارة مستوردة في الفكر والعناصر المعمارية.

أما بالنسبة للقائمين بالعملية التعليمية فمعظمهم ممن تلقوا علومهم التكميلية من خلال البعثات والمنح الدراسية في الجامعات العالمية المختلفة، ويعودون في صورة مجسدة للفكر الأجنبي المستورد والبعيد تماماً عن الفكر والواقع المحلى، ومنهم من يستمر في اتجاهه ومنهم من يحاول البحث في الواقع المحلى ومنهم من يتوقف به الفكر عند هذا الحد مما ينعكس بالسلب على الفكر المعماري للطالب.

وللتعامل مع إشكالية التعليم المعماري المعاصر في ظل مبادئ الفكر المعماري الموروث فإن ذلك يتطلب أن يرتبط التعليم المعماري بالقيم المستمدة من العقيدة والتقاليد الاجتماعية بالإضافة إلى عوامل البيئة والعلم وتطبيقاته من خلال منهج حضاري نابع من قيمنا ويتناسب مع إمكانياتنا البشرية والتكنولوجية ويوائم بين قدرات شبابنا الفنية والعلمية، وإن كان الأمر لا يمنع من الإشارة إلى ما يدور حولنا في العالم من تقدم علمي وتكنولوجي في البناء.

كما يتطلب الأمر ربط الطالب بقيمه الحضارية في العمارة والفنون والتعبير، وتراثنا غني بكل هذه القيم وذلك حتى تصبح النظرية هنا أيضاً مرتبطة بوجدان الطالب وأحاسيسه الوطنية.



الشكل (33) مقطع تخيلي يوضح الاستفادة من أهم المعالجات المناخية والأفكار الموروثة التي يمكن أن تطبق في ظل المستجدات المعاصرة، المصدر[16]

6-2 ملامح الفكر التصميمي للعمارة التراثية:

إن المدقق - بفكر محايد - في العمارة التراثية المتمثلة في شكل أساسي في العمارة الإسلامية والتي وضحت معالمها في مختلف البيئات المعمارية ؟ يمكنه أن يميز مجموعة من ملامح الفكر التصميمي التي ميزت الفكر المعماري لهذا العمارة ، وانعكست بشكل واضح علي عملية التصميم المعماري للمباني، سواء تلك المباني ذات الوظيفة الواحدة أو المباني مختلفة الوظائف .

ورغم أن ملامح الفكر التصميمي تخدم أكثر من جانب من جوانب عملية التصميم المعماري، النفعي، والتشكيلي، والتقني، والبيئي، والاقتصادي، إلا أنه ولتحقيق أهداف البحث فقد تم استخلاص أهم الملامح التي ميزت الفكر التصميمي للعمارة التراثية ، كما تم تبويبها تحت الجانب الذي تخدمه بشكل رئيسي: [11]

2-6-1- ملامح الفكر التصميمي النفعية:

تنطوي المنفعة الوظيفية لمختلف الحيزات الداخلية في المباني على مجموعة من المبادئ التصميمية التي تشكل في مجملها إطار مهم من أطر الفكر التصميمي للعمارة التراثية على النحو التالي:

الشكل يتبع الوظيفة: عندما اختط الرسول (صلى الله عليه وسلم) مسجده في أول الأول بالمدينة المنورة لم يكن المسجد في حقيقته المعمارية أكثر من فراغ محاط بحوائط من اللبن، حتى أنه في البداية لم يكن له سقف، فشكا المسلمون إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الحر، فأمر بعمل ظلة من ثلاثة صفوف من الأساطين . ويذكر السمهوري أن كل صف كان به ستة أساطين، ويذكر في موضع آخر أن أساطين المسجد كانت من جذوع النخيل وأن سقفه كان جريداً وخوصاً. كما ذكر الدينوري في عيون الأخبار ما نصه : "قال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين اختط داراً ليبنيها: هي قميصك فإن شئت فوسعه ، وإن شئت فضيقه ". ولكل ذلك مضامينه العديدة التي تصل إلى أساس النظرية الوظيفية التي تقول "إن الشكل يتبع الوظيفة" هذا هو الشعار الذي أطلقه لويس سوليفان . وما تطور عنها من"أن الشكل والوظيفة شيء واحد " وهو الشعار الذي أطلقه فرانك لويد رايت . فالغرض الوظيفي هنا ليس مقيداً، ولكنه متسع ليشمل اختلاف الميول والأغراض ، بل ويتطور المبنى وفقاً لتطور الاحتياجات التي تطرأ على الوظيفة دون أن يخل ذلك بقضية الشكل الخاص به . [11]

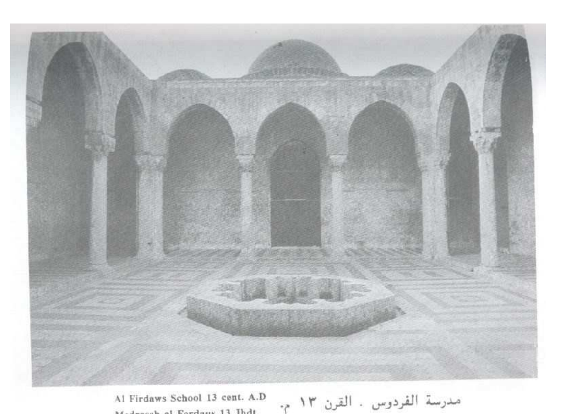
فالمشربيات مثلاً هي عبارة عن معالجات مناخية لحماية الواجهات و الفراغ الداخلي من العوامل المناخية الغير مرغوب بها ، وأيضا له هدف أخر ألا وهو توفير الخصوصية للنساء و حماتيهم من أعين الغرباء، ورغم هذين السببين إلا أن المعمار لم يقف على تلك الوظيفتين لهذا المفرد بل حاول أن يخرجهما بطريقة فنية أو جمالية حسب رؤيته الفنية ، أيضا الفناء الداخلي الذي كان أحد المعالجات المناخية ، ولكنه أيضا عبارة عن اتصال الساكن مع الطبيعة (الفراغ الخارجي) دونما أن تجرح خصوصيته أو يجرح خصوصية الآخرين ، ومع ذلك فلقد رأى المعمار المسلم الفناء بمنظوره الجمالي فأوجد النوافير التي أضفت على الفناء لمسة جمالية بهندستها الراقية مع منفعتها كعامل ترطيب للهواء الحار.

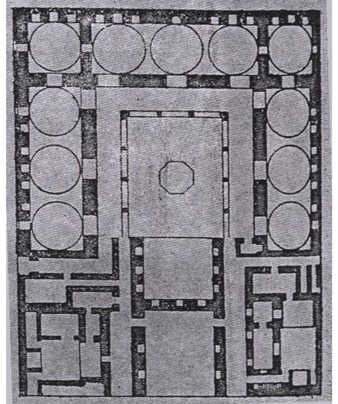




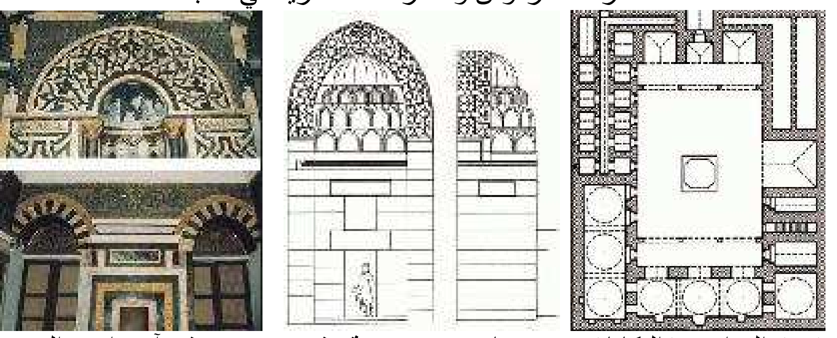
الشكل (34) المشربية عنصر وظيفي أولاً وعنصر جمالي رائع في البيوت التقليدية، المصدر[29]

الحيز الشامل المتعدد الاستخدام : إن فكرة المرونة الوظيفية واستخدام المسقط كحيز يمكن أن يؤدي أكثر من وظيفة ظهرت في أول الأمر في الآجورا الإغريقية ، لكنها وضحت بشكل أكثر إدراكاً في التصميمات المعمارية لمبنى المسجد في العمارة الإسلامية ، فالحيز الداخلي للمسجد النبوي كان مكاناً للعبادة ، كما كان مدرسة تعلم فيها الصحابة أمور دينهم ، وكان داراً للقضاء ومناقشة الأمور السياسية وعقد الألوية وتسيير الجند،كما كان مركزاً صحياً لمعالجة المصابين في الغزوات ، وغير ذلك من الوظائف الاجتماعية . وكانت كل هذه الاستخدامات تتم في حيز واحد من دون أي تغييرات جوهرية في عملية التصميم المعماري لحيز المسجد، فقط كانت هناك بعض التغييرات في ترتيب وضع الحيز كحالة عقد المجلس للقضاء بين المتنازعين، أو ضرب الخيام لمعالجة المرضى. [11]





مدرسة الفردوس والمدرسة الظاهرية في حلب



الشكل (35) المدارس(التكايا) وهي عبارة عن مدرسة وفندق ومسجد في آن واحد، المصدر[21]

وفي العصر الحديث ظهرت الحاجة ضرورية إلى تحقيق فكرة الحيز ذو الوظائف المتعددة ؟ بسبب صعوبة هدم المباني، وبشكل خاص مع تغير الاستخدامات بسبب سرعة تغيير الرغبات ؟ وبالتالي تغير أهداف المباني. وقد جاء "ميس فان درروي " لينادي بفكرة الحيز الشامل وهو حيز يمكن استخدامه في أكثر من وظيفة من دون التأثير على الشكل الخارجي للمبنى، وقد عبر عن رأيه في هذه الفكرة بقوله: "الأغراض التي تؤديها المباني تتغير كما إننا لا يمكن أن نتحمل هدم المباني" ولذلك نقلب شعار سوليفان "الشكل يتبع الوظيفة " ونبني حيز عملي واقتصادي، وفيه يمكن أن نضع الوظيفة . [11]



الشكل (36) حرم الجامع الأموي في دمشق، المصدر[26]

المباني المتعددة الطوابق: عندما شكا الوليد للرسول (صلى الله عليه وسلم) من أن بيته - الذي كان يقع في الجانب الشرقي من المسجد - صغير جداً ولا يتسع لأسرته ،فوجهه النبي إلى أن يرفع بناءه في السماء ويدعو الله بالتوسعة . [11]
كما أن مبني الوكالات الذي ظهر في العمارة الإسلامية مثل الصورة الفعلية للمبنى المتعدد الطوابق والمتعدد الوظائف - سكني، تجاري - في نفس الوقت .
وفي العمارة الحديثة ، جاء نمط العمران الرأسي بشكل واضح ومؤثر في توجه الفكر المعماري نحو الارتفاع بالمباني إلى ارتفاعات كبيرة ، وساعد على ذلك التطور في اختراع المصاعد ومواد البناء الخفيفة وطرق الإنشاء التي يمكنها التغلب على تأثير الرياح والقوى الأخرى.


الشكل (37) المباني المرتفعة في شبام – حضرموت- اليمن، المصدر[24]

2-6-2 ملامح الفكر التصميمي التشكيلية:

مثلت الجوانب التشكيلية في العمارة التراثية جانباً مهماً من جوانب عملية التصميم المعماري في العمارة التراثية ، وأفرز الفكر التصميمي مجموعة من المبادئ الخاصة ، من أهمها:

الحيز المنساب: وهو الحيز المتصل بالفراغ الخارجي فراغياً في وحدة واحدة- وهو بهذا يختلف عن الحيز المرن أو المفتوح - حيث يمكن تعريفه بأنه الحيز الذي لا يحتوي على أية عوائق داخلية حتى ولو لم ينفتح على الفراغ الخارجي. وقد استحدثت في العمارة الإسلامية علاقة فراغية جديدة بين الحيزات الداخلية والفراغ الخارجي، وبين الحيزات الداخلية في الاتجاه الرأسي، وهو ما أوجد فكرة الحيز المنساب من الجوانب ومن أعلى، فقد اندمجت بعض فراغات المسكن الإسلامي الداخلية وخصوصاً فراغات المعيشة مثل المقعد والإيوان بالفناء الداخلي، حيث يطل المقعد على الفناء ويأخذ عمقاً فراغياً يشعر المستخدم بالتواجد في

الفراغ الخارجي الذي هو في حقيقته تواجد في فراغ الفناء الداخلي. كما احتوت مباني الوكالات على فكرة صالة المعيشة بارتفاع طابقين ، حيث كانت كل وحدة سكنية في الوكالة تحتوي على طابقين أو ثلاثة طوابق يربط بينها سلم داخلي في فراغ مفتوح ومنساب لأعلى، وكمثال على ذلك وكالة الغوري (عام 503ام). [11]



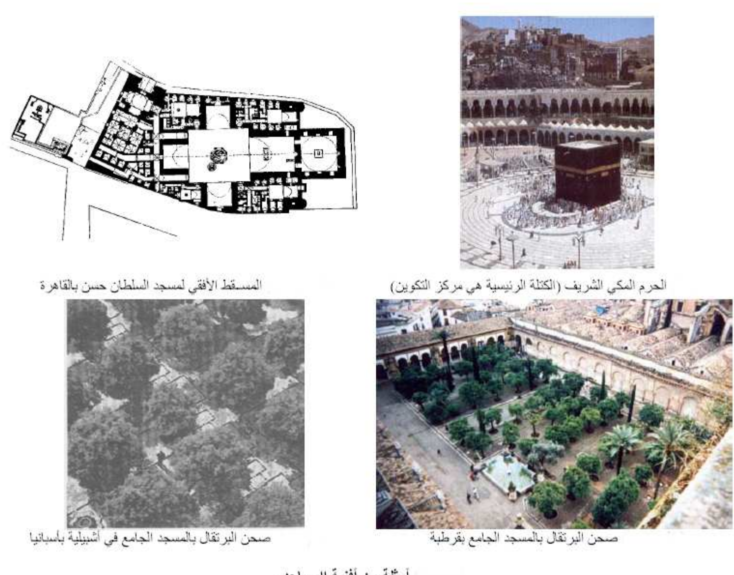




الشكل (38) إطلالة جميع الفراغات على الفناء والانفتاح عليه من الأعلى والجوانب، المصدر[22]،[24]

وفي العمارة الحديثة أبدع "فرانك لويد رايت " في فكرة الحيز الداخلي المنساب من أعلى ومن الجوانب في بيوت البراري0 والتي بلغت ذروتها في "فيلا الشلالات " (عام 939ام)، بل إنه قد طور هذا الفكر بعمل الانسيابية حلزونية (متصاعدة لأعلى) في مبنى "متحف جوجنهايم" (عام 943ام). كذلك أبدع "لوكوربوزييه" في هذه الأفكار وإن اختلفت الوسائل التي حقق بها هذه الانسيابية كما في "فيلا سافوي" (عام 918ام) و"مبنى المجمع السكني بمرسيليا"(عام 946ام).

الوحدة الفراغية: تعني الوحدة الفراغية اندماج حيزات المبنى كلها في حيز واحد يؤدي الغرض الوظيفي. وهذا ما نجده واضحاً في مبنى المسجد، منذ أن بنى الرسول (صلى الله عليه وسلم) مسجده، حيث لم يوجد سوى حيز داخلي واحد للمسجد. كما حقق الفناء الداخلي هذه الوحدة الفراغية في الاتجاه الرأسي في العمارة التراثية ،حيث عمل على الربط بين الحيزات . [11]



الشكل (39) الوحدة الفراغية في صحن المسجد، [15]

وفي العمارة الحديثة، جاء "المبنى الإداري لشركة لاركن" والذي صممه "فرانك لويدرايت" (عام 904ام) كمثال على كيفية تحقيق الوحدة الفراغية على المستوى الرأسي والأفقي في المبني، فهو لم يصمم المبنى على شكل حيزات داخلية كاملة التحديد تفصلها حوائط جامدة لكنه جعل طابق المبنى عبارة عن حيز واحد ينفتح مباشرة - حيث لم يوضع للنوافذ زجاج كما كان في المباني السابقة له - على الفناء الداخلي، والذي غطاه من أعلى بالزجاج ، ممثلاً بذلك التطوير الأول لفكرة "الأتريوم". والتي نبعت من الفناء الداخلي. [11]

التعبير عن الوظيفة: قضية تعبير المبنى عن وظيفته قضية فكرية معقدة في مجال العمارة ، وفيها مدارس واتجاهات عديدة، وإذا كنا نشيد بما حققه "فرانك لويد رايت"
في مبنى " جوجنهايم" من قوة التعبير المعماري للمبنى عن وظيفته عن طريق الشكل الحلزوني للحيز الذي استخدمه في الداخل والخارج، فإنه من الواجب علينا أن نشيد أولاً بما سبقت إليه عمارة المسجد من قوة في تعبير الهيئة الخارجية له عن وظيفته، بل عن وظائفه .
وإذا كان "ميس فان درروي" - الذي طبق نظرية الحيز الشامل - قد دعا إلى تعميم الشكل الخارجي ليتلاءم مع أي استخدام يطرأ على المبنى، كما في "صالة قسم العمارة بمعهد الينويا" (عام 955ام)، فإن الشكل الخارجي للمسجد قد عبر بقوة وبساطة في نفس الوقت عن الوظائف المتعددة دون تغيير الشكل الخارجي، وهو ما يمكن القول بأن العمارة الإسلامية قد نجحت في جعل الهيئة الخارجية للمبنى تعبر عن الحيز الداخلي وليس عن وظيفة ذلك الحيز. [11]

3-6-2- ملامح الفكر التصميمي التقنية:

يختص هذا الجانب بما يرتبط بالجانب التنفيذي في عملية التصميم المعماري، وهو يتوقف على مواد وتقنيات الإنشاء التي تحقق الفكر التصميمي، وتلعب دوراً مهماً في التصميم بجميع مراحله . ومن أهم المبادئ التقنية التي تميز الفكر المعماري للعمارة التراثية:

التصميم العضوي: بالنظر إلى مبادئ النظرية العضوية -التي نادى بها رايت- ومن أهمها : الصلة الوثيقة للمبنى بالطبيعة، واستعمال المواد الطبيعية، وحقيقة المبنى في فراغه الداخلي، والتصميم على مراحل طبقً للاحتياجات المتزايدة، ومقارنتها بما نشأت عليه العمارة العربية الإسلامية من منطلق الفكر الإسلامي، نجد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد استخدم مواد البناء التي أتيحي في موقع البناء عندما بنى مسجده، من اللبن وجذوع النخل وجريدة النخل، كما عبرت هيئة المسجد من الخارج - ببساطتها التي كانت عليها - عن حقيقة الحيز الداخلي، فالغلاف الخارجي للمبنى هو نفسه المغلف لهيئة الحيز الداخلية، كما تم توسعة المسجد في عهده (صلى الله عليه وسلم) وفي عهد الصحابة (رضوان الله عليهم) وذلك وفقاً لزيادة أعداد المسلمين وبالتالي المصلين. [11]




الشكل (40) العمارة الطينية العضوية في اليمن، المصدر[19]

متانة البناء: إذا كان فيتروفيوس قد ذكر في كتابه "مراجع العمارة العشرة":" أن العمارة هي نتاج من وحدة وتناسق بين جوانب ثلاث هي: المتانة والمنفعة والجمال"، فإن القرآن الكريم قد أشار إلى المبنى القوى والمبنى الضعيف في قوله تعالى:"مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون" (سورة العنكبوت،آية 41) فبيوت العنكبوت ليس لها أساس متين ، كما أن عناصرها وموادها ضعيفة . كما وصف الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه "نظام الحكومة النبوية، المسمى بالتراتيب الإدارية والولايات الدينية" طريقة بناء اللبن في حوائط المسجد النبوي، مشيراً إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بناه ثلاث مرات، الأولى بالسميط وهو لبنة أمام لبنة، والثانية بالضفرة وهي لبنة ونصف في عرض الحائط ، والثالثة بالأنثى والذكر، وهي لبنتان تعرض عليهما لبنتان . .، [11]

مما يدل على أهمية تطويع أسلوب البناء، ليخدم وظيفة المسجد أو أي مبنى آخر، فكلما كثر عدد المستعملين زاد الاهتمام بمتانة البناء.

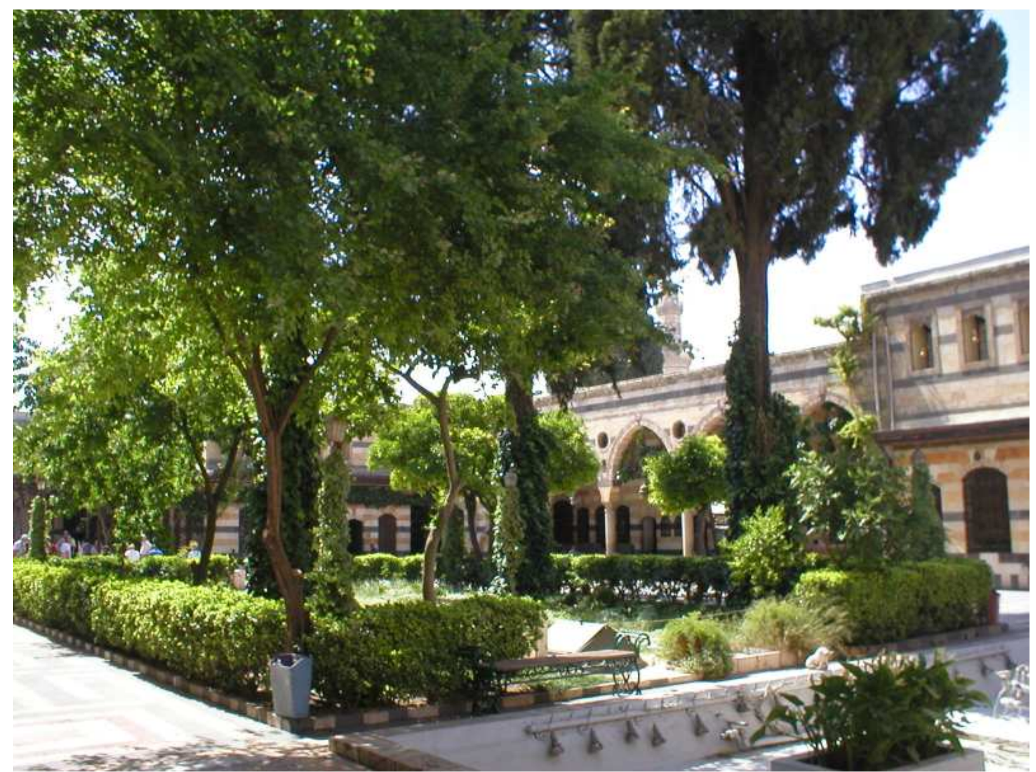
المواصفات الفنيـة للبنـاء: جاءت الحسبة علـى مـواد البنـاء فـي العمـارة التراثيـة ، فقد شـدد الفقهـاء علـى أهميـة قيـام المحتسب بمراعـاة جـودة مـواد البنـاء ومتابعتـه لصـناعها، وهـو أمـر يمس جوهر البنيان، ويساعد في الحفاظ على أموال المسلمين وأرواحهم،
ويدل على مدى ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من رقي في مجال المتابعة لكل ما يتعلق بشـؤون المسـلمين . فيقـول ابـن عبـدون "أمـا البنيـان، فهـي الأكنـان، لمـأوى الأنفس والمهـج والأبـدان فيجب تحصـينها و حفظهـا، لأنهـا مواضـع حفظ الأمـوال والمهـج.. فمـن الواجـب أن بنظر المحتسب في كل ما يحتاج إليه من العدد، وأن ينظر أولاً في الحيطان وتقريب الخشب الوافر الغليظ القوي للبنية، وهى التي تحمل الأثقال 0وتمسك البنيان .... يجب أن تكـون جهـة ألواح البنيان فـي عرضـها شبرين ونصـف لا أقل مـن ذلـك، ويحـدد ذلـك القاضـي والمحتسب للصناع والبنائين، ولا يصنع حـائط يحمـل ثقلاً أقل مـن ذلـك. ويجـب أن تكـون الآجـر وافـرة، معدة لهذا المقدار من عرض الحائط ... يجب أن يكون عند المحتسب، أو معلق في الجامع، قالب في غلظ الآجر ، وسعة القرميدة، وعرض الجـائزة وغلظهـا، وغلـظ الخشبة والفرش... ويجب أن يجيد طبخ الآجر والقرميد، ويجب على المحتسب أن يحدد لهم أنواعاً من شكل الآجر. وفي العصر الحديث وجدت مواصفات البناء التي تصف بدقة مـواد البنـاء؟ أنواعهـا» وكيفية صناعتها» والآلات المستخدمة في وضعها في المبنى. [11]

التحكم في العمران: كان القاضي والمحتسب أهم شخصيتين أثرتـا فـي العمـارة التراثيـة، فقد كـان القاضـي يسـيطر علـى مسـتعملي البيئـة المبنيـة مـن خـلال إصـداره أحكامـاً فـي شـؤون استخدام الفراغـات الحضـرية فـي المدينـة، بينمـا كـان المحتسب يسيطر علـى البنـاءين وكـان قريباً مما نسميه اليوم رئيس البلدية. [11]

2-6- 4- ملامح الفكر التصميمي البيئية:

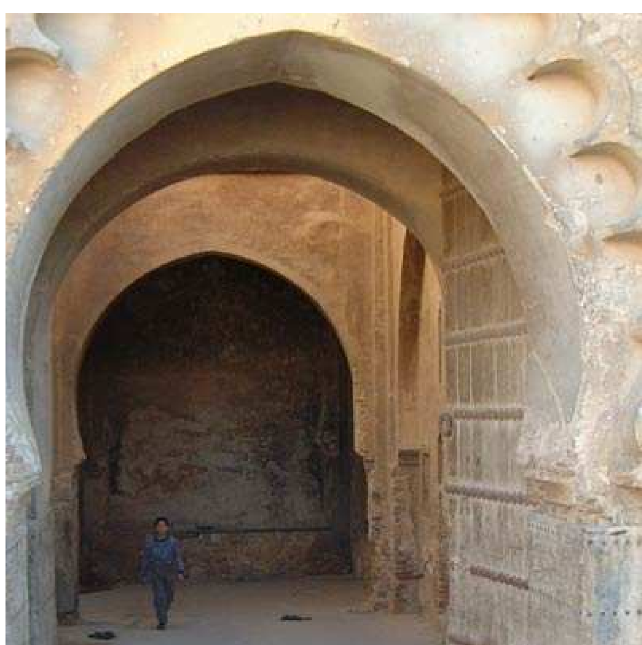
ارتبطـت العمـارة التراثيـة بالبيئـة التـي نشـأت فيهـا بشـكل كبيـر، فهـي- كمـا سـبق وأن ذكرنـا- كانت عمارة عضوية في التوافق مع البيئة بعناصرها المختلفة، وقد كانت هذه العلاقـة واجبـة التحقيق في جميع المباني وفي كل البيئـات التـي امتـدت إليهـا نظـم العمـران النابعـة مـن الفكـر الإسلامي، وقد شكل هذا الارتباط مجموعة من المبادئ التصميمية، أهمها:

التوجيه للداخل: وقد شكل هذا المبدأ فكرة توجيه الحيزات الداخليـة للمبنـى إلـى الـداخل حـول الفنـاء الـداخلي، باعتبـار هـذا الفنـاء جـزءاً مـن الفـراغ العـام الخـارجي، وذلـك بالنسـبة لحيـزات المنفعة الرئيسية في المبنى، أما الحيزات الثانويـة الوظيفـة أو الخدميـة أو حيـزات الحركـة فقـد كانت توضع على المحيط الخـارجي للمبنـى، وهـذا مـا يمكـن أن نلاحظـه فـي المبـاني السـكنية بشكل خاص.



الشكل (41) فناء البيت الدمشقي والاهتمام بالعنصر الأخضر والعصر المائي، المصدر[20]

حماية الحيزات الداخلية: وقد كان ذلك يتم عن طريق تقليل عدد الفتحات الخارجية، والاقتصار على الضروري منها، وما كان يوجد منها كان يتم تغطيته بالمشربيات، أضف إلى ذلك تكسير خط القطاع الخارجي على المستويين الرأسي والأفقي، وذلك بهدف تقليل تأثير كمية الإشعاع الشمسي الساقطة على حوائط المبنى وبالتالي تحقيق بيئة حرارية مريحة في الحيزات الداخلية.



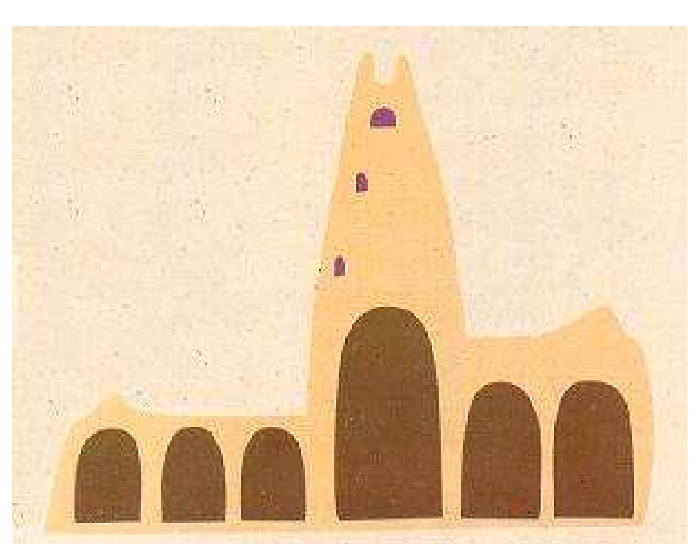
الشكل (42) يوضح عدم وجود فتحات خارجية على الشارع، المصدر[20]

حماية الفراغات الخارجية: حيث تم ذلك عن طريق تقليل مسطحاتها بإتباع فكرة النسيج العمراني المتضام، فقد كانت هذه الفراغات ذات مسطحات صغيرة، بينما كانت المباني بمسطحات كبيرة .

التحكم المناخي: وقد كان ذلك يتم باستخدام مفردات خاصة مثل الملاقف والشخشيخة والفناء الداخلي، وهي عناصر شكلت بشكل مجمل منظومة التحكم المناخي في بيئة المبنى، وإن اختلفت في تصميمها ومسمياتها من بيئة إلى أخرى ومن مبنى إلى آخر.

2-6-5- ملامح الفكر التصميمي الاقتصادية:
قال تعالى: "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" (سورة الأعراف، آية 31)، وقد مثلت هذه القاعدة الشرعية نهجاً مؤثراً في حياة المسلم بشكل عام، وبالتالي في نطاق العمران، ومن أهم المبادئ التي يمكن استخلاصها في مجال الفكر التصميمي الاقتصادية ما يلي:

القليل كثير: إذا نظرنا إلى مبنى المسجد، تجلى لنا مبدأ "القليل كثير" - الذي نادى به مس فان درروي بعد ذلك - في أتم صوره، فليس هناك أقل من وضع سجادة على الأرض، فهي من جانب تحدد الهيئة المعمارية الحسية لحيز الصلاة ، ومن جانب آخر تحقق الغرض الوظيفي في تخصيص مسطح لحيز يستخدم للصلاة. ويتجلى مبدأ "القليل كثير" في نهي الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن البذخ والترف، وكما قال يزيد بن أبي زياد، قال حذيفة (رضي الله عنه) لسلمان: ألا تبني لك مسكناً يا أبا عبد الله؟ قال لم؟ تجعلني ملكاً؟ قال لا ولكن تبني لك بيتاً من قصب وتسقفه بالبواري، إذا قمت كاد أن يمس رأسك، وإذا نمت كاد أن يمس طرفيك، وقال: كأنك كنت في نفسي. [11]
ولكل هذا دلالته التي نستقي منها الحث على الاكتفاء بما يفيد في عملية البناء، بل اعتبار ما يؤدي الغرض الوظيفي بمشتملاته وأهدافه الأخرى هو جوهر عملية التصميم المعماري للمباني.




الشكل (43) احظ البساطة وعدم التكلف والبنيان المتواضع، المصدر[18

النسيج المتضام: روى مالك في الموطأ عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبة في جداره". ونستدل من ذلك على تلاصق المباني مع بعضها تلاصقاً شديداً، وقد بدأ هذا التلاصق في المدينة المنورة عندما ازدحم عمرانها نتيجة للهجرة، وما تبع ذلك من بناء المنازل والخطط
الجديدة، كما وجه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى ذلك عند إنشاء مدينة البصرة، حيث أمر أن تكون دور الناس متلاصقة، وكما هو معلوم فإن هذا النسيج له مميزات عدة ؟ منها البيئي، والاجتماعي، بجانب الاقتصادي حيث يؤدي ذلك إلى قلة مسطحات الفراغات الخارجية ، وبالتالي قلة تكاليف الطاقة المستهلكة للحركة والمرافق وتوفير الوقت الضائع في الحركة . [11]



الشكل (44) النسيج المتضام والبساطة العضوية في الأبنية اليمنية، المصدر[19]

البساطة العضوية: تجلت البساطة العضوية في الاعتناء بالمساكن وتشييدها وتعليتها وزخرفتها وتوسيعها، ليست تحت الأرض فتؤذي سكانها ولا في غاية الارتفاع عليه، تقي الحر والبرد ، ورائحتها من أطيب الروائح، وتمنع من ولوج الدواب، هذا هو جوهر البساطة العضوية التي دعت إليها النظرية العضوية، النابعة من الاحتياج ومن الوظيفة ومن الاستعمال ومن المواد التي يتم البناء بها. [11]



الشكل (45) البساطة العضوية للمدن العربية، المصدر[25]

7-2 ما الذي نريده من العمارة العربية المعاصرة:

ضمن الظروف العالمية التي تؤثر على عمارتنا اليوم نطمح للوصول إلى عمارة يكون العالم فيها متوازن . تسوده العدالة ، أو شيء منها يتسع للجميع هوية ثقافية وخصوصية ونحن فيها متجددون ، منفتحون على الآخر شرطنا الوحيد أن نكون نحن أن نكون كما نريد ، دون تزمت أو انغلاق نريد عمارة ترتقي إلى مستوى الموازاة متمردة على التبعية المفروضة علينا عصرية جميلة وليدة زمانها ، كما أردناها أن تكون في المكان حيث نعيش في مكانها صهراً لدور التراث في الجديد المعاصر ، عمارة منتصرة على الغزو العالمي لثقافات الشعوب عمارة لها صفة الديمومة وليست عابرة وتبقى مضيئة في كل زمان .
عمارة رافضة لعمارة الغلاف ، الجلد ، القناع ، الخدعة ، وليست خالية من أي تعبير وليست عمارة موضة ، عمارة تحترم البيئة والموقع وليدة المكان وصنع الزمان .

في هذا الجزء سيتم ببيان كيفية الاستفادة من ملامح الفكر التصميمي للعمارة التراثية في العمارة العربية المعاصرة وتتكون هذه الإمكانية من خلال ثلاثة مكونات رئيسية وهي التطوير لا الجمود، والإطلاق لا التقييد، التعميم لا التخصيص: [4]

التطوير لا الجمود: وهي تعني أن يتم التعامل مع هذه الملامح على أساس أنها ملامح فكر وليست عناصر معمارية أو مفردات تراثية جامدة يتم تحقيقها في المباني، وهذا يفرض علينا النظر بتمعن إلى الكيفية التي يمكن بها تحقيق عملية التطوير حتى لا تصبح هذه المبادئ هي الأخرى عبارة عن اتجاهات فكرية جامدة، ولقد ألمح البحث من خلال العرض السابق إلى الكيفية التي يمكن بها إجراء عملية التطوير من خلال الإشارة إلى الكيفية التي ظهرت بها هذه الملامح في العمارة الحديثة، مثل فكرة الانسيابية الفراغية والوحدة الفراغية.

الإطلاق لا التقييد:لأن ملامح الفكر التصميمي للعمارة التراثية مرتبطة، بل ونابعة من العملية الفكرية في التصميم المعماري، فهذا يعطيها صفة الإطلاق في التفكير، لإتاحة الفرصة للمعماري للوصول إلى أفكار لا نهائية لكل مشكلة تصميمية - سواء العامة لكل المباني أو الخاصة بمبنى معين - في إطار هذه المبادئ، وبما يتوافق مع الظروف الأخرى الاجتماعية والثقافية والبيئية والاقتصادية للبيئة التي يتم البناء فيها.

التعميم لا التخصيص: وهي تعني أن هذه الملامح هي ملامح فكرية عامة، لا ترتبط بمبنى بذاته أو باتجاه معماري خاص، مما يعطيها صفة العمومية في التطبيق على جميع المباني وجميع الوظائف، يبقى فقط المواءمة بين الظروف الأخرى المحيطة بالعمل المعماري وفق منهجية إمكانية تحقيق هذه الملامح في عملية التصميم المعماري.

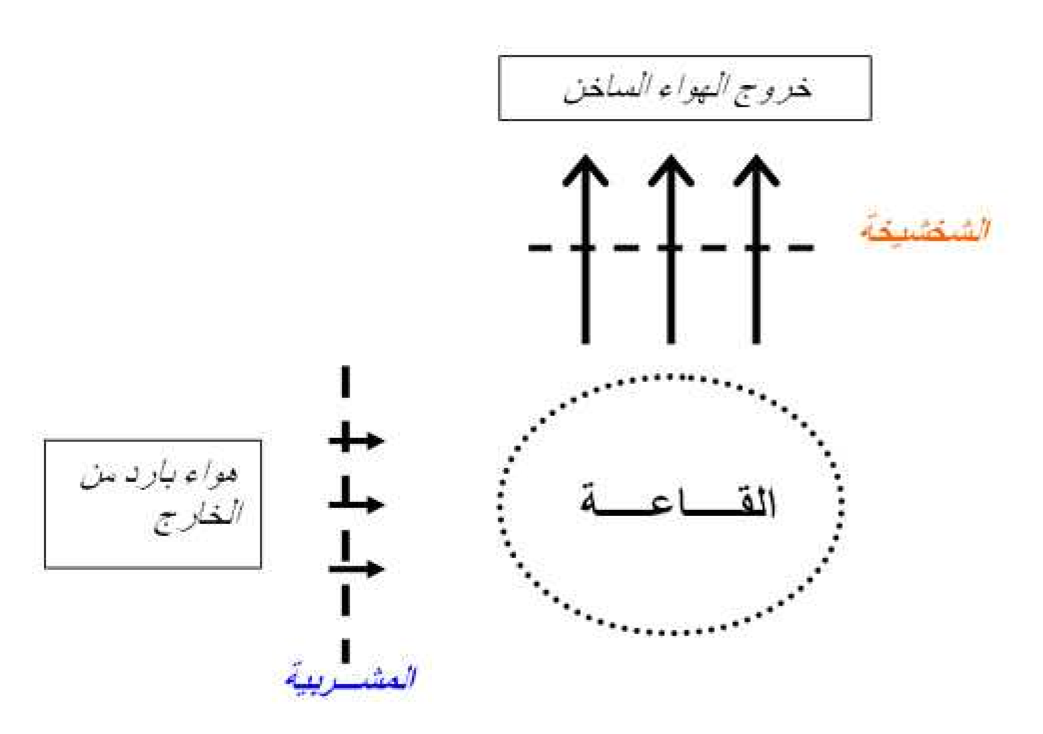
8-2 مبادئ معمارية يجب أن تتوفر في العمارة الحديثة (انطلاقاً من العمارة الموروثة):

1-8-2التكيف مع المناخ :

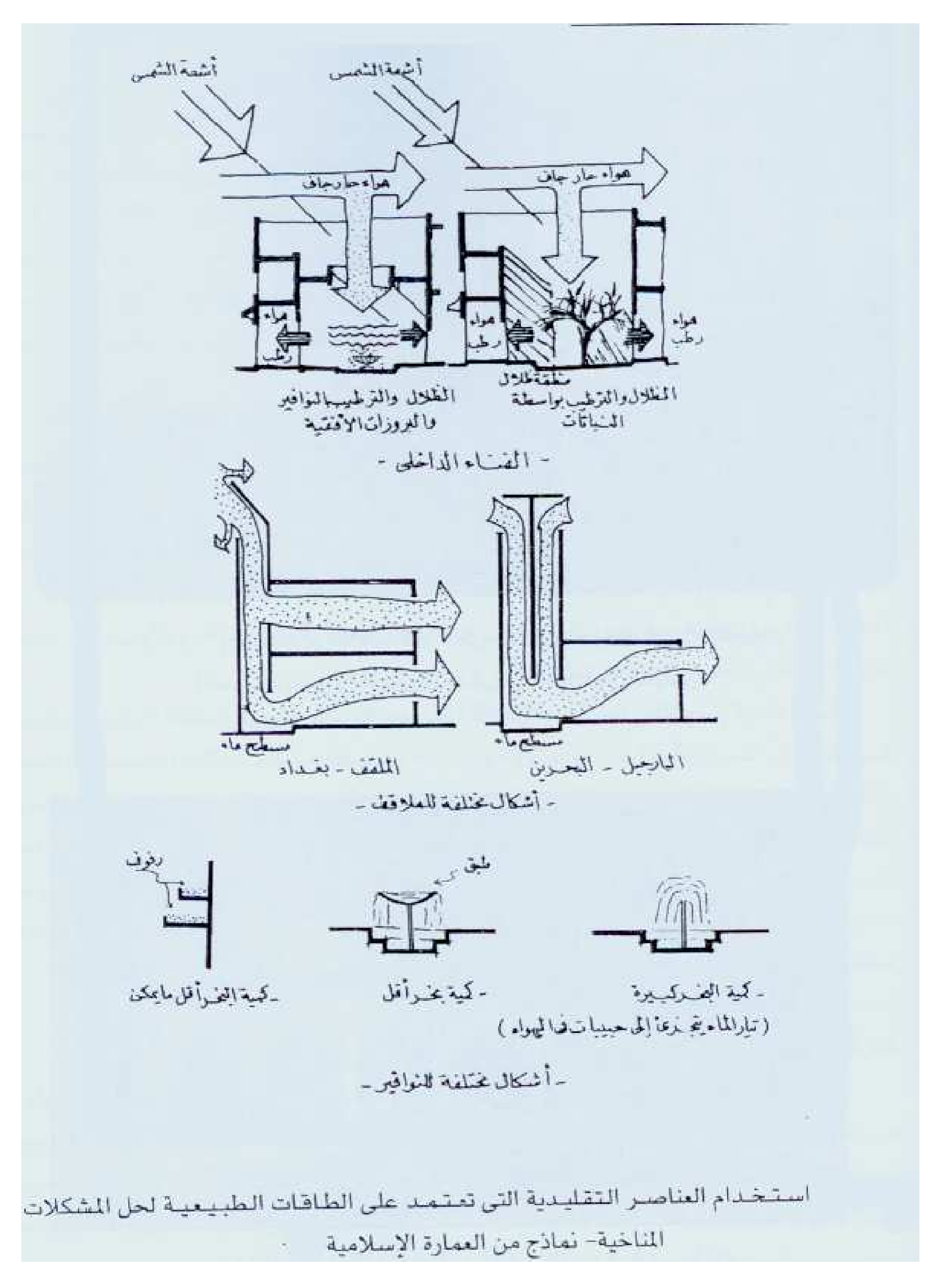
يجب أن يتكيف المبنى مع المناخ و عناصره المختلفة , ففي اللحظة التي ينتهي فيها البناء يصبح جزءا من البيئة ، كشجرة أو حجر، و يصبح معرضا لنفس تأثيرات الشمس أو الأمطار أو الرياح كأي شيء آخر متواجد في البيئة , فإذا استطاع المبنى أن يواجه الضغوط و المشكلات المناخية و في نفس الوقت يستعمل جميع الموارد المناخية و الطبيعية المتاحة من أجل تحقيق راحة الإنسان داخل المبنى فيمكن أن يطلق على هذا المبنى بأنه متوازن مناخياً.

إن مشكلة التحكم المناخي و خلق جو مناسب لحياة الإنسان قديمة قدم الإنسانية نفسها، فقد حرص الإنسان على أن يتضمن بناؤه للمأوى عنصرين رئيسيين هما : الحماية من المناخ ، و محاولة إيجاد جو داخلي ملائم لراحته. ومن هذه المعالجات البيئية القديمة نذكر و باختصار ما يلي:

الفناء الداخلي، الملقف، النافورة، السلسبيل، الإيوان، الشخشيخة، المشربية، الأسقف المقببة والمنحني.......



الشكل (46) آلية عمل الشخشيخة والمشربية في تجديد هواء الفراغات الداخلية، المصدر الباحث

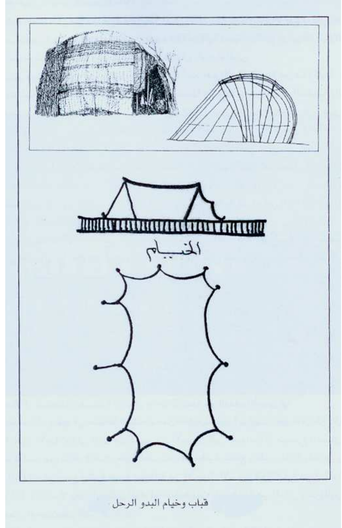


الشكل (47) بعض المعالجات المعمارية للتكيف مع المناخ، المصدر[16]

2-8-2 احترام الموقع:

الهدف الأساسي من هذا المبدأ أن يطأ المبنى الأرض بشكل و أسلوب لا يعمل على إحداث تغييرات جوهرية في معالم الموقع ، ومن وجهة نظر مثالية و نموذجية أن المبنى إذا تم إزالته أو تحريكه من موقعه فإن الموقع يعود كسابق حالته قبل أن يتم بناء المبنى .
و تعتبر قباب و خيام البدو الرحل ، أحد أهم الأمثلة المعبرة عن هذا المبدأ ، فهذه الخيام يتم نسجها من شعر الأغنام و الإبل ويتم تدعيمها و تثبيتها ببعض الأوتاد الخشبية و الحبال فقط ، وعند رحيل البدو إلى أماكن أخرى بحثا عن الكلأ لرعي أغنامهم فنلاحظ عدم حدوث أية تغيرات جوهرية بالموقع و ربما لا يستدل على إقامتهم إلا من بقايا رماد النار التي كانوا يشعلونها لطهي الطعام أو للتدفئة ليلا.

إن مبدأ احترام الموقع دعوة للمصممين لاستخدام أساليب و أفكار تصميمية يكون من شأنها إحداث أقل تغيرات ممكنة بموقع البناء خاصة في عمليات الحفر أو الردم أو انتزاع بعض الأشجار من أماكنها ، ومن أهم الأمثلة المعاصرة في هذا المجال هو ابتكار نظام جديد و متطور لإيواء الحجاج في وادي منى ، فلقد أدت المحاولات التصميمية لاستغلال سفوح الجبال لإيواء الحجاج مع المحافظة على البيئة الطبيعية للمشاعر المقدسة و طبوغرافية الموقع إلى ابتكار نوع من المنشآت الهيكلية القابلة للنقل و الانطباق ، إن نظام الخيام الهيكلية المنطبقة المتعددة الطوابق ينسجم كليا مع طبيعة موقعه ومع ما يجاوره من منشآت لإيواء الحجاج في وادي منى ، كما يحافظ على البيئة التي يقوم المسلمون فيها بتأدية جزء كبير من مناسك الحج .





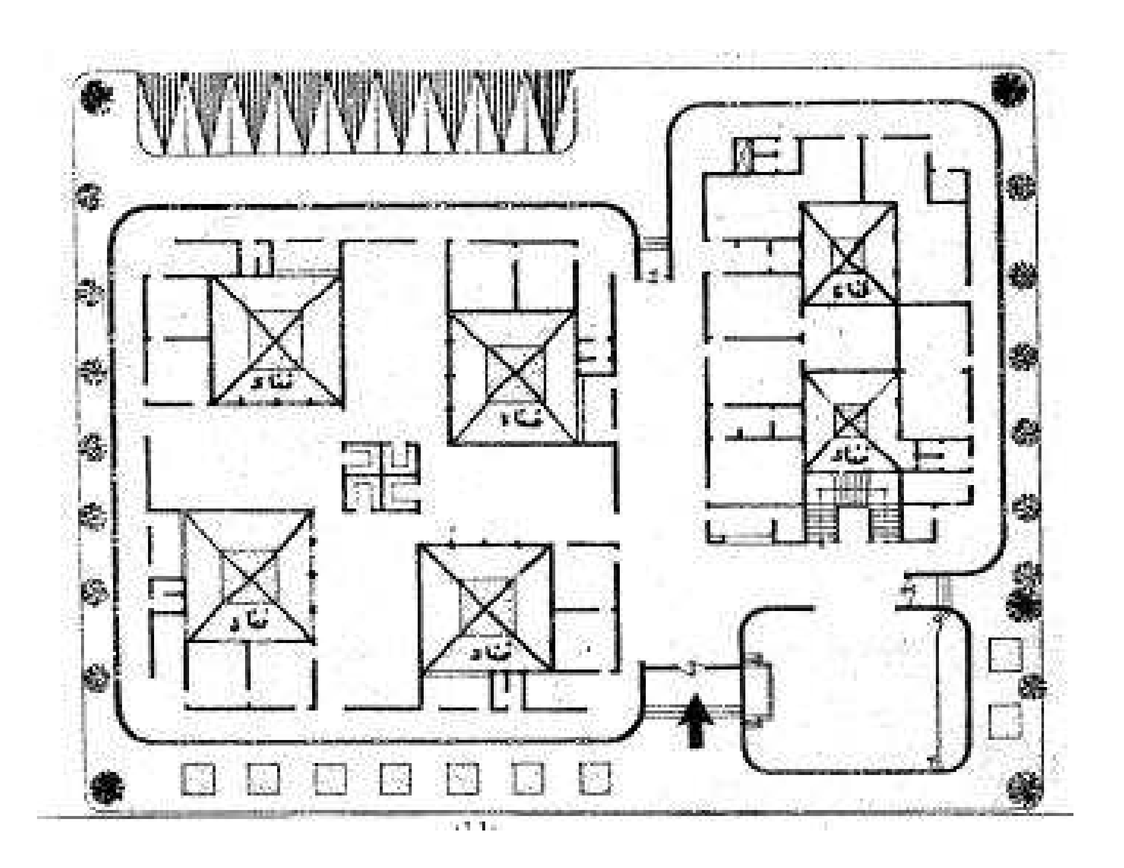
الشكل (48) خيام البدو القديمة الشكل (49) تطوير الخيام لإيواء الحجاج في الحرم، المصدر[16]

3-8-2 استخدام الطاقات الطبيعية والتقليل من استخدام الطاقة الاصطناعية:

يظهر تأثير العوامل المناخية – سواء في المناطق الباردة أو الحارة – على الإنسان و البيئة المبنية من خلال استخدام الطاقة من أجل التبريد أو التدفئة حسب المنطقة المناخية لتوفير ما يطلق عليه (الراحة الحرارية داخل المبنى) و يعرف البعض الراحة الحرارية Thermal Comfort بأنها الإحساس الفيزيولوجي (الجسدي) و العقلي الكامل بالراحة ، و في هذا الصدد كان لابد من توضيح استراتيجيات التصميم المناخي الواعي بالطاقة و الذي يسعى إلى تحقيق هدفين أساسين و هما:

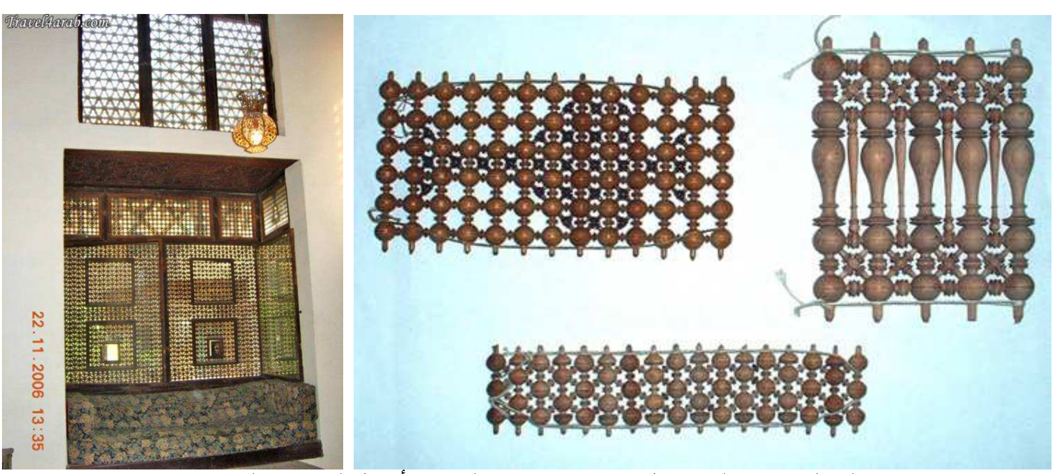
أولاً : في فصل الشتاء يجب أن يراعى في تصميم المبنى الاستفادة القصوى من الاكتساب الحراري عن طريق الإشعاع الشمسي مع تقليل فقد الحرارة من داخل المبنى.

ثانياً : في فصل الصيف حيث يحتاج المبنى للتبريد فيراعى العمل على تجنب الإشعاع الشمسي و تقليل الاكتساب الحراري و العمل على فقد الحرارة من داخل المبنى و تبريد فراغاته الداخلية بالوسائل المعمارية المختلفة.



الشكل (50) المسقط الأفقي للمبنى الإداري بوزارة الشؤون البلدية والقروية بالرياض- المملكة العربية السعودية ، وتظهر به ممرات الحركة كمناطق حماية للمبنى من الخارج وانفتاحه على الأفنية الداخلية، المصدر[11]

ولكي يتم تدفئة أو تبريد المبنى فإن هذا يستلزم وسائل و نظم سواء كانت تعتمد على الطاقة الكهربية(كمكيفات الهواء) أو الطبيعية (باستخدام الطاقات الطبيعية كالشمس والرياح و الأمطار) ، وبنظرة متأملة للمباني الحديثة نجد أن أغلبها يعتمد تماما في عمليات التدفئة أو التبريد على مكيفات الهواء بالرغم من كل الأضرار و السلبيات الناتجة عن استخدام المكيفات فإن الاتجاه إلى استخدامها يزداد باطراد في حين أن الموارد و الطاقات الطبيعية و التي تتمثل في الطاقة الشمسية و طاقة الرياح متوفرة و يمكن استخدامها بأساليب تصميمية معينة وهو ما كان يحدث في المباني التقليدية القديمة ، فهذه المباني كانت تستعمل مواد بناء ذات سعة حرارية كبيرة كالحجر أو الطين مثلا بمعنى أن هذه النوعية من مواد البناء تعمل على تأخير انتقال الحرارة من خلالها إلى داخل المبنى و حتى ساعة متأخرة من النهار و بذلك يظل الجو الداخلي للمبنى مريحا أغلب ساعات النهار الحارة ، كما كانت الفتحات الخارجية ضيقة (بعكس ما نراه من مسطحات زجاجية كبيرة في المباني الحديثة) و ذلك لتلافي دخول كمية كبيرة من الإشعاع الشمسي المباشر ، مع وضع بعض الفتحات العلوية و التي تسمح بدخول الضوء الطبيعي دون أن يتعرض الجالس أسفلها إلى الإشعاع المباشر ، أما في حالة الفتحات الكبيرة فكانت تستعمل المشربيات الخشبية ذات الخرط الخشبي و الذي يعمل على كسر حدة أشعة الشمس مع السماح بدخول الهواء و نسبة معقولة من الضوء.



الشكل (51) المشربية عنصر مهم في التحكم بأشعة الشمس، المصدر[29]

كما تم استعمال ملاقف الهواء في بعض المباني و المنازل لتهوية بعض الحجرات أو القاعات ، أما الأفنية الداخلية المكشوفة و التي كانت القاسم المشترك بين هذه المباني ، فقد وفرت أماكن مظللة بالصيف و قدر معقول من دخول الشمس أثناء الشتاء إلى جانب ما يوفره الفناء من خصوصية تامة لأهل المنزل و مكان آمن للعب الأطفال.

4-8-2 الطابع المعماري المتوافق مع البيئة:

من أهم الصفات التي يجب توافرها في المبنى هي أن يتوافق الطابع المعماري لـه مـع البيئـة مـن الناحيـة التاريخيـة و الاجتماعيـة بـل ومـع العـادات و تقاليـد المجتمـع الـذي يستعمل هذا المبنـى مهمـا كانـت الوظيفـة التـي يؤديهـا ، ذلـك لأن الطـابع المعمـاري يعكس صـورة الحضـارة الإنسـانية فـي كـل زمـان و مكـان و يمـس شخصـية المجتمـع. وكلمة (طابع) تعني السجية التي فطر عليها الإنسان ، أي التلقائية بلا افتعال، أما عند تخصيص المعنـى بالنسبة للطـابع المعمـاري فتكـون التلقائيـة هـي بنـت البيئـة و يظهـر ذلك في استخدام أشكال معمارية تكيفت مع ظروف هذه البيئـة بمـا يقابـل السـجية التـي فطـر عليهـا الإنسـان ، و علـى ذلـك فـإن الطـابع المعمـاري لا ينشـأ فجـأة ولا يـأتي مـن فراغ ، بل إنه يأتي نتيجة مراحل تطور عدة مر بها فن العمـارة ليـرد علـى متطلبـات البيئة و المجتمـع الـذي نشـأ فيـه هـذا الطـابع، و يمكـن إيجـاز العوامـل التـي تـؤثر علـى الطابع المعماري في مجموعتين رئيسيتين و هما:

المجموعة الأولى : و هـي عوامل البيئة الطبيعيـة التـي تحـدد خـواص المكـان و يكـون تأثيرهـا عليـه بطريقـة مباشـرة علـى مـدى العصـور المتعاقبـة ، فهـي إذن ثابتـة التـأثير زمانـاً و مكانـاً على الطابع المعماري كالعوامل المناخية و الجغرافية و مواد البناء.

المجموعة الثانية : وهي العوامل الحضارية التي هي نـاتج تفاعل الإنسـان مـع بيئتـه الطبيعية وهي تشمل العامل الديني و الاجتماعي و السياسي و الاقتصـادي إلـى جانـب الأفكار الفلسفية و العلمية و الفنية.



الشكل (52) الطابع المعماري المميز والموحد في البيوت التونسية، المصدر[27]

وبـالنظر إلـى العمـران المعاصـر نجـد أن(الطـراز الـدولي للعمـارة) و الـذي أمـلاه المعمـاريون الغربيـون علـى المجتمـع العـالمي بغـرض توحيـد الفكـر المعمـاري والتخطيطي في جميع أنحاء العالم نجده أصبح مهيمنا دون مراعاة للاختلافـات البيئيـة و الحضـارية و الثقافيـة لكـل مجتمـع ، ومـن هنـا تظهـر أهميـة التعمـق فـي التـراث المعمـاري الخـاص بكـل منطقـة ثـم تقييمـه بغـرض اسـتلهام مـا يتـواءم منـه و يصـلح للتطبيق في البيئة و المجتمع المعاصر ، ومن هنا تكون البدايـة لإيجـاد طـابع معمـاري مميز للعمارة المحلية المعاصرة.

5-8-2 الحديقـــــــــة و المبنــــــــــى:

يلاحظ بصفة عامة انخفاض الوعي المعماري الحضاري في بعض المجتمعات حيث ينظر إلى الدعوة لوجود الحدائق على مستوى المدن و المباني على أنها رفاهية أو من الكماليات ، ولكن إذا تأملنا هذه الدعوة نجد أنها اتجاه حضاري قد أكد و أشار إليه القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه و تعالى : ((أمن خلق السماوات و الأرض و أنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ..)) (من الآية 60 – النمل , (فالآية الكريمة وصفت الحدائق بأنها ذات بهجة وهي إشارة للجوانب الجمالية للحدائق , إضافة للفوائد الصحية للمناطق الخضراء فهي تعمل على تنقية الهواء من الغبار و الأبخرة و المخلفات العديدة العالقة به ، كما أن لها تأثير مباشر في تلطيف الجو و تحسين المناخ المحلي خاصة في المناطق الحارة ، إضافة للأثر النفسي الجيد و كذلك التأثير الاجتماعي للمناطق الخضراء خاصة على مستوى المجموعات و المجاورات السكنية فهي ضرورية لخلق نوع من التقارب و الترابط الاجتماعي بين الأسر المختلفة.

وفي المباني القديمة كان الفناء الداخلي هو المكان الأمثل لتواجد حديقة المبنى أو المسكن، و أصبحت هذه الحديقة إلى جانب تأديتها وظيفة هامة و هي المساهمة في تلطيف درجات الحرارة الداخلية للمسكن فإنها كانت المكان الرئيسي لمعيشة الأسرة و لعب الأطفال حيث الهدوء و الأمان و الخصوصية المرغوبة , فالحديقة كانت في قلب المسكن أو المبنى .




الشكل (53) الحديقة في فناء البيوت الدمشقية القديمة، المصدر[21]

وبصفة عامة فإن أي حديقة ، تتألف من العناصر الرئيسية التالية:

الأشجار و النباتات : من أجل إيجاد المتعة البصرية و توفير الظلال إلى جانب إمكانية الحصول منها على الفواكه و الخضروات ، أو استخدام الأشجار كسور يحمي الحديقة من أعين المتطفلين.

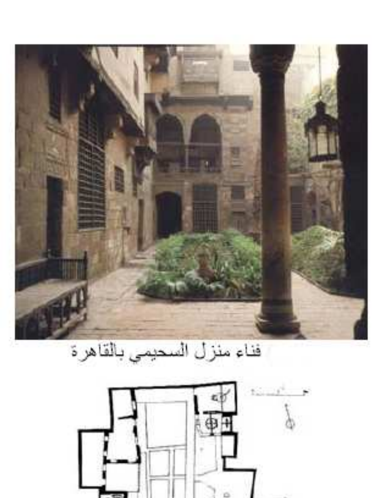
الماء : و يتم استخدامه في الحديقة بأشكال متنوعة على هيئة مسطحات مائية مظللة بالأشجار أو على شكل نوافير تساعد على تحريك الماء حتى لا يعمل كسطح عاكس للأشعة الشمسية في حالة وقوعها على الماء ، أو على شكل شلالات أو أنابيب علوية يتساقط منها الماء محدثا صوتاً و خريراً جميلاً ، إلى جانب مساهمته في تلطيف و ترطيب الجو.

المجالس المظللة و المكشوفة : حيث تستخدم الأماكن المظللة بالأشجار أو البرجولات أو على هيئة أكشاك خشبية في أثناء الأوقات المشمسة و الحارة.

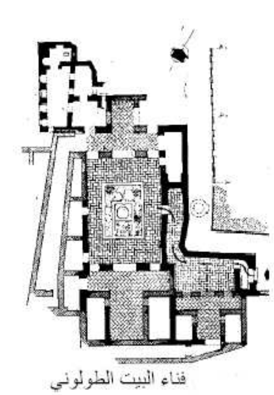
- **الأرضيات** : يراعى اختيار أرضيات الممرات بالحدائق من مواد لا تحتاج إلى صيانة كبيرة و سهلة التنظيف إلى جانب أنها لا تساعد على انعكاس الأشعة الشمسية الساقطة عليها بل تمتصها مما يساهم في تخفيف الإشعاعات الحرارية على حوائط المباني المجاورة لها و بتوافر العناصر السابقة من أشجار و نباتات و ماء بصور و أشكال متنوعة مع وجود المجالس المظللة أو المكشوفة تكتمل صورة الجنة الأرضية أو الحديقة الملحقة بالمبنى الناجح. [12]



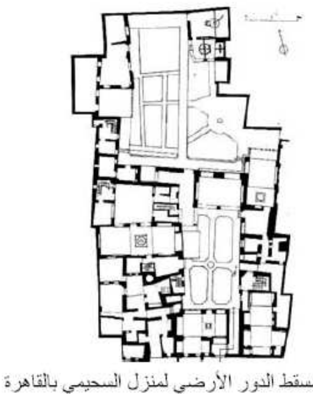
أحد أفنية المساكن بالفسطاط



فناء منزل السحيمي بالقاهرة



فناء البيت الطولوني



مسقط الدور الأرضي لمنزل السحيمي بالقاهرة

أمثلة من أفنية المساكن

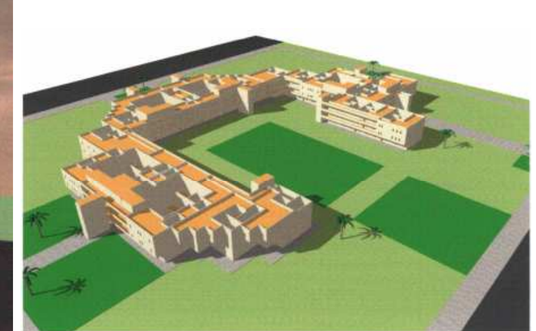
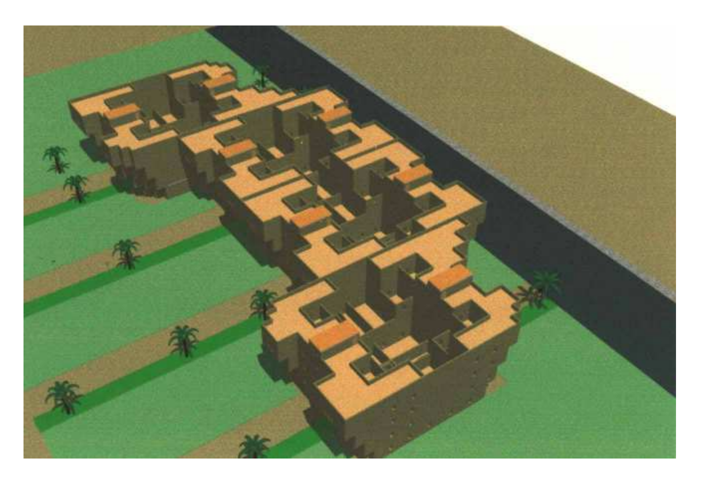
الشكل (54) أمثلة للحدائق في فناءات بيوت القاهرة، المصدر[15]

6-8-2 التجديد والابتكار والمعاصرة:

لقد كانت العمارة العربية الإسلامية متجددة دائماً بتنوع المكان والإقليم ومبتكرة لحلول إنشائية ومناخية مختلفة ومتعددة على مدى التاريخ.

وإن من أهم المقومات التي تبرز الشخصية المعمارية هي صفة الابتكار فيجب أن تتوافر بقدر كبير في شخصية المعماري حتى يستطيع أن يضيف الجديد في كل عمل ينتجه. وهذه الإضافات المتجددة تحتاج من المعماري جهدا كبيرا وبعد نظر يجعله يتعامل مع الأبعاد والعلاقات التشكيلية والمادة بصورة الباحث عن الجديد. [4]

ويجب على المعماري أن يكون معاصراً مع التزامنا الحضاري بالاهتمام بتراثنا والتعرف علية ودراسته، إلا أن البحث الدائم عن الأسلوب الفني الذي يعبر عن العصر الذي نعيشه شيء هام أيضاً وله دور في تأكيد الشخصية المعمارية . وبعبارة أخرى يجب أن يكون المعماري عصرياً في قلبه وفكره غير منعزل عن جذوره التاريخية ، وأن يكون البحث عن صورة معاصرة للعمارة وهو نوعاً من تسجيل وجودنا الحضاري بين حلقات التاريخ المتتابعة وأننا اليوم حلقة أخرى غير متطابقة مع الماضي ولكنها امتداد له ، وندلل على ذلك باختلاف الطابع المعماري للعمارة السورية القديمة عنه في العمارة الإسلامية الأموية فالعباسية والأيوبية وكذا العمارة العثمانية. ويجب أن ننوه بضرورة التلاحم مع العصر بكل إمكانياته التكنولوجية وبكل ما فيه من جديد في الفكر والتطبيق.

الشكل (55) مثال عن تجميع المساكن بطريقة حديثة تتماشى مع الفكر التقليدي الموروث
نموذج نظري دراسة د.م محمد حاكمي، المصدر د. حاكمي

الفصل الثالث: كيفية تعامل الغرب مع التراث:

1-3 التراث بين القطيعة والاستمرارية في العمارة الغربية:

ربما بمراجعة سريعة في عمارة الغرب يساعدنا ذلك في تفهم التغيرات التي طرأت في الطرز في العالم الغربي وربما يساعدنا على تفادي الصراع القائم بين الطرز في مجتمعنا الإسلامي. أن الغرب رجعوا في أصولهم المعمارية إلى الأخذ من التراث وخاصة تراث الإغريق والرومان كلما حصل عندهم نهضة فكرية وقلما تجد من يشذ عن هذه القاعدة ففي عصر النهضة رجع المعمار إلى الأصول الإغريقية الرومانية وفي القرن التاسع عشر انتصرت الكلاسيكية وسادت حتى ظهور الحداثة وأخيراً استلهم معماريو عمارة ما بعد الحداثة من التراث لمسات أضيفت إلى العمارة الحديثة.

إن جذور حركة الحداثة في العمارة أو العمارة الحديثة تعود إلى عصر الثورة الفرنسية (1789م) والتي تؤرخ بداية فصل الدين عن الدولة وظهور الدول الحديثة (STATES) وتخلص العالم الغربي من سيطرة الكنيسة واضطهادها للعلماء والمفكرين والذي يطلق عليه عصر التنوير الأوربي حيث قام مشروع الحداثة على العقلانية (تغليب العقل على النص) والفردية واليقين بتقدم الإنسان المطرد والحتمية في الطبيعة وفي التاريخ ، وتبني الجانب المادي فقط وظهور فلاسفة ومفكرين وضعوا مفاهيم للفكر المادي وتطويره وتأثيره على النقد والأدب والفن الموسيقي والفلسفة ، وبذلك تكون أثرت على جميع مجالات الحياة المختلفة حتى وصلت للعمارة والتي جسدت تلك الأفكار على حساب إهمال الجانب الروحي والتي سببت في ظهور الاتجاهات التي ستذكر لاحقاً. ولقد شن رواد الحداثة حملة شعواء على التراث لدرجة أن بعض الاتجاهات كانت عملية رد فعل أو مضاد لما هو موجود في العالم المسيحي . حتى أن لينين انتقد مراراً في كتبه وأقواله اليسار المتطرف والذي يرغب في قطع صلته بالماضي في محاولة لإيجاد ثقافة بروليتارية (عمالية) تقوم على أنقاض التاريخ.

ولقد شهد القرن التاسع عشر الثورة الصناعية وتحول في الاقتصاد من زراعي إلى صناعي والزيادة في عدد سكان المدن نتيجة الهجرة من الأرياف إلى المدن للبحث عن فرص العمل في المصانع ، أطلق على هذه الفترة معركة الطرز BATTLE OF STYLES وذلك بين الكلاسيكية و القوطية وانتصار الكلاسيكية في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي. [10]



الشكل (56) انتصار الطراز الكلاسيكي على القوطي، المصدر[10]

بداية الفصل بين القديم والحديث في العمارة يمكن اعتباره بدأ مع بداية القرن العشرين في الفترة التي ظهرت فيها عمارة (ART NOUVEAU) والتي كانت أخر نتاج عمارة ما قبل الحداثة ، ومدرسة الفنون بجلاسكو من تصميم تشارلز رينيه ماكينتوش ربما يعبر بصدق عن تلك المرحلة وهي مرحلة الانتقال في العمارة من القديم إلى الحديث فالمواد المستخدمة هي الحجر ، الطوب ، الخشب ، الحديد ، كلها ليست حديثة ولكن التقنية التي استخدمت وطريقة التشكيل بهذه المواد جعل منها المعماري ماكينتوش عمارة حديثة.

ولقد شهد القرن العشرين الميلادي انقلابا على الاتجاه السائد بظهور حركات الرواد (AVANT - GARDE) وقطع الصلة بالطرق التقليدية ويمكن اعتبار أن تطوير الفن الحديث عبارة عن سلسلة من الحركات الفنية للـ (AVANT - GARDE) مثل الرمزية (SYBOLISM) ، والفوفيسم (FAUVISM) (مذهب في الرسم متحرر من التقليد) ، والتكعيبية (CUBISM) ، الدادية (DADA - ISM) (مذهب في الفن والأدب يتميز بالتأكيد على حرية الشكل تخلصا من القيود التقليدية) السريالية أو ما فوق الواقع (SURREALISM) (مذهب حديث في الفن يهدف إلى التعبير عن نشاطات العقل الباطن) ، المستقبلية (FUTURISM) (حركة في الفن والموسيقى أو الأدب تميزت بالدعوة إلى إطراح التقليد ومحاولة التعبير عن الطاقة الديناميكية المميزة للحياة المعاصرة) .. الخ. وكل هذه الحركات تدعو إلى نبذ التراث والتحرر من الماضي ، حيث كان الفن قبل ذلك عبارة عن تصوير الواقع ورسم المناظر كما يراها الفنان بصدق وبدون أي تحوير أو تجريد وأصبح هدف هذه الحركات التجريد والتحوير والبعد عن الصدق في النقل وهذه الحركات كلها تعزز حركة القطيعة مع التراث. [10]

ولقد كان لظهور مدرسة الباهاوس في شرق ألمانيا ترسيخ عمارة الحداثة والثورة على كل قديم موروث وقطع الصلة بالماضي والتي بدأت عام 1919 ميلادي في مدينة ويمر (WEIMAR) العتيقة/التراثية والغنية بالتاريخ لذلك لم تنجح الحركة لمعارضة المدينة للحركة ، ولم يكن بالطبع المكان المناسب لهذه الحركة حيث لم تلق الترحيب اللازم كما حصل مع عمدة مدينة ديساو (DESSAU) الدكتور فرتز هيس (DR.FRITS HESSE) والذي وجه لرواد المدينة دعوة رسمية للانتقال إلى مدينته الحديثة ، وبانتقالهم إليها بعد ست سنوات نستطيع أن نقول أن بداية قطع الصلة مع الماضي قد بدأت كما يقول نيقولاس فوكس ويبر في مقالته التي نشرها في (ARCHITECTURAL DIGEST) عدد ديسمبر 1991م. [10]



الشكل (57) فيلا سافوي من تصميم لوكروبوزييه أصبحت رمزاً للحداثة، المصدر[10]

لقد تميزت الفترة التي بدأت فيها العمارة الحديثة من عام 1860م إلى 1970م بعدم الالتفات إلى الماضي أو التراث وسبب ذلك هو تأثير حركة فصل الدولة عن الكنيسة على الفنون وتحرر الفن من سيطرة الكنيسة والقطيعة التامة مع الماضي والذي يمثله الكنيسة والدين وأحسن تشبيه لهذه العمارة برجل يمشي إلى الأمام ولا ينظر إلى الخلف أبداً ويرى أن الرجوع إلى الماضي جريمة ، مما حدا بالمعماري الحديث أدولف لوس أن يقول مقولته الشهيرة "الزخرفة جريمة" وقول ميس فان ديروي "الأقل هو الأكثر"[10] والتي كانت ضربة مباشرة لعمارة الكنائس والقصور ولكون واجهات الكنائس والقصور والتي كانت تمثل قمة العمارة في أوربا آنذاك تتميز بالزخرفة والتناظر (SYMMETRY) والتي كانت متمثلة في العمارة القوطية فإن الحداثيين تجنبوا أي تناظر في عمارتهم مع وجود كره شديد لديهم لهذا المصطلح كرد فعل للكنيسة والإقطاع ، مع أن الإنسان والذي هو أجمل ما خلق الله في هذا الكون نصفه الأيمن يماثل نصفه الآخر ، وأصبح سمة هذه الفترة التجديد من اجل

التجديد لأن الماضي كان ساكناً وجامداً مدة طويلة من الزمن وان التقدم دائماً هو السير إلى الأمام وعدم الرجوع للتراث والتي وصفت بالتقدمية وان التخلف هو الرجوع إلى الخلف والأخذ من التراث والتي وصمت بالرجعية وذلك تأكيدا للقطيعة مع الماضي (التراث) .

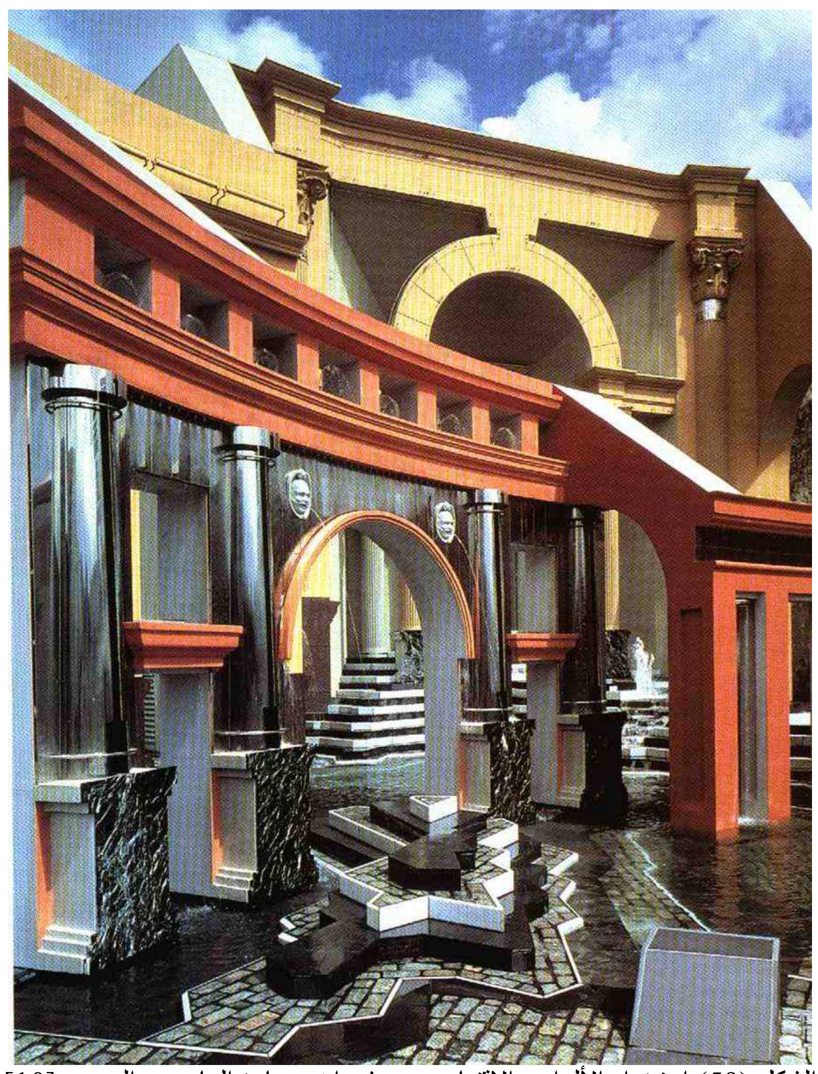


الشكل (58) عمارة الحداثة تجنبت بشكل صارم أي تناظر وتماثل في الواجهة
وابتعدت بشكل قاطع عن الزخرفة ومخالف لعمارة التراث، المصدر[10]

1-1-3 الرجوع إلى التراث:

بعد الممارسة الطويلة للعمارة الحديثة ومحاربة العمارة الحديثة للزخرفة ومقولة ميس "الأقل هو الأكثر" والأقل هناك يعني فيه الزخرفة وقع معماريو الحداثة في ممارستهم إلى التمادي في التبسيط وكما يقول فنتوري "أن التمادي في التبسيط يعني عمارة تافهة ، الأقل يعني الأمل "وعلى النقيض مما قاله ميس فان درروي عن التقليل من الزخرفة بقوله "الأقل هو الأكثر" وكما ذكر كولن دايفز في مقالته عالم من المعاني والتي نشرتها مجلة (THE ARCHITECTS JOURNAL) عدد مايو 1992م "أن فشل عمارة الحداثة هو نتيجة للأشكال الفجة والتشكيل بدون قاعدة والتي استعملت بكثرة في الواجهات" كل هذا أدى إلى البحث عن المعنى في المبنى ، ومنذ ربع قرن أوجد مجموعة من النقاد نظرية في العمارة يؤكدون فيها استحسانهم للرجوع إلى الماضي وفي الاقتباس والنقل من التراث فكانت عمارة ما بعد الحداثة (POST - MODERNSIM) ولقد عرفت هذه الحركة في بدايتها أنها ضد الحداثة وكان يقال لها AGAINST MODERNSIM ويمكن تعريف هذه العمارة برجل له رأسين واحد إلى الأمام ينظر إلى المستقبل وآخر من الخلف ينظر إلى الماضي (التراث) وذلك مراعاة للأصوات التي نادت بتأصيل عمارة الحداثة وربطها بالجذور التاريخية لإعطاء الهوية المحلية. [10]

لذلك يمكن القول أن الاهتمام بالتراث والرجوع إلى الماضي لم يكن غريباً على الأوربيين فعمارة عصر النهضة (RENAISSANCE) كانت نكسه للعمارة القوطية وذلك لاكتشاف الثقافة الكلاسيكية آنذاك بسبب حركة الإصلاح البروتستانتي مما أدى إلى الرجوع إلى الأصول اليونانية وترجمة الأعمال الكلاسيكية والتي أثرت بشكل قوى على العمارة. أذن نستطيع القول بأن عصر النهضة الأوربية والتقدم حصل بالرجوع إلى الماضي والتراث ، وكذلك عمارة ما بعد الحداثة تأثرت بالرجوع إلى التراث لصياغة رؤية مستقبلية .



الشكل (59) استخدام الألوان والاقتباس من مفردات عمارة الماضي، المصدر[10]

3-1-2 معاودة استمرار القطيعة مع التراث:

والآن نشـهد فـي الغـرب حركـة جديـدة تسـمى بــ DECONSTRUCTIVISM (DECO) أو مـا يقـال لـه بالعمـارة التفكيكيـة أو التشـريحية والتـي تـأثرت بأفكـار الفيلسوف الفرنسي دريدا والتي قلبت موازين الجمال رأساً على عقب للهروب من تهمة عدم التجديد والسكوت على الأفكار التي أصبحت قديمة وفي نفس الوقت لا يرون الرجوع إلى الماضي بأنه يفيد التقدم وأصروا على أن الرجعية تخلف. وماذا بعد؟ هل سيتوقف التطور والتغيير عند هذا الحد؟ ، اشك في ذلك وقد يتساءل البعض لماذا؟ فأقول أن السبب في كثرة التغيرات التي حصلت في الطراز بعد الثورة الصـناعية وثم بعد فصـل الـدين عن الدولة أدى إلى تغيير في الثوابت بحيث أصبحت الآن من المتغيرات وفي سبيل البحث عن ثوابت جديدة فسيستمرون في البحث عن الهوية التي طمست من قبل الفكر الحداثي وبالتالي يقودهم هذا التفكير إلى التغيير دائما وينعكس ذلك بكل تأكيد على العمارة وفي ذلك يقول المعماري فيليب جونسون مقدم كتاب Decontsonctivist Architecture "[10] في الفن وأيضا في العمارة على كل حال هناك عدة اتجاهات ومتناقضات في جيلنا المتغير السريع ، وفي العمارة نجد أن الكلاسيكية الصادقة والحداثة الصارمة وكل أنواع الدرجات بينهما كلها صحيحة بالتساوي ولم يظهر شيء مقنع بعد وربما لا يظهر وما لم يوجد أو يظهر دين جديد أو مجموعة معتقدات على نطاق العالم فربما لا يمكن تشكيل علم جمال.



الشكل (60) ردة الفعل هنا قوية جدا تجاه الزخرفة والاستعارة من مفردات عمارة الماضي، المصدر[10]

2-3 تجارب عالمية في الاستفادة من الموروث المعماري.

لا يخلو أي بلد في العالم من وجود تراث معماري عريق على أرضه، يمثل نتاج الحضارات التي تركتها عهود سابقة مرت عليه، ويمثل مسيرة تطور الحياة الحضرية وما نالتها من اهتمام أهلها وحكامها في ميدان البناء والتعمير .

وقد يبدو التراث المعماري وما يتصل به من الفنون تراثا ماديا للوهلة الأولى ،لكنه لا يخلوا من الجانب الروحي ،ولذا فأن الأمم في مختلف بقاع الأرض تعتز به وتحرص عليه كل الحرص ،لأنه يمتزج بتاريخها وذكرياتها وعواطفها الروحية والقومية .

وقد أوجدت مسألة تفسير مصادر التراث المعماري في عصرنا الحديث وتحديد القيم المرتبطة بها ،مطلبا مهما يحتاج إلى قدر كبير من الخبرة والاطلاع والثقافة ، ولم تعد تقتصر على الاهتمام المحلى أو القومي ،بل غدت رسالة إنسانية تتعاون الشعوب في أدائها، وتتبادل الخبرات بشأنها تحت أشراف منظمات دولية متخصصة أو هيئات إقليمية

من هذا المنطلق سنقوم بعرض بعض التجارب العالمية في دراسة مصادر التراث المعماري والقيم المرتبطة بها لدى دول متنوعة على ظهر كوكبنا الأرضي من أجل الاستفادة منها كخبرة ومقارنتها بما لدينا من جهود للنهوض في إدراك مصادر التراث المعماري في مدننا الإسلامية والعربية .

لقد شهدت الإنسانية خلال القرن الماضي العديد من الحروب المدمرة التي أظهرت مدى ضعف التراث العمراني والإنساني عامة أمام القوة التدميرية للأسلحة والحروب ، و باختفاء العديد من المباني الأثرية أثناء الحرب العالمية الثانية بدأ الإنسان يدرك أهمية العمل على الحفاظ على التراث العمراني من الفناء .فبالرغم من تأثير الزمن والتآكل الطبيعي وتأثير الكوارث الطبيعية من زلازل وفيضانات وغيرها على التراث العمراني فأن تأثير الإنسان على التراث العمراني كان أفدح وأكبر ،كذلك أثرت التكنولوجيا في تسهيل التطور العمراني السريع واختفاء العديد من المباني والمناطق الأثرية لإفساح المجال للطرق والمشروعات العامة والصناعية الكبيرة وساهمت الصناعة في زيادة التلوث البيئي للهواء والمياه مما اثر تأثيراً مباشرا على التراث العمراني فبالإضافة للتلوث الناتج من عادم السيارات انتشرت مداخن المصانع تنشر في الهواء الملوثات التي تؤثر على الإنسان والجماد معاً .

أصبح الحفاظ على التراث العمراني مسؤولية تاريخية إنسانية تساهم في الإبقاء على معالم الماضي لكي يراها أبناء المستقبل . فمنذ أن وعى الإنسان الحتمية التاريخية للماضي والحاضر والمستقبل حاول تسجيل حاضره والحفاظ على ماضيه ليرى المستقبل ، وأصبح التراث العمراني يعكس الهوية الحضارية للإنسان :ماضيه وحاضره ومستقبله.

ولقد انتبهت دول مختلفة في العالم لمسألة التجانس بين التراث والمعاصرة في مباني المدينة من اجل أن تظهر كوحدة واحدة تربط التغيرات والتطوير الجديد بالوضع

الأصلي للمدينة بكل حساسية وعناية،ومن التجارب التي سنحاول أن ندرسها هي ما قامت بها دول مثل هولندا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية وماليزيا .
مند انطلاقة عصر الحداثة في العمارة ،عند العقد الثاني من القرن الماضي،انتشرت في الكثير من المدن حول العالم مشاريع غريبة الطراز ورديئة الجودة، مما جعل مراكز المدن تبدو متشابهة إلى درجة كبيرة ، وفى ظاهرة الطراز العالمي الذي غزا أكثر مدن العالم ،أصبحت تبدو المجمعات السكنية والمراكز المصممة وكأنها مجموعة من المباني المنفردة الممتازة التي صممها معماريون معرفون لكنها في مجملها فشلت في تكوين وحدة إنسانية متكاملة ذات معنى ، بعد أن أغمضت عينها على التراث العريق الذي كانت تملكه تلك المدن، ومن الأمثلة التي تتبادر إلى الذهن برازيليا (Brasilia) ومنطقة لاديفنس (La defence) في باريس ،ومركز لينكولن (Lincoln center) في مدينة نيويورك .. هذه المراكز فشلت في تكوين وحدة إنسانية متكاملة وذات معنى .
وفى بلداننا العربية الإسلامية ،وبالرغم من اتفاق الجميع على أهمية الحفاظ على التراث العمراني الإنساني إلا إن محاولات الحفاظ على التراث العمراني تتعسر في مواجهة احتياجات التطوير العمراني الحديثة .فبحساب الكلفة الاجتماعية والكلفة الاقتصادية والكلفة الثقافية لمشروعات الحفاظ ومقابلتها بالكلفة الاجتماعية والكلفة الاقتصادية والكلفة الثقافية لمشروعات الإسكان أو التعليم أو الصحة نجد الأخيرة تختار على حساب مشروعات الحفاظ وخاصة في دول العالم الثالث الفقيرة . ويجد المسئولون أنفسهم أمام تساؤلات عدة منها : الحفاظ أم توفير مساكن أفضل وخدمات امثل ؟ الحفاظ أم التطور ؟ الحفاظ أم الحداثة؟ وعندما تتعارض –كما يحدث في كثير من الأحيان –احتياجات التطوير نحو الحضارة الحديثة مع اتجاهات الحفاظ على التراث العمراني ،عندها يعتبر البعض الحفاظ عائق للتقدم والارتفاع بمستوى الأحوال المعيشية لأفراد المجتمع . في واقع الأمر يعتبر الاهتمام باحتياجات الحاضر على حساب التراث الإنساني يعتبر من الأخطاء الجسيمة التي ارتكبتها الإنسانية في كثير من العصور
إن العمارة المتميزة في مختلف العصور يمكن أن تتعايش بعضها مع بعض ورغم الاختلاف في الطراز والحجم ومواد البناء المستخدمة .

1-2-3 التجربة الهولندية في التعايش مع التراث : [7]

يبلغ عدد السكان في هولندة (14) مليون نسمة،حيث تبلغ الكثافة السكانية 400 شخص على الكيلو متر مربع ،وبعبارة أخرى يمكن القول بأن ثلث السكان يعيشون في مدن يزيد تعداد كل منها عن100.000 شخص وأن الثلثين يعيشون في مدن تعدادها أكثر من 20.000 شخص ومن الطبيعي ألا يكون في هذا شيء غير عادى لان هناك في العالم مناطق تتزاحم فيها المدن الكبيرة .ولكن الحالة تصبح خطرة حين يكون مسطح الأرض محدودا، وحين تكون طاقة الإيواء من الضيق بحيث لا تتيح لجماهير المدن المتزاحمة في مجال التوسع الطبيعي اللازم لتوازنها . وهذا هو السبب في أن التخطيط الإقليمي له أهميته الحيوية في هولندة.



الشكل (61) مساكن الأشجار في روتردام : المعماري بايت بلوم، المصدر[7]

وقد كان للبيئة الطبيعية الجغرافية تأثيرات قوية في هولندة. فقد كانت هولندة عبارة عن دلتا عريضة ذات انهار كبيرة تجرى فوق أراضى مسطحة ومنخفضة . وكانت الشواطئ الساحلية في مواجهة البحر تعززها الكثبان الرملية العالية في الغرب . وكان الهولنديون يستعملون الماء في أغراض عديدة . وفى أمستردام وحدها توجد 500 قناة مائية و1000 جسر . وترتفع على ضفاف هذه القنوات القصور الفخمة التي كانت مملوكة لأمراء التجار في القرنيين السابع عشر والثامن عشر. وتحيط فى وسط المدينة المعروف والقديم مناطق سكنية جديدة تشهد على القدرات الإبداعية للمعماري الهولندي المعاصر .

نشأة المدن :

لقد تحولت المستوطنات القديمة إلى مدن .ولم تكن المستوطنات في الواقع سوى مجموعات صغيرة من المساكن تفتقر إلى الحماية وتسكنها عائلات التجار الذين كانوا في الغالب يجوبون البلاد في جماعات مسلحة لنشر تجارتهم. ومع اتساع نطاق التجارة وانتظامها كبرت هذه المستوطنات أيضا وأصبحت مدننا في النهاية .

الاتجاه الحالي في العمارة الهولندية : [7]

يشعر كثير من الشباب المعماريين الهولنديين هذه الأيام بجاذبية نحو النظريات التي أعلنها الأستاذ Aldo Van Eyek الذي عمل لسنوات عديدة أستاذا في مدارس العمارة بمدينتي ديلفت وأمستردام ، فقد أقنعته دراسته العميقة للتجمعات البدائية في أفريقيا ، والهنود الحمر في أمريكيا ،وأحياء القصبات في المدينة الإسلامية .

ففي ضاحية هولندية نستطيع أن نرى ما كان" فأن أيك" بهذا التوجه. فقد قام (بلوم) Piet Blomوهو احد تلاميذه القدامى في أمستردام بتصميم 184 وحدة سكنية متوسطي الدخل ، معبرا عن مفهومه حول القصبة في المدينة الإسلامية، وقد قصد بمشروعه الخروج عن اتجاه العزل الراهن Segregation . وبحث عن تفسير جديد للحياة الحضرية . ولهذا ادخل فكرة السقف الحضري Urban Roof ومن خواص مخططه أيجاد نوع من التباين بين المستوى الأرضي (حيث تجرى كافة الأنشطة المعيشية الحضرية) وبين مسطح سكنى هادئ ، فوق هذا المستوى .وطبقا للتقليد الهولندي في الكثافات العالية استطاع Blom على هذا النحو أن يحقق 100 مسكن تقريبا في الهكتار الواحد .ومن المشروعات المشابهة أيضا مشروع أخر صممه (بلوم) في مدينة (هيلموند) والذي يسمى بمساكن الأشجار . حيث ترفع المساكن للأعلى بحيث تكون كمكعب مقلوب يرتكز على جزء مركزي مبنى بالطوب ، موفرا بذلك مستوى أرضياً حرا لكي تتم فيه الأنشطة الحضرية وفضلا عن هذه التجارب الإسكانية الغربية والتي قام بها Biet Blom نجد تعبيراً مصاحباً آخر عن العمارة الملائمة للطبيعة البشرية مماثلة للمجتمعات التي صممها (فان أيك) وبالتعاون مع Theo Bosch لمركز زويللى التاريخي ، وهى إحدى المدن الإقليمية . وقد جذبت هذه المجمعات قدراً كبيراً من الاهتمام في منتصف السبعينات ، حيث نجح المصممون في الحفاظ على جو مدن العصور الوسطى في إطار الهياكل العمرانية القائمة .



الشكل (62) مركز زويللى المعماري فان أيك مع ثيوبوش
دمج المشروع مع الهيكل العمراني القائم في المنطقة التاريخية، المصدر[7]

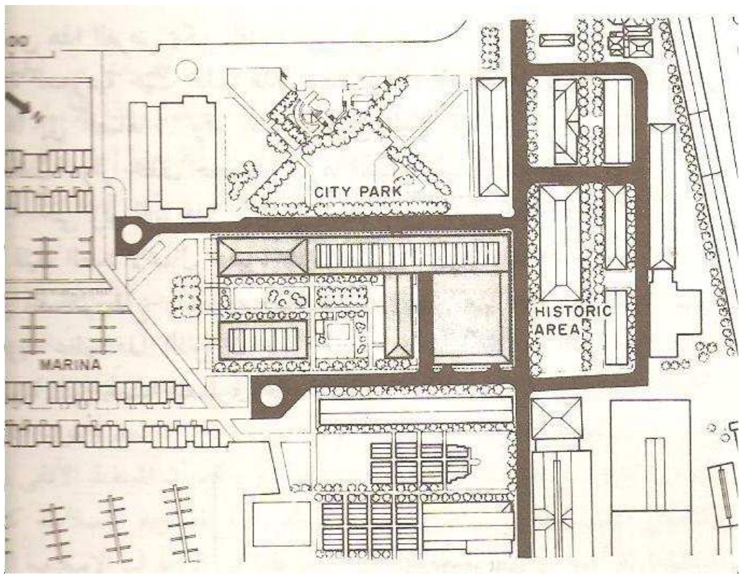
خلاصة التجربة الهولندية :

بالرغم من الأمثلة القليلة التي سقناها عن العمارة الهولندية .وهى عبارة عن مشروعات تعبر عن العمارة الملائمة للطبيعة البشرية وبمقياس إنساني ، واحتفظت بكثير من أشكالها التراثية ووفرت الاختلاف والتنوع المصحوب بعلاقة قوية بين الفرد والمجتمع وهناك اتجاه يقوده المعماري . والمخطط Carel Weaber ولكي يحيى (ويبر) ويجدد المدن الهولندية نجده يطرح التماساً .
للموضوعية المنهجية في العمارة وتخطيط المدن . ومن رأيه أن المدن يجب أن يصنعها مخططو المدن . والقيام برحلة في أعمال (كاريل ويبر) عمل يحتاج إلى جهد ، فله إنتاج مميز ومعظمه في قطاع الإسكان الاشتراكي .ومن الأعمال المعروفة في روتردام ما يسمى (paperelip) ويشتمل على 549 وحدة من وحدات الإسكان الاشتراكي .وقد وضع (ويبر) مؤخرا تعبيرا يكاد يكون مطلقا عن موضوعية المنهجية حين كلفه مجلس مدينة أمستردام بوضع مخطط عام لمدينة (فينسربولدر) وهى من ضواحي أمستردام. ويستوحي ويبر تخطيط المدن من القرن التاسع عشر مشيرا إلى المخطط الذي وضعه Cerda لمدينة برشلونة في عام 1859 م . وفى هذه المناقشات يبدو أن كثيرا من المصممين ، وبخاصة من جيل الشباب ،يرون في أعمال Rem Koolhaas ومكتبه تجديدا حقيقيا في العمارة .والتخطيط العمراني .ولحسن الحظ فأن Koolhaas أصبح في السنوات الأخيرة يشكل منبها هاما لمعماري وطنه أيضا . وعندما واجهت بلدية أمستردام الدعوة إلى ويبر لتصميم ضاحية (فينسر بولدر) واجهت الدعوة أيضا إلى كول هاس ليتولى مسؤولية التخطيط العمراني لمشروع أخر من مشاريع الإسكان العام في موقع كان حوضا وترسانة لصناعة وإصلاح السفن بالقرب من أمستردام . وقد طبق مدخلا جديدا

لبرنامج الاحتياجات شبيها بالسيناريو وبدراسة دقيقة للبيئة العمرانية القائمة ، مما أسفر في النهاية عن وضع مخطط عام يشتمل على 1375 وحدة سكنية ذات طابع ريفي . ويقول Koolhaas عن مشروعه . (من المهم جداً أن نقوم بشيء متزن ومعقول وطبيعي . وإذا كان لهذا المخطط العام من مزية فهي أنك تستطيع أن تسير في هذه الشوارع دون إحساس بطموح معماري أو بحلم إقامة يوتوبيا اجتماعية) .
وفى مجمل القول إن الحكومة ، كانت واعية بالتعاون مع المعماريين للوصول إلى مشروعات ذات طابع محلي وخصوصية ، معترفة بالإرث الحضاري السابق . ولم يكن هدفها بالدرجة الأولى مجرد توفير وحدات سكنية بأقل التكاليف ، لا تحمل أي طابع أو شكل جمالي .

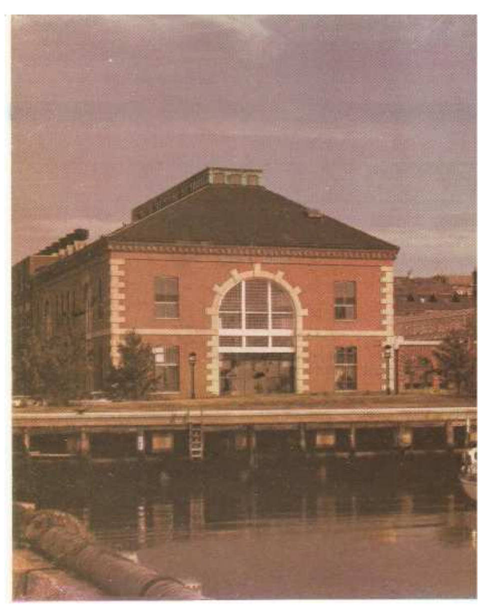
2-2-3 التجربة الأمريكية في التعايش مع التراث :

الولايات المتحدة الأمريكية التي بدأت تنطلق بشكل أساسي بعمارة معاصرة من الآنيات التي ولدت فيها ، احتضنت معماريين كبار وضعوا أسساً لعمارة محلية ناجحة ، واحترموا مسألة الحفاظ على المراكز والمباني القديمة .ومن أمثال أولئك هو المعماري المتميز (فاين غولد) (Fine gold) ، والذي كلف بتطوير مصنع للسفن قديم في بوسطن ، وتحويله إلى منطقة سكنية.



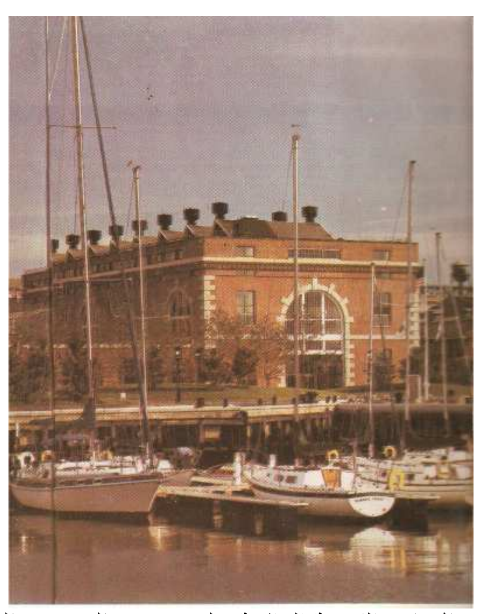
الشكل (63) الموقع العام لمصنع السفن في بوسطن، المصدر[7]

يرجع تاريخ إنشاء الترسانة البحرية بمدينة بوسطن بولاية ماساتشوستس الأمريكية إلى عام 1800م ولكنها توقفت عن نشاطها تدريجيا خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي وتشغل منشأتها مسطحا من الأرض يبلغ نحو مائة فدان . وقد خلفت الترسانة القديمة وراءها عدداً كبيراً من المباني في حالة جيدة بالإضافة إلى تمتعها بأهمية تاريخية كما أن الكثير من هذه المباني تمتع بقيمة جمالية عالية .وقد قام المعماري "فاين غولد" الذي كان يعمل كبيرا للمخططين في جهاز تطوير بوسطن بوضع خطة رئيسية طويلة الأجل لتحويل مجمع ترسانة إلى مجاورة سكنية بحيث يتم المحافظة على المباني التي تكون في حالة جيدة وتشتمل الخطة في مرحلتها الأولى على الإسكان ثم تليها مرحلة التطوير التجاري ثم الثقافي وتضم . المرحلة الأولى التي تم انجازها بالفعل وسميت مساكن كونستتيوش خمسة مباني صناعية قديمة كانت على عهد الترسانة القديمة تحتوى على مسبك وعلى ورشة ماكينات فتحولت في التصميم الجديد إلى مساكن مكونة من أربعة وحدات سكنية بالإيجار بالإضافة إلى مرآب للسيارات، والى جانب ذلك قام المكتب المعماري بتصميم الخدمات التجارية بحيث تشغل مبنى مجاورا متميزا بواجهته المكسوة بالجرانيت ويطل عبر الشارع على منتزه كبير كجزء من منطقة هامة . ولقد كانت المحددات التصميمية الهامة في عملية التجديد والتطوير ، تعتمد على الحفاظ بقدر الإمكان على الطابع الخارجي للمباني والمنشآت التي يرجع تاريخها إلى حقبة تمتد من خمسينات القرن التاسع عشر إلى أربعينات القرن العشرين. ومن هذه المباني مبنيان على الطراز Neo-Georgian ويقعان على مرسى اليخوت بمرفأ بوسطن ، ويتميز احدها بالعقود الضخمة بالزوايا الخارجية المبنية بالحجر ، أما المبنى الآخر فيتميز بجدرانه الزجاجية الطويلة ، و لهذان المبنيان أهمية



الشكل (64) مباني من الطراز الجورجي الجديد من القرن التاسع عشر، المصدر[7]

كبيرة مما يجعلهما يستحقان إدراجهما في السجل القومي للاماكن التاريخية .ويهدف التصميم الحديث إلى الحفاظ على طابع المباني الصناعية القديمة مع العمل على إنشاء بيئة سكنية جديدة.ولقد استلزم التعديل في التصميم، القيام بعمليات هدم نتج عنها الكشف من جديد عن الواجهات الداخلية المبنية من الطوب والتي تتميز بوجود العقود المرتفعة كما أعيد بناء ممر مكون من العقود المبنية بالطوب الذي كان قديما يربط بين المبنيين بالإضافة إلى أنه تم المحافظة على جمالون من الحديد استخدم في تغطية الفناء الجديد .أما المبنيان ذوي الزوايا الخارجية الحجرية ولهما سقفان مائلان متماثلان فلقد قامت البحرية بتعديل احدهما بحيث يضم السقف فتحات بارزة بشكل متعرج (Folded) ويعلوها مراوح للتهوية.



الشكل (65) المباني القديمة الواقعة على مرسى اليخوت، المصدر[7]

وهى المراوح التي تضاهى أجهزة مشابهة فوق سقف المبنى المستطيل، وهى حاليا ليس لها غرض وظيفي ولكن تم المحافظة عليها لشكلها الجمالي البارز ولإشارتها التاريخية إلى المنطقة البحرية / الصناعية القديمة .وتشكل الواجهة الطويلة لمساكن كونستتيوش خلفية تشاهد من المنتزه القومي للمدينة ولقد بذلت مجهودات كبيرة لترميم الواجهات الزجاجية ولكن أدى تقسيم النوافذ طويلا بقوائم طويلة إلى عدم إمكانية تركيب ألواح زجاجية مزدوجة أو إمكانية التهوية .أما بالنسبة للحائط الزجاجي الجديد فلقد لجأ المعماريون إلى تكرار النسب القديمة في الواجهة التي توحي بوجود ثلاثة أدوار في الداخل في حين أن المبنى المطور به ستة ادوار في الواقع ، فلقد تم إضافة ثلاثة أدوار تشتمل على 367 شقة .بما في ذلك الشقق ذات المستويين (Duplex) والشقق ذات الثلاثة مستويات (Triplex) للإفادة من القدرات الإنشائية التي توفرها المباني القائمة في استيعاب الأحمال الثقيلة. [7]

ومن أهم التعديلات الداخلية التي تمت هو تحويل الفراغ الصناعي الذي يبلغ ارتفاعه 60قدما إلى عدة ساحات (Atriums) ، يبلغ طول احدها 700 قدما لأنه يربط مابين مبنيين . ولاستغلال الفراغ الهائل بمقياس سكنى تم تقسيمه إلى أجزاء بمصاعد

زجاجية وجسور للمشاة كما أضيفت شرفات صغيرة إلى الشقق التي بمستوى الشارع. وتشكل الوحدات السكنية ثلاثة جوانب لفناء منسق، حيث تكون الفناء بعد إزالة بعض المباني الصناعية التي كانت قائمة بين المبنيين ذوى الزوايا الخارجية الحجرية. كما تم الإبقاء على مجموعة من الجمالونات وهى تظهر كعنصر زخرفي . أما الواجهة الطولية للمبنى الذي يحتوى على الوحدات السكنية والذي يدمج اثنين من المباني الصناعية القديمة فتطل على منتزه المدينة الجديدة.



الشكل (66) يتميز المبنى القديم بوجود العقود الضخمة وجوانب المبنى من الحجر، المصدر[7]

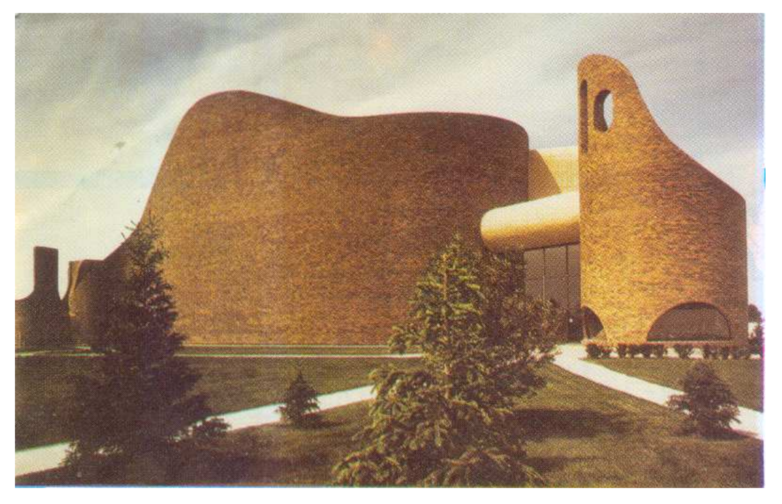
ولقد اختلفت التصميمات الداخلية في المباني الخمسة التي تم تطويرها تحت اسم مساكن كونستتيوش . فالمبنيان رقم (1) ورقم (2) وكانا في الأصل متماثلي – اختلفت هيئة السقف الخارجي لكل منهما .كما أن المباني أرقام (1و2و3) صممت لها ساحات (Etriums) بالغة الضخامة وتتمتع بإضاءة طبيعية ساطعة من خلال فتحات علوية وقد امتدت الممرات المكشوفة على مستويات متدرجة على كلا الجانبين. أما المبنى رقم(4) فقد انفرد بتصميم تقليدي ، حيث تكون الممرات ذات تحميل مزدوج ،وتقع غرف النوم في الدور الأرضي وتشتمل الأدوار العليا على بلكونات ولقد احتفظ المبنى رقم (5) بجدرانه القديمة ، وان كانت الأجزاء الداخلية من المبنى قد هدمت تماما لإنشاء مرآب للسيارات . ويتجاوز عدد نماذج الوحدات السكنية أربعة نماذج. وتمثل النماذج (A,B) الوحدات ثلاثية الطوابق والوحدات ثنائية الطوابق في المباني أرقام (1و2و3) أما النموذج(2) فهو وحدة ثلاثية الطوابق لا يوجد إلا في أعلى المباني التي لها الأسقف المتعرجة (Folded) أما النموذج الذي يقع في المبنى رقم(4) فيتيح لساكن الوحدة غرفة إضافية بلا نوافذ. [7]

ولقد وفرت الوحدات الجديدة مشاهدة بانوراما لمدينة بوسطن ومنطقة شارلز تاون والمرفأ . وفى بعض الوحدات السكنية يعيد الهيكل الإنشائي إلى الأذهان الطابع التاريخي للمباني . حيث تمتد كمرة رئيسية تحدد حافة ممر رئيسي في برج المدخل

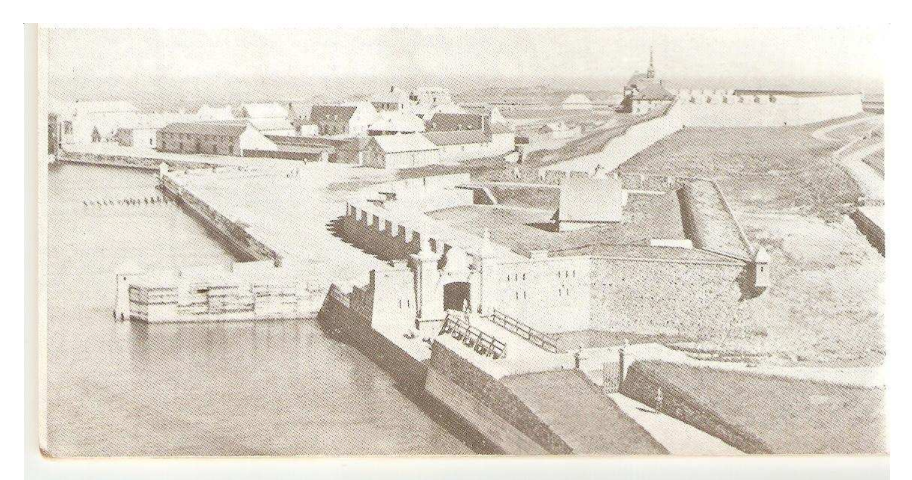
للمبنـى رقـم 3 . ويلاحـظ مراعـاة العنصـر الجمـالي فـي التصـميم ففـي السـاحات (Atriums) ،ذات الأسـقف المرتفعـة تنتشـر أحـواض النباتـات مختلفـة الأشـكال والأحجام .هذا وقد نظمت مسابقة بين الفنـانين المحليين لإنتاج عدد من المجسمات واللوحات الزيتية الجدارية لوضعها في الساحات (Atriums) .

3-2-3 التجربة الكندية في التعايش مع التراث:

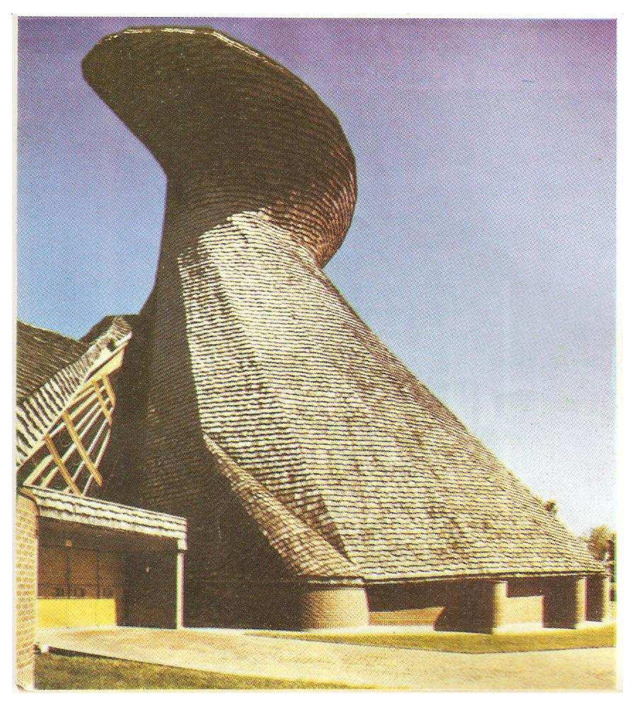
الكنـديون شـعب حضـري يبلـغ تعـدادهم 25 مليـون نسـمة تقريبـا.ويعيشـون فـي المـدن والمنـاطق المسـتوطنة فـي الجـزء الجنـوبي الـذي يمثـل عشـر مسـاحة هـذه الأراضـي الشاسعة والتي تبلغ مساحتها 9 مليون و997 ألفاً من الكيلو مترات المربعة.



الشكل (67)من أعمال دوجلاس كردينال في البيرتا كنيسة سانت مارى
وتعكس عمارتها الطبيعة المنبسطة في مناطق البراري الكندية، المصدر[7]



الشكل (68) السـور الضـخم الـذي يحيط بمدينـة لـويس بـورخ التاريخيـة والتـي تعـد اكبـر مدينـة عسـكرية بناهـا الفرنسيون عام 1740م في أمريكيا الشمالية . بدأت الحكومة الكندية عام 1960م مشروعا ضـخما لترميم المدينـة مع الحفاظ على طابعها المعماري والاجتماعي باستخدام أساليب البناء التقليدية القديمة .... ويعكس هذا المشروع مدى اهتمام الكنديين بتاريخهم واعتزازهم به، المصدر[7]



الشكل (69) أحد النماذج الناجحة للعمارة الإقليمية في كندا وهى مبنى كنيسة في (سان بونيفاس) ، ويشبه تشكيلها أسلوب القبائل الهندية القديمة في الإقليم الذين كانوا يبنون جميع مبانيهم الدينية في اتجاه حركة عقرب الساعة، المصدر[7]

استوردت كندا على مر التاريخ الطرز المعمارية من دول أوروبا الوطن الأم لسكانها- حيث كانت كندا مجرد أراضى ممتدة ذات طبيعة جغرافية ومناخية مميزة. أما من الناحية الحضارية والثقافية فكانت وعاءا خاويا.....وبالرغم من انه أصبح هناك إيمان –يكاد يكون عام –بأن عمارة الهنود الحمر Igloos & Tepees كانت ملائمة للظروف الايكولوجية للمنطقة إلا إن المستوطنين نقلوا معهم أساليب البناء الخاصة بأوطانهم الأصلية .... تمثلت هذه الطرز في البداية في الأسقف المائلة والحوائط المبنية بالحجر المنقولة عن العمارة الفرنسية في العصور الوسطى وذلك في مقاطعة كويبك الفرنسية والمباني المبنية من الخشب على الطراز الانجليزي في المقاطعات الانجليزية ،وفى مرحلة أكثر تطورا اعتمد تصميم المباني العامة على الأسس المعمارية التي وضعها وPolladia Vignola وبالطبع فأن عدم ملاءمة مواد البناء وعدم توافر الايدى العاملة الحرفية واختلاف الظروف المناخية قد أوجبت بعض التغيرات في الطراز الاوروبى المنقول.... وفى نفس الوقت أخرجت الخبرات المحلية مستوى أدنى من التصميم ، وقد وضعت هذه الظروف مجتمعة النموذج للأجيال التالية..... وبذلك يمكن القول بأن أهم ماقدمته العمارة الكندية في هذه الفترة التاريخية للعمارة العالمية هو تعديل الطرز المستوردة من أوروبا والوصول بها إلى المستوى الاقليمى .

بدأت العمارة الكندية في الفترة الأخيرة يأخذ طابعا خاصا بها. ولا يرجع هذا فقط للمواهب المعمارية الفذة التي ظهرت فيها في الفترة الأخيرة ولكن يرجع أساسا للنظرة التقدمية Post –Internationalism التي بدأت تظهر في كندا والعالم بأسره ...... وذلك بعد انتشار الاتجاه العالمي الحديث International Style الذي

نادى بتطبيق نفس أسس التقييم على جميع المباني بدون الاهتمام بالظروف البيئية المحلية للإقليم .... وقد أدى هذا الطراز إلى تقسيم دول العالم إلى دول تبدع وأخرى تنقل عنها... ولقد عانت كندا من هذا الاستعمار الثقافي طوال ال300 سنة الماضية ،إلا أن هذا الوضع قد تغير بحيث أصبحت كندا امن الدول الرائدة في مجال اللامركزية أو الإقليمية وبدون أن يكلفها ذلك أعباء اقتصادية كبيرة..... [7]

ونظرا للوضع الاقتصادي المنتعش فمن المتوقع أن تلعب كندا دوراً هاماً في تطوير مفهوم ما أطلق عليه Post –Internationalism وهو الاتجاه بالعمارة بعيدا عن العالمية إلى المحلية أو الإقليمية. [7]

ومع خروج كندا عن نظام المستوطنات التي غالبا مافرضت بالقوة العسكرية أو أقامها المستثمرين..بدأ الكنديون يفرضون الطابع الإنساني على مدنهم وقد نتج عن هذا الاهتمام بالإنسان مجموعة من المشروعات الرائدة مثل مشروع المركز البريطاني في فانكوفر حيث شارك السكان في تصميم المجاورة السكنية .وثمة محاولات متزايدة تبذل للحفاظ على أو إعادة استخدام أو دمج المباني التاريخية في النسيج العمراني مثل مشروع البنك الكندي في أوتاوا ومشروع تجديد جزيرة جرافيل في فانكوفر الذي أعاد صياغة دور المعماري في تصميم البيئة المحلية ،فلم يعد دور المعماري مقصورا على تصميم مباني جديدة تعكس النظريات المعمارية المعاصرة ..... بل تعدى ذلك إلى الاهتمام بالمباني القائمة وإعادة الحياة إليها وذلك تأكيداً على إن نجاح العمل المعماري لا يعتمد على التشكيل ولكن على مدى استجابة مستخدمي المبنى معه ، فالعمارة هي تفاعل المعماري مع المبنى والناس.

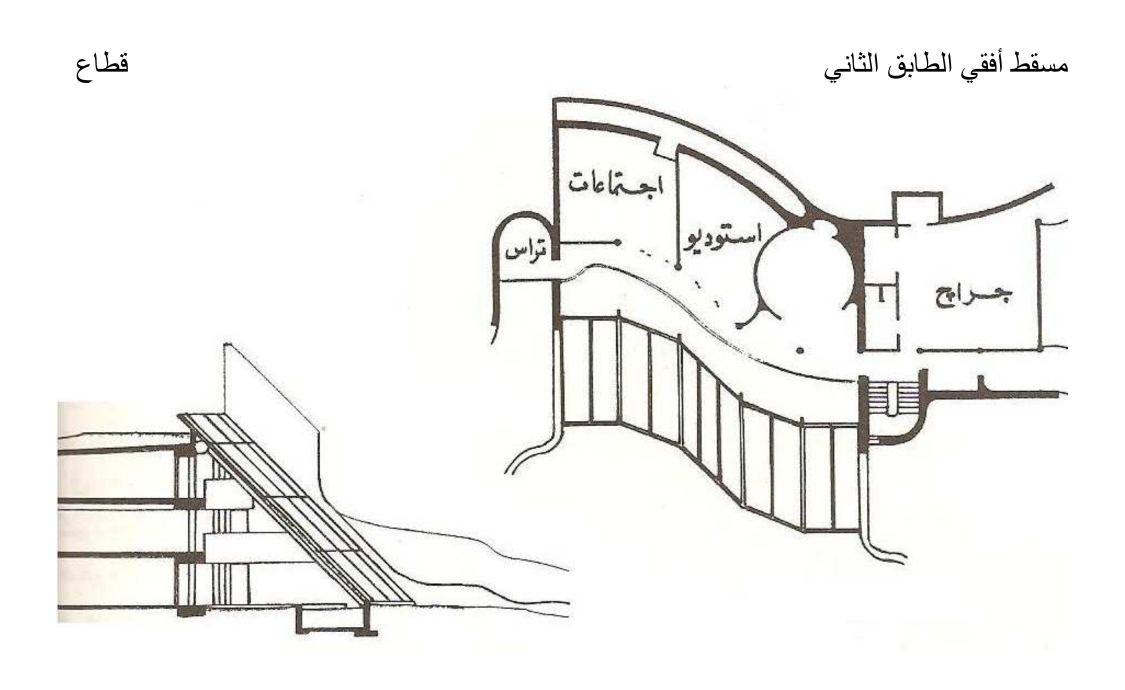
في الوقت الذي رفض فيه المعماريون المعاصرون أي اتصال بالماضي إيماناً منهم بأن فواصل بين دول العالم قد أذابها التطور العلمي والتكنولوجي الضخم في العصر الحديث بدأ في كندا البحث الحقيقي عن الشخصية الخاصة في مختلف المجالات وخاصة في مجال العمارة التي تعتبر انعكاس الحقيقي للشخصية الحضارية لأي دولة شجع ذلك العديد من المعماريين الكنديين على محاولة إيجاد عمارة تعكس وتطور الشخصية التاريخية والإمكانية ومن أمثالها ذلك النادي التزحلق على الجليد في كويبيك من تصميم المعماري Peter Rose والذي تعكس واجهته العمارة التقليدية للسكان الأصليين والأشكال الانسيابية المدموجة في عمارة دونجلاس كردينال في ألبرتا والتي تعد انعكاس للطبيعة المنبسطة في البراري والمجموعات السكانية الجديدة في تورنتو.

نموذج لمساكن المنفردة في كندا مسكن المعماري دوجلاس كاردينال الخاص (ادمونتون): [7]

يعتبر المعماري دونجلاس كاردينال من مشاهير المعماريين في كندا وهو من أصل هندي يقول إن الهنود وحدهم يستطيعون السكن في المناطق الشمالية من القارة الأمريكية أما الشعوب القادمة من أوروبا فيصعب عليها التكييف مع هذه البيئة والمناخ القاسي ويفكر المعماري الهندي الأصل وبالاستعانة بمدخل تصميمي لمنازل الهنود قام دونجلاس كاردينال بوضع التصميم لمنزله الخاص في منطقة جبلية تنتشر

فيها التلال ولقد استعان أيضا بالتكنولوجيا الحديثة للتغلب على مشكلات المناخ القارص البارد.

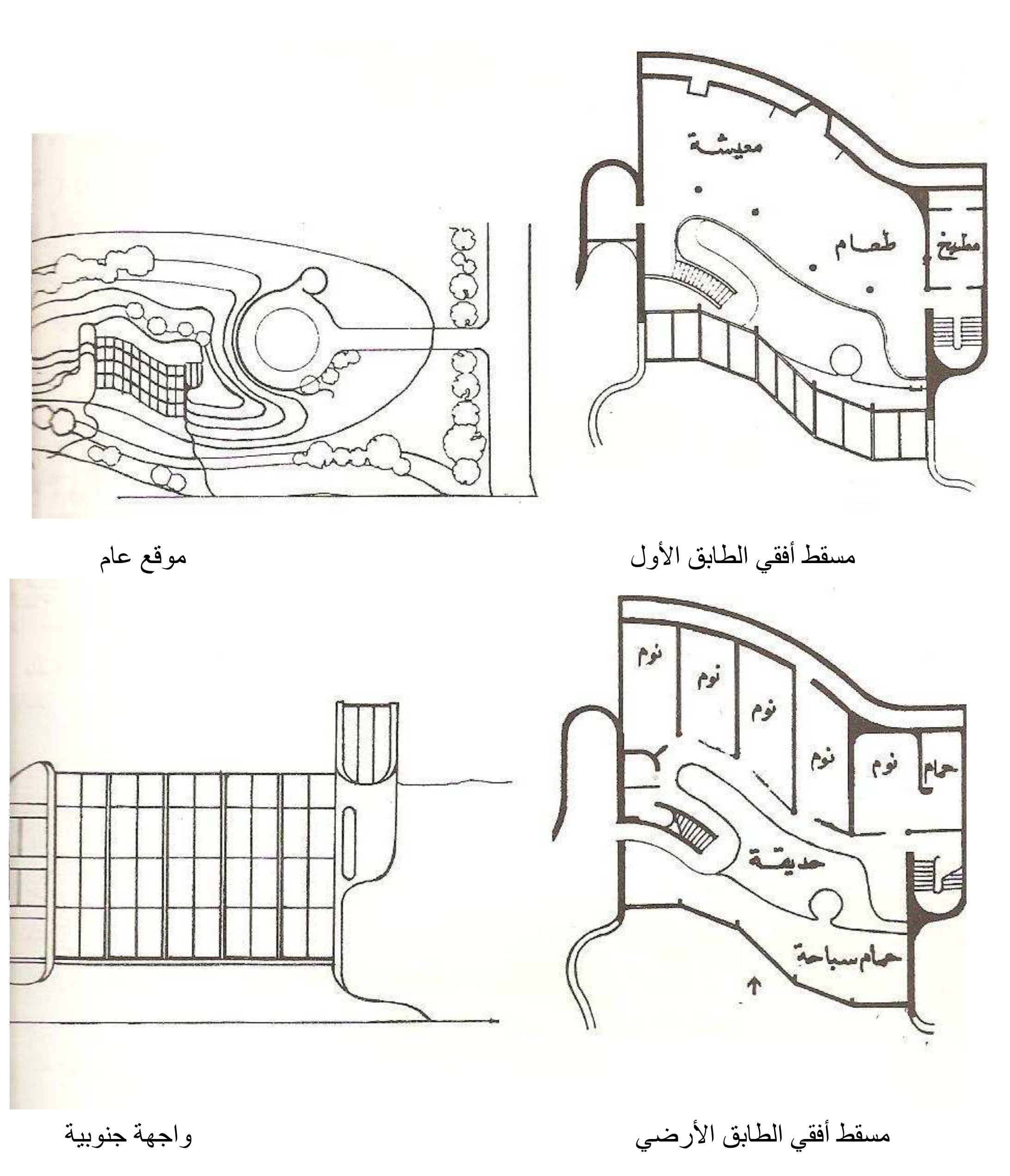
والمنازل عبارة عن كهف منحوت داخل التضاريس الأرضية للتل حيث تمتد واجهة المنزل الزجاجية بامتداد الميول الطبيعية (Slopin greenhouse roof) حيث تحصر داخله حديقة بارتفاع الأدوار الثلاثة المكونة للمنزل كما تشتمل الحديقة



الشكل (70) نموذج لمساكن المنفردة في كندا مسكن المعماري دوجلاس كاردينال الخاص، المصدر[7]

أيضا على حمام للسباحة مكونة بذلك فراغ الاتريوم أما الجهة الخلفية للمنزل فيوجد بها فراغ خاص بالتدفئة بارتفاع الأدوار الثلاثة المكونة للمنزل يفصل فيما بين الحجرات والتل .

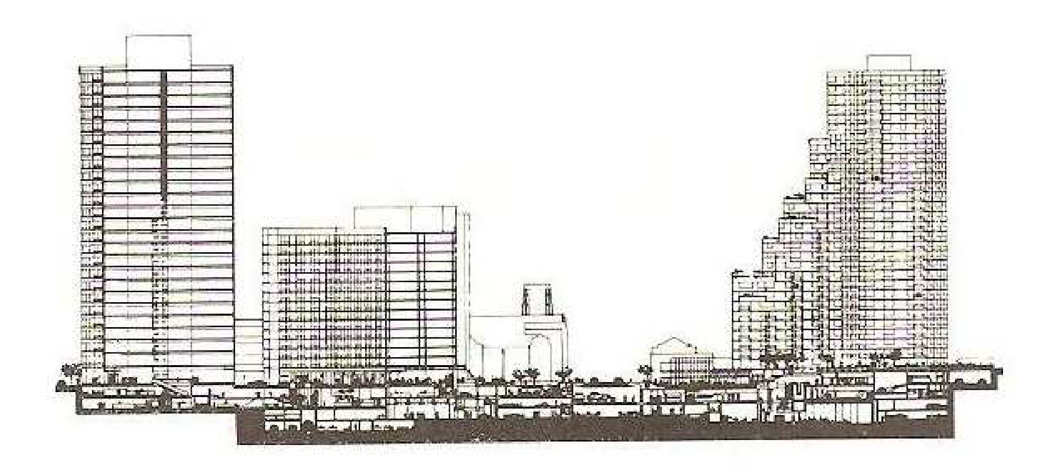
المسكن يشتمل على خمسة حجرات للنوم وحديقة وحمام سباحة داخلي والدور الأول يصل إليه سلم من الحديقة بالدور الأرضي ويشتمل على مساحة مفتوحة لفراغ المعيشة مع قاعة الطعام والمطبخ ثم يتم الانتقال من هذا الطابق إلى الدور الثاني عن طريق السلم بالبرج الجانبي حيث يشتمل الدور الثاني على حجرة اجتماعات و استديو لأعماله كمعماري وخدمات ويتصل الكراج الخاص بالسيارة مباشرة بهذا الدور حيث تصل السيارة عن طريق منسوب علوي من التل الخلفي إلى هذا المنسوب والمبنى عضوي التكوين من الخرسانة والمسطحات الزجاجية الضخمة.



مسقط أفقي الطابق الأول   موقع عام

مسقط أفقي الطابق الأرضي   واجهة جنوبية

الشكل (71) نموذج لمساكن المنفردة في كندا مسكن المعماري دوجلاس كاردينال الخاص، المصدر[7]



الشكل (72) قطاع في المجموعة السكنية يحتضن السوق التجاري الممتد أسفل الطريق والذي يحتوى على مباني تراثية قديمة، المصدر[7]

خلاصة التجربة الكندية :

استوردت كندا عمارة الآخرين مما أورثها عمارة ضعيفة غير ملائمة لظروفها الخاصة آما الآن فقد بدأت الرؤية تتضح كغيرها من الدول العالم بدأت كندا تتخلص من هذا الاستعمار الثقافي السابق إلا أنها تحاول الاحتفاظ بالروابط التاريخية الحضرية بالرغم من عدم وجود تاريخ مسجل لها قبل الاستيطان الاستعماري وهى تتفق في ذلك مع جاراتها أمريكا التي مرت بهذه المرحلة منذ 200 عاما تقريبا عندما بدأت في وضع أسلوب حياة خاص بها ونجحت في ذلك وقد استطاعت المدن والأقاليم الكندية تأكيد ملامح معمارية الخاصة ومميزة لها مثل ما حدث في مدينة تورنتو ومدينة فانكوفو وأقاليم البراري على وجه المثال كلها عكست الملامح المعمارية الناتجة كانعكاس للمؤثرات الجغرافية والمناخية والتاريخية لأجزاء الهامة في كندا.

4-2-3 التجربة الماليزية في التعامل مع التراث والمباني المرتفعة:

لقد وفرت الثورة الصناعية في بدايات القرن التاسع عشر تقنيات جديدة، كان لها التأثير القوي على أشكال المباني، فلقد كان لتطوير المصعد والمحرك الكهربائي وقنوات التفريغ بالتأكيد آثاراً كبيرة على النواتج الشكلية للمباني، فعلى سبيل المثال سمح وجود المصعد بالوجود الحقيقي للبناء المرتفع والذي كان احتمال وجوده سابقاً شيئاً محالاً، وذلك بسبب محدوديات الدرج العادي للارتقاء إلى طوابق عُليا من المبنى. [7]

ورغم أن المباني العالية ومن ضمنها ناطحات السحاب، كانت قد طُورت في المناطق الشمالية المعتدلة من العالم، ولأسباب متعددة، ومنها كلفة الأرض والتكثيف الإسكاني لتلك المدن.

وفـي ماليزيـا التـي تقـع فـي المنـاطق الحـارة الرطبـة فقد أهـتم المعمـاري كـين يـانغ (Ken Yeang)بهذا الموضوع وكرس وقته لدراسته للوصول إلـى أسلوب مناسب لإنشـاء المبـاني العاليـة للأجـواء الحـارة والاسـتفادة مـن الطاقـة الطبيعيـة المتـوفرة، وانطلاقاً من التجربة الماليزية الرائدة في المبـاني المرتفعة فـإن هذه الورقـة ستحاول أن تحلل الأسـاليب المناسبة لإنشـاء مبـاني عاليـة وناطحـات سحاب بـالأجواء الحـارة والاستفادة من الطاقة الطبيعية المتوفرة في الظروف المناخية .

إذا كانت العمارة الأولى في التاريخ قد نبتت على ضفاف النيل والفرات وامتد تأثيرها شـرقاً وغربـاً حتـى دخل بـلاد الإغريق والـروم واستمر المد الحضـاري غربـاً حتـى عصـر النهضـة ثـم الثـورة الصـناعية وتعدى حـاجز الصـوت وخضـعت العمـارة فـي الغرب إلى كل وسـائل التقنيـة المتقدمـة، وانفتح العقل المعمـاري بعد ذلك علـى آفـاق عريضة من الأفكـار والابتكـار تحت مسميات عديدة ومتعددة تصدر إلينـا فـي العـالم العربي بين الحين والحين حاملةً معها كل مقومات الإبهار والإظهـار حتـى أصبح كـل شيءٍ جائز في عالم العمارة. والمعماري العربي في كل هذه التطورات يقف متفرجـاً أو نـاقلاً أو متمسحاً بكل الإفرازات الحضارية والمعمارية في الغرب كما يقف عـاجزاً عـن المسـاهمة فـي خـوض المجـادلات الفكريـة النابعـة مـن خصوصـيته الحضـارية. فالمعماري العربي ليس لديه من المراجع إلا مـا يقدمـه لـه الفكـر الغربـي ولـيس عنده مـن التقنيـة إلا مـا تُنتجـه المصـانع الغربيـة.. وإن دل ذلـك علـى شـيءٍ فإنمـا يـدل علـى التخلـف الحضـاري الـذي أصـاب هـذه الأمـة بعـد أن كانـت مـورداً للعمـارة والفنـون والعلوم إلى كل أرجاء العالم. ولكن الأيـام دول فـإذا كانـت الحضـارة الأولـى قد نبعت من المشرق واتجهت غرباً ثم عبرت المحيط الأطلنطي حتى وصلت القارة الأمريكيـة ثم المحيط الهادي حتى مشارف الصين.. فمن الواضح أنها بدأت تغرس جذورها فـي جنوب شرق آسيا حيث بلاد النمور الخمس التي تضم سنغافورة وماليزيـا واندونيسـيا وتايلانـد والفلبـين وبـدأت فـي هـذه الـبلاد عمـارة أكثـر تطـوراً كنتيجـة حتميـة للنمـو الاقتصادي الذي بدأ يدب في أرجائها ويمتد حثيثاً إلى داخل الصين التـي بـدأت تـدخل عصراً جديداً من التنمية الاقتصـادية والعمرانيـة سوف تقلب الميـزان الحضـاري فـي العالم. هذا في الوقت الذي بدأت تدخل فيه أوروبا وأمريكا عهداً من التخلف الإنسـاني والحضاري الذي سوف ينعكس بالتالي علـى مقوماتهـا الاقتصـادية والماديـة، وبالتـالي على إنتاجها المعماري والعمراني. وقد بدأت صورة الدورة الحضارية التي بدأت من المشرق تتجـه غربـاً لتعبـر المحيطـات حتـى بـدأت تظهـر بداياتهـا السـريعة فـي جنـوب شـرق آسـيا وتجتـذب معهـا دولـة الصـين العظيمـة. وظهـرت الإفـرازات المعماريـة والعمرانيـة لهـذه الحضـارة الجديـدة فـي العديـد مـن المشـروعات الإسكانية والإداريـة والسـياحية وصـدرت معهـا المجـلات المعماريـة التـي تضـم أحـدث مـا أنتجـه الفكـر المعماري للنمور الخمس... ولم يكن التضامن الاقتصادي بين هذه الدول قاصراً علـى الجوانـب التجاريـة والماليـة والإنتاجيـة فقـط، ولكنـه امتـد إلـى كـل جوانـب العمـل والأعمال بما فيها العمـارة. فقد تكوّن اتحـاد للمعمـاريين مـن دول النمـور الخمـس، لـه مجلتـه المعماريـة الخاصـة بخلاف المجـلات المعماريـة لكـل دولـة... هكـذا فـي هـدوء

وسكينة وبسرعة مذهلة، لا يشعر بها حتى أن الدول الغربية بدأت تخشى هذا المد الحضاري الجديد. هذا في الوقت الذي لا يزال فيه المعماريون العرب متطلعين بأنظارهم إلى الغرب وظهورهم إلى الشرق .وقد آن الأوان لتحويل النظر شرقاً ليس فقط للتلقي والاستيراد ولكن للتفاعل والمساهمة في هذه الطفرة الحضارية خاصةً وأن المقومات الاجتماعية والثقافية والدينية لدول النمور الخمس أقرب إلى العالم العربي، الأمر الذي يساعد على سهولة الاتصال المهني والتفاعل العلمي والفكري، والاستفادة من التجربة الحضارية والمعمارية التي تمر بها هذه الدول، دون حساسية أو حرج ودون استغلال أو تسلط ودون الخلفيات التي تركها الغرب في الكيان العربي ورسخت في وجدانه الفكري والثقافي بما فيها من مفاهيم وتعبيرات ومصطلحات يتناولها المعماري العربي كما هي بألفاظها الأجنبية وشروحها اللغوية فلا نجد كتاباً أو مقالاً إلا واستشهد فيه المعماري العربي بمقولات أصحاب الفكر المعماري الغربي وكأنها آياتٌ أُنزلت دون تدخل فكري أو اجتهاد علمي أو مناقشة من المعماري العربي ودون الرجوع إلى الجذور الثقافية والحضارية والفكر العربي أو الإسلامي ودون الاجتهاد الفردي الذي يؤكد الشخصية العربية.

وقد برز معماريون كبار بهذه الدول لم يُسلّط الضوء عليهم إلا قليلاً ممن درسوا خصوصيات مجتمعاتهم واستجابوا لمعطيات العمارة المحلية وتأثرها اجتماعياً وبيئياً، فكانت تصاميمهم ناجحة إلى درجة كبيرة... ومنهم المعماري والمُنظّر الماليزي (كين يانغ)، والذي ستحاول شرح توجهاته في عمارة المباني العالية، ومعالجاته البيئية في المحيط مرتفع الحرارة والرطوبة، والذي يتشابه مع مناطق كثيرة من عالمنا العربي تقع على سواحل الخلجان والبحار والمحيطات[7].

بعد مرور المجتمع البشري بحلقات متعددة من التقدم العلمي والتقني، مستثمراً كل ما يستجد من اكتشافات تقنية في تطوير أشكال وأنماط المباني على مدى التأريخ، وقد أدى استخدام مواد الإنشاء المكتشفة الحديثة والتقنيات الجديدة إلى تطوير طرز المباني، وارتفاعاتها، لتصل إلى أعلى من 500 م. هذه المباني استفادت من تقنيات البناء والتشييد عالية التطور، إلا أن الكثير منها لم يستطع الاستجابة إلى متطلبات التصميم البيئي المستدام.










الشكل (73) برجي بتروناس في ماليزيا، المصدر[16]

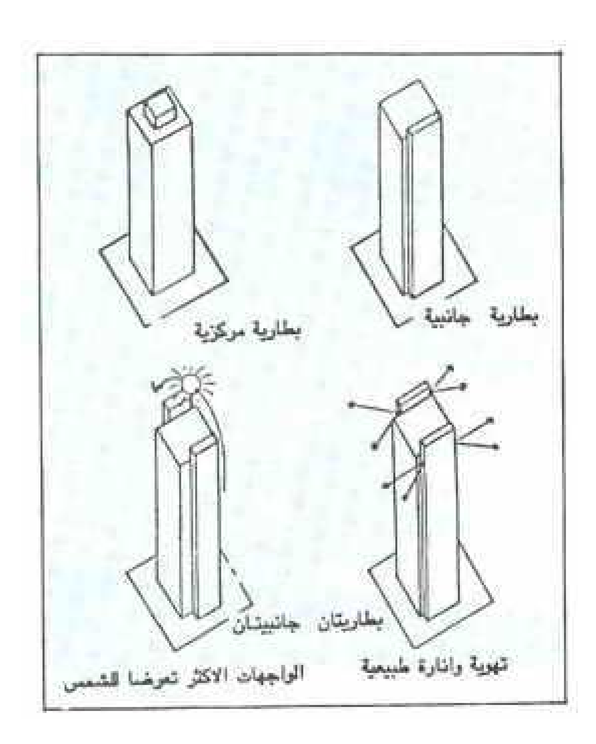
محاولات جادة في الضفة الأخرى من العالم:

تقول المجلة المعمارية (Archasia)أو أركاسيا التي يصدرها اتحاد المعماريين في جنوب شرق آسيا أنها تصدر لتساهم في دخول عمارة المنطقة في عمارة القرن الحادي والعشرين، فهي ليست مجلة تعرض لما يقام أو يستجد على الساحة المعمارية في بلاد الفهود الخمس من إنجازات معمارية وعمرانية، ولكنها تسعى إلى تطوير العمارة في هذه البلاد وتؤهلها لتفهم متطلبات قرننا الواحد والعشرين، وهي تعلم مدى التقدم المعماري والعمراني في أوروبا، وأمريكا واليابان... هي تحاول أن تتقدم بعمارة المنطقة مهنياً وتقنياً وفنياً وفكرياً في إطار خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية الطموحة التي تشهدها هذه المنطقة بعد رقاد طويل كانت تعاني فيه من التخلف الحضاري، ولكنها العزيمة والالتزام والانتماء الذي يقهر الصعاب، فالنهضة المعمارية في هذا الجزء من العالم هي جزء من النهضة الاقتصادية التي يشهدها. وإذا كانت هذه الدول قد أصبحت تنافس الدول الصناعية في صناعة الإلكترونيات وغيرها من الصناعات فهي أيضاً تنافسها في صناعة البناء والتشييد. بل وربما تفوقت عليها في المجالين. فالارتقاء بالمستوى المعماري لهذا الجزء من العالم يتم في إطار التخطيط الشامل الذي تشهده وتعمل وتلتزم به كمجموعة اقتصادية متكاملة يجمعها وحدة الفكر ووحدة الهدف ووحدة الأداء وتعتمد هذه الحركة التنموية بما فيها من إنجازات عمرانية ومعمارية على التركيبة الحضارية للإنسان في هذه البلاد. فالعمل هنا عبادة والالتزام بدقة الأداء للمنافسة واجب قومي. والقناعة بالقليل من

المتطلبات في المراحل الأولى للتنمية إحساس عام. والالتزام الصارم بالنظام أصبح عادة شعبية، والإقبال على الإنتاج المحلي عقيدة ثابتة. وتأصيل القيم الحضارية عند العامة والخاصة أصبح منهجاً حياتياً في المسكن والملبس والمأكل تأكيداً للشخصية الحضارية حتى لا تضيع في خضم العالمية التي بدأت تذبل أوراقها. وتأصيل القيم الحضارية في العمارة بدأ يأخذ مكانته في العديد من المشروعات الإسكانية والسياحية بعكس عمارة المال والأعمال فلا تزال تنمو وترتفع في صورتها العالمية. [7]

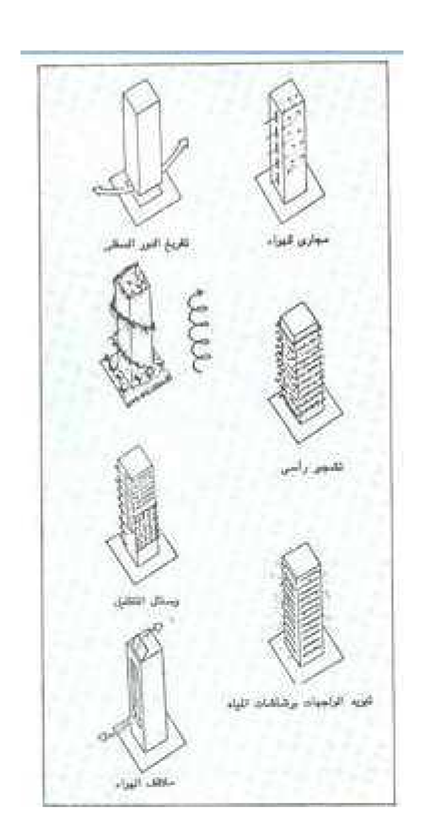
الإصرار والالتزام بالأسس السليمة:

إن وجود مخططين ومعماريين ومنظرين، واعين للبيئة المحيطة بهم، أدى إلى ظهور تصاميم تتماشى مع التصميم البيئي المستدام في العمارة، في نتاجاتهم الذاتية.. وفي نتاجات معماريين من دول أجنبية، التزمت الخط الذي وضعه المعماريون الوطنيون لعمارتهم المحلية المعاصرة.



الشكل (74) الدراسة البيئية للمباني البرجية في ماليزيا، المصدر[16]

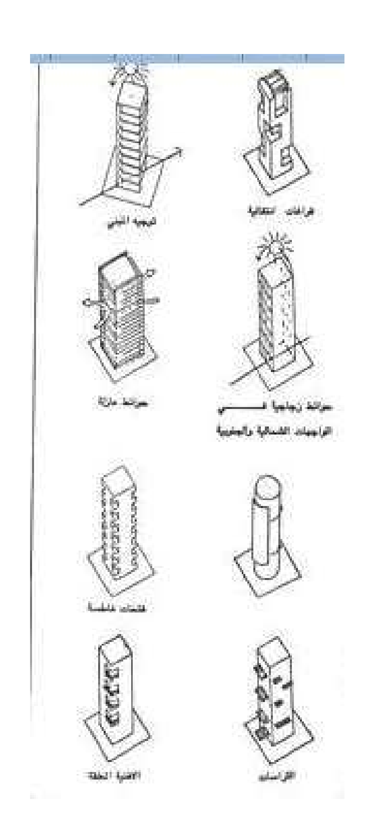
وهنا سنقوم بعرض الأسس التي نادى بها أحد أساطين العمارة المعاصرة في آسيا بخصوص المباني العالية، ونتعرض إلى أحد تصاميمه التي حقق فيها مبادئه بالاستفادة من الطاقة الطبيعية المتوفرة، إضافة إلى قيامنا بعرض مشروع آخر قدّمه معماري آخر من بلد غريب إلى وطن المُنظّر المبدع، ليخضع ويتأثر بنفس نظريات هذا المعماري الآسيوي ذي النظرة الثاقبة.



الشكل (75) الدراسة البيئية للمباني البرجية في ماليزيا، المصدر[16]

الأسس التي وضعها (كين يانغ (Ken Yeang) (لتصميم المباني المرتفعة في المناطق الحارة والمدارية: [7]

في خلال العقود الأربعة الماضية، نكبت المدن الكبرى في الدول الحارة والمدارية على حدٍ سواء بظاهرة ناطحات السحاب الزجاجية العملاقة التي نشأت أصلاً في بيئات مختلفة تماماً في المناطق الشمالية المعتدلة من العالم. وقد أثبتت هذه الناطحات عدم اقتصاديتها حتى في مناطق نشأتها المعتدلة الحرارة، أما في المناطق الحارة فقد شكّلت أحمالاً ضخمة من التبريد مما يعد إهداراً للطاقة. وقد اهتم المعمارية الماليزي كين يان (Ken Yeang) بهذا الموضوع وكرّس وقته لدراسته للوصول إلى أسلوب مناسب لإنشاء ناطحات السحاب المناسبة للأجواء الحارة والاستفادة من الطاقة الطبيعية المتوفرة.



الشكل (76) الدراسة البيئية للمباني البرجية في ماليزيا، المصدر[16]

من أهم الملامح التصميمية لناطحات السحاب التقليدية، قنوات الخدمة (Servicecore)فهي لا تؤثر فقط على السلوك الإنشائي للمبنى، وإنما تؤثر أيضاً على السلوك الحراري، كما تحدد أي الواجهات الخارجية ستكون مفتوحة، وأيها ستضم الحوائط الخارجية. وتأخذ هذه القنوات ثلاثة أوضاع أساسية: قناة مركزية – قناة مزدوجة – قناة جانبية. وفي المناطق المدارية الحارة يفضل وضع القناة على الواجهات الخارجية الأكثر تعرضاً للشمس – الشرق والغرب – وبالتالي فإن القناة المزدوجة على جانبي المبنى تكون أكثر صلاحية حيث توفر الحماية للفراغات الداخلية، فقد أثبتت الدراسات أن أحمال التبريد تصل إلى أدنى معدلاتها لدى تطبيق نظام القناة الخارجية المزدوجة في اتجاهي الشرق والغرب، بينما تأتي الفتحات في الواجهات الشمالية والجنوبية... كما أن نظام القنوات الخارجية يوفر الإضاءة والتهوية الطبيعية للسلالم ودورات المياه مما يوفر في استهلاك الطاقة سواءٌ في التهوية أو الإضاءة الصناعية أو الحماية من أخطار الحريق.

غالباً ما تكون المباني المرتفعة أكثر عرضةً لتأثير الحرارة الخارجية والإشعاع الحراري. وبالتالي فإن توجيه المبنى يكون له تأثيراً مباشراً على الحفاظ على الطاقة. وقد أثبت التوجيه المذكور سابقاً مزايا كبيرة فيما يتعلق بمستوى العزل الحراري للمبنى (وبالتالي تخفيض أحمال التبريد) حيث تستخدم الفتحات الزجاجية فقط في الواجهات الأقل تعرضاً للشمس – الواجهات الشمالية والجنوبية في المناطق المدارية – أما في الواجهات الأكثر




الشكل (77) برج ميسينياجا بكوالالمبور، المصدر[16]

تعرضاً للشمس – الواجهات الغربية والشرقية – فتستخدم بعض العناصر والأساليب المعمارية للتظليل – مع الأخذ في الاعتبار كمية الإضاءة المطلوبة في الفراغات الداخلية – وتشمل النوافذ الغاطسة، والتراسات أو الأفنية المعلقة التي تعمل كفراغات عامة بجانب وظيفتها للتظليل مع إمكانية استخدام الفتحات الزجاجية خلفها لرفع مستوى الإضاءة في فراغات العمل الداخلية. كما تعمل هذه التراسات كأماكن للتفريغ في حالات الطوارئ، أو كفراغات مرنة لإضافة بعض الخدمات المستقبلية عند الحاجة.

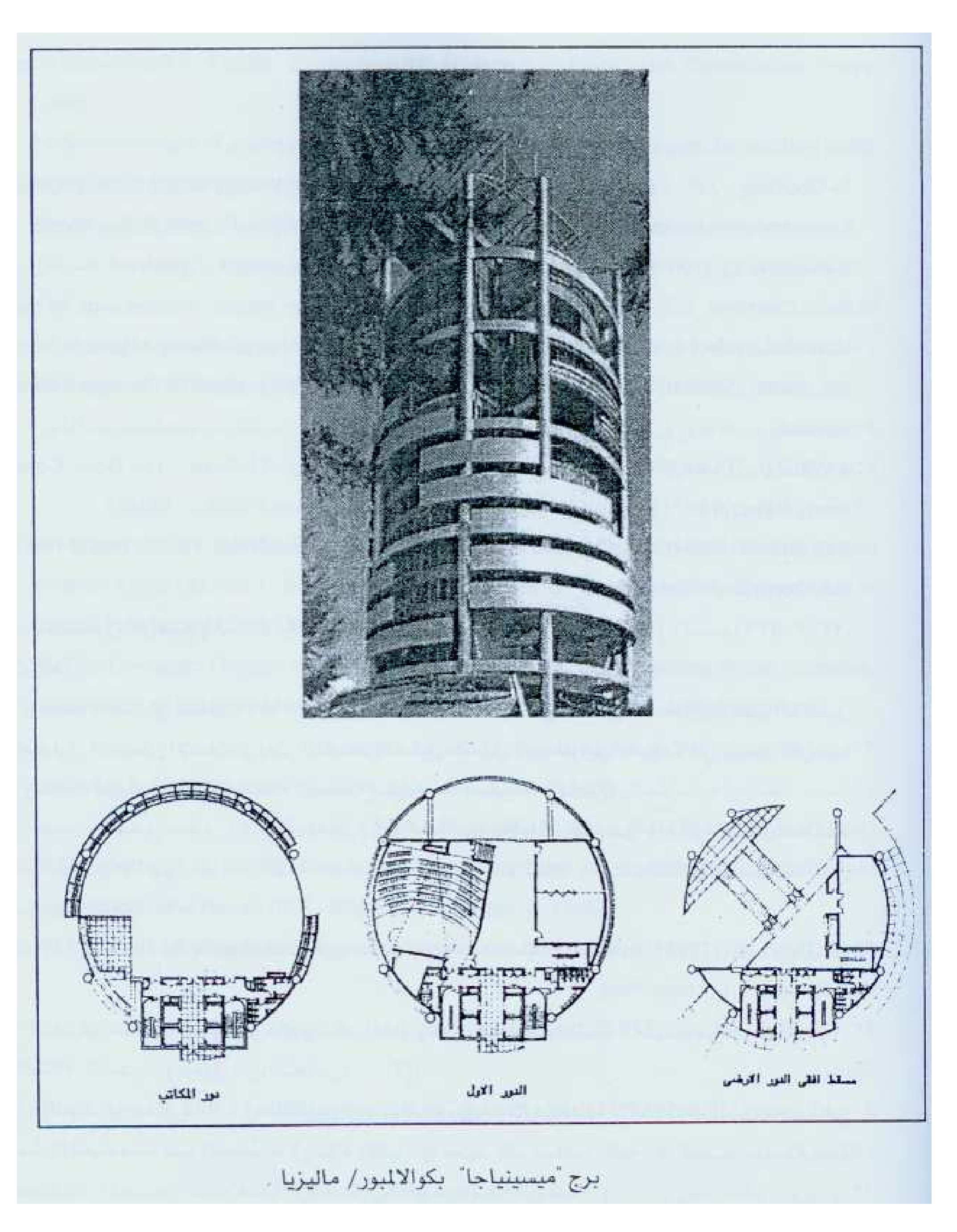
ومن أهم محددات التصميم التي يجب مراعاتها في المباني المرتفعة في المناطق الحارة المدارية التهوية الطبيعية Cross Ventilation. وتعد الفراغات الانتقالية الضخمة – متعددة الطوابق – من الأساليب المعمارية التي يمكن استخدامها في المباني العالية سواءً في المناطق المركزية أو على الأطراف كفراغات انتقالية بين الداخل والخارج مماثلة للممرات التقليدية (Way Verandah) المستخدمة في المساكن التقليدية في المناطق المدارية Shophouses ويفضل ألا تكون هذه الفراغات Artiums مغلقة بالكامل لكي تعمل على تحريك الهواء من الخارج إلى الداخل. كما يمكن أن تعمل الحوائط الخارجية كملاقف للهواء وذلك لتهوية الفراغات الداخلية. [7]

وبالنسبة لتصميم المسقط الأفقي للمباني التجارية متعددة الطوابق فلابد – بجانب – تحقيق الأهداف الاقتصادية للمشروع – أن يعكس العادات الاجتماعية ونظام المعيشة في المجتمع خاصةً فيما يتعلق بمفهوم الخصوصية .. كما يجب أن يتلاءم المسقط الأفقي مع الظروف المناخية للمنطقة من حيث حركة الهواء بين الفراغات وتوفير الإضاءة الطبيعية للفراغات الداخلية. كما يجب أن يوفر التصميم حداً أدنى من المتطلبات الإنسانية لمستخدمي الفراغ من حيث التنوع والمقياس... فعلى سبيل المثال يمكن توفير التراسات متعددة الطوابق أو الأفنية السماوية المعلقة كفراغات تجميعية بجانب عملها كفراغات لتهوية الأدوار العليا من المباني.

ومن العيوب التي تؤخذ على المباني العالية الحالية بشكلها العالمي أنها تقف شامخة في النسيج العمراني للمدينة منعزلة عن المجتمع أو بالأصح عن الشارع، لذلك يفضل

في المناطق الحارة والمدارية أن تفرغ الأدوار الأرضية وتفتح على الخارج، أولاً لتحقيق تهوية جيدة بالإضافة إلى ربط المبنى بالمحيط الخارجي، خاصةً إذا ما استغل المصمم نظام الأتريوم المفتوح لتحريك الهواء داخل المبنى وربط الفراغات الداخلية بالفراغ الخارجي. كما تلعب الخضرة والتشجير دوراً حيوياً في التصميم ليس فقط من الناحية الجمالية ولكن أيضاً من الناحية الوظيفية كأداة لتبريد المبنى، ويكون التشجير هنا رأسياً على الواجهات الخارجية وفي الأفنية المعلقة في الأدوار العليا.

مبنى إداري بماليزيا :(Memara Mesiniaga)



الشكل (78) برج ميسينياجا في كوالالمبور، المصدر[16]

يعكس برج IBM الدائري بكوالالمبور معظم الأفكار والنظريات التصميمية التي وضعها Ken Yeang في دراسته لتصميم المباني المرتفعة في المناطق الحارة وهي بالتحديد: التشجير الرأسي اللولبي الذي يرتفع على واجهة المبنى، والتشجير المائل فوق الأدوار السفلى، والنوافذ الغاطسة في الواجهات الشرقية والغربية، والواجهات الزجاجية في الجهات الشمالية والجنوبية، وقنوات الخدمات على الواجهة الشرقية المعرضة للشمس، ودورات المياه والسلالم مضاءة طبيعياً، والبلكونات الخارجية تلتف حول الواجهات الخارجية لتوفر التهوية الطبيعية لفراغات العمل الداخلية، وتعمل كفراغات ترفيهية للمستخدمين، وأخيراً أبرز ملامح المبنى التغطية المفرغة فوق السطح العلوي.

ومن أنجح العناصر المعمارية التي أثرت على الشكل العام للمبنى التراسات أو الأفنية المعلقة وتغطية السطح العلوي، بجانب قنوات الخدمة الخارجية التي تحمي المبنى من أشعة الشمس القوية. وتساعد الحدائق المنحدرة فوق الأدوار السفلية على ربط البرج الإداري بالأرض – بالشارع، والنتيجة مبنى ذو استهلاك منخفض للطاقة، كل عناصره مصممة لتحقيق هذا الهدف ولتحسين البيئة الاجتماعية للمبنى، كالأفنية المعلقة التي توفر مكان للهروب من الفراغ الداخلي المعلق إلى المناظر الجميلة والهواء الطلق، وحمام السباحة على السطح العلوي أسفل المظلة المتميزة. هذا وقد أضاف المصمم أيضاً بعض العناصر المعمارية لتقليل الكسب الحراري مثل كاسرات الشمس على النوافذ في الواجهات الشرقية والغربية – الأكثر تعرضاً للشمس.

معالجات ذكية في مبنى عالي في ماليزيا لمصمم أمريكي:

كانت الفكرة الأساسية للمشروع في بادئ الأمر هي استغلال مساحة محدودة من الأرض وتحويلها إلى مساحة خضراء كمتنفس للعاصمة المزدحمة ولم يكن التخطيط لبناء هذا المشروع موجوداً في الأذهان على الإطلاق .

وهذا ما جعل سكان المدينة يعترضون في أول الأمر على فكرة إنشاء المشروع إذ كانت وجهة نظرهم أن هذه المدينة لا تحتاج لمزيد من المباني الكبيرة التي من شانها أن تزيد من نقص المساحات الخضراء وأن تزيد أيضاً من الاختناقات المرورية داخل شوارع المدينة.

بدأت الحكومة الماليزية في مناقشة الأفكار المطروحة لاستغلال هذه المنطقة .وكانت التوجهات كلها تنحصر حول فكرة تحويل الموقع إلى مشروع متكامل ومتعدد الاستخدامات أو بمعنى آخر مكان يمكن أن يستغله الناس في العمل والسكن والتسوق والاستمتاع بأوقات الفراغ وكذلك إقامة النشاطات الفنية والثقافية. وهذا ما يعني ضمنياً تخصيص جزء من المساحة الإجمالية لإقامة متنزه مفتوح على مساحة خضراء تخدم الجانب الترفيهي وتكون بمثابة رئة جديدة يتنفس منها سكان المدينة وهو ما كان يتمناه الناس .[16]


برج سيراس في ولاية شيكاغو لم يعد هو الأعلى


أطول برج في ماليزيا

الشكل (79) برجي بتروناس كانا أطو برجين في العالم، المصدر[16]

وبالفعل خرجت الصورة النهائية للمشروع كمجمع إداري تجاري سكني ترفيهي، تحيط به من الخارج مساحة خضراء كبيرة تحتوي على منتزهات للأطفال.

ومن أجل اختيار أحسن تصميم أقيمت مسابقة على مستوى العالم من قبل الحكومة حيث قدمت تصميمات كثيرة اختير منها في النهاية تصميم المهندس الأمريكي "سيزار بيلي" الذي قام بتصميم العديد من الأبنية الشهيرة في نيويورك والحاصل على الميدالية الذهبية من قبل جمعية المهندسين المعماريين الأمريكية .

وعندما بدأ المهندس في تصميم المبنى وجد الماليزيين فيه ما يحقق أحلامهم وبدأ تنفيذ التصميم الذي لم يلبث أن نال إعجاب العالم أجمع وعلى الأخص هيئة البنايات الطويلة والعمران حيث أطلقت عليه لقب أطول برج في العالم آنذاك. وكان أطول مبنى في العالم في ذلك الوقت هي أبراج سيرز في ولاية شيكاغو الأمريكية.

وبالرجوع للتصميمات وبعض الحسابات تبين أن الفرق ليس كبيراً بين أبراج شيكاغو والبرجين رهن التنفيذ، وعلى ذلك بدأ التفكير في جعل هذين البرجين أطول من تلك الأبراج بل والأطول على مستوى العالم.

وكان تنفيذ ذلك أمراً بسيطاً لن يتطلب زيادة في عدد الأدوار ولكن بزيادة طول القمة المتوجة لكل من البرجين والتي كان مقررا أن تكون زائدة في العرض وليس الطول .

روح العمارة الإسلامية:

كانت أبراج سيرز هذه هي الأطول على مستوى العالم قبل أن يتم إنشاء هذين البرجين التوأم، ولكن عندما اكتمل بناؤهما، وذلك في عام 1996 وجد أن هذه الأبراج تتفوق بحوالي 33 قدماً عن أبراج شيكاغو. إن تصميم المهندس بيلي قد لاقى إعجاب الماليزيين وعلى الأخص احتفاظه بالإرث الثقافي لماليزيا وذلك عن طريق استخدامه للأفكار المستوحاة من فنون العمارة الإسلامية والأشكال المعمارية العربية. ومن ذلك نجد تكرار استخدامه لشكل النجمة الإسلامية ذات الثمانية أطراف والتي تبين عدة مربعات متداخلة مع بعضها البعض. كذلك نجد أن تصميم أسقف القاعات والردهات مستوحاة من تصميمات القصور العربية القديمة .

وعامة فإن كلاً من التصميم الهندسي والمعماري للبرجين قد نجحا في تعريف العالم بتاريخ ماليزيا وحضارتها تماما كما جعل العالم يدرك مدى أهمية تلك الدولة في وقتها الحاضر والمستقبل أيضاً . وكما يقول المهندس المصمم بأن التصميم يعانق الماضي في نفس الوقت الذي يوحي بحضارة وعصرية المستقبل.

ومن وجهة نظر أحد المهندسين المعماريين فإن الشكل المعماري للمبنى يمثل الوحدة والتناسق والاستقرار والأهم من ذلك كله أنه مستوحى من مبادئ وتعاليم الإسلام.

أما عن ضخامة المبنى وتنوع مهامه فيكفي أن نعلم أن تكلفة إنشائه بلغت ما يزيد عن بليون دولار أمريكي وهو يحتوي على مساحة كبيرة مخصصة للمحال التجارية والأماكن الترفيهية تبلغ 8 ملايين قدم مربع. كما يحتوي على مرآب للسيارات تحت الأرض يتسع لحوالي 500 ،4 سيارة، هذا بالإضافة إلى متحف لمعدات البترول وقاعة للاجتماعات .

كذلك يحتوي المبنى على مسجد كبير ضمن أرجائه، ولا يعد ذلك غريباً إذ أن التصميم الخارجي للمبنى يمثل مزيجا بين الطابع الديني والحداثة والرخاء الاقتصادي.

مبنى المسجد الملحق:

قام بتنفيذ التصميمات الداخلية لمبنى المسجد فريق من الحرفيين من دولة أوزباكستان ليتمكنوا من تنفيذ الخطوط المعقدة والتي تزين الجدران الداخلية والخارجية للمسجد، بالإضافة إلى تزيين القاعات بالرخام والجرانيت والزجاج الملون الذي يضفي على أشعة الشمس الداخلة إلى ساحة المسجد ألوانا متداخلة تجعل من المساحة الداخلية تحفة جميلة، كما هو تحفة فنية من خارجه، يطل المسجد من الخارج على حديقة واسعة تضفي على المكان ككل قدسية وإجلالا إيمانيا، الأمر الذي يجعل الفارق

واضحا بين هذا المكان وما يحيط به من صخب الحياة المدنية وبعدها عن الروحانيات .

يحتوي المسجد على قاعة رئيسية للصلاة تتكون من ثلاثة طوابق وتتسع إلى 2500 مُصلّي بينما تتسع القاعة الإضافية والموجودة في الطابق الأرضي إلى 3500 مُصلّي، بالإضافة إلى قاعة أنشئت خصيصا لكي تُصلّي فيها النساء .وفوق ذلك يمكن زيادة المساحة المخصصة للصلاة في الطابق الأرضي إذ تحيط به الحديقة.

خلاصة التجربة الماليزية:

1- إذا ما كنا من خلال الأبنية العالية نتوق إلى إيجاد رموز بصرية تعكس القوة والمقدرة الاقتصادية، فهذا لا يعني بأننا يجب أن نتنازل عن العامل البيئي الذي يجب أن تتحلى به كافة المنشآت والمباني التي نشيدها.

2- إن استغلال التقنيات المتطورة في هندسة البناء والتشييد لا يعني فقط إشباع الرغبة في وجود بعداً رأسياً في الهيكل، والتركيب العضوي الحضري، وإخراجه من النظام الشبكي الأفقي، وإنما يحتاج ذلك إلى الاستمرار في البحث عن تشكل عضوي جديد لمدن المستقبل وتشكيل الصورة الذهنية الجديدة.

3- إن المحافظة على الخصوصية الاجتماعية في العمارة، لا تعني اختصارها على المباني السكنية وبعض المباني الخدمية التقليدية، وإنما يجب المحافظة عليها حتى في أعلى، وأضخم المباني، وهذا ما قام به المعماري الأمريكي العبقري "سيزار بيلي" عندما صمم "برج ماليزيا" في كوالالمبور دارساً كل تقاليد ومفاهيم وأعراف المجتمع الماليزي، مستنداً على تراث فكري وقيمي لمعماريين وطنيين في نفس هذا البلد مثل كين يانغ، حيث عانق الماضي في نفس الوقت الذي أشبع رغبة الحكومة الماليزية بالتعبير عن رغبتها في المشاركة بالحضارة العصرية والمستقبلية.

نتائج:

تم عرض بعض التجارب العالمية في كيفية التعامل مع التراث المعماري الفكري والمادي ، ونلاحظ من هذه التجارب مدى اهتمام الكثير من المنظرين والمعماريين الأجانب بتراثهم ومدى أهمية إحياؤه وبشتى الطرق، حتى أن البعض لا يتجاوز تاريخه /200/ عام ، والآخرون لا يوجد لديهم تاريخ ولا موروث مهم وبل يحاولون استنباط عمارة محلية تميزهم عن العمارة العالمية.

نستفيد من هذه التجارب بان لسنا وحدنا في العام ممن ينادي بالعودة إلى الموروث الفكري المتميز والذي يصلح لكل زمان ومكان وهو ما يميزنا عن العمارة العالمية التي لا تصلح لنا ، ولكي نرد على من يتهم كل من يستلهم من التراث بأنه متخلف أو أنه يعيش على أمجاد الماضي.

الفصل الرابع: تجارب معمارية في توظيف الفكر الموروث في العمارة العربية المعاصرة:

مما سبق ذكره في الفصل الثاني عن ملامح الفكر التصميمي للعمارة التراثية والمبادئ الفكرية الواجب توافرها في العمارة العربية المعاصرة لكي تصبح عمارة عربية ناجحة وأصيلة وذات هوية ومواكبة لمتطلبات العصر، يمكن أن نلخص هذه المبادئ بالنقاط الخمسة عشر التالية:

- الشكل يتبع الوظيفة.
- الوحدة الفراغية وتكامل الفراغات.
- التوجيه نحو الداخل.
- التحكم المناخي ومعالجة الظروف المناخية.
- البساطة العضوية في التكوين"القليل كثير".
- التباين والتضاد بين المسطحات المقفلة والمفتوحة.
- التنغيم في التشكيل المعماري.
- الاهتمام بالتشكيلات الهندسية.
- الاهتمام بتنسيق الموقع والحديقة والعنصر المائي.
- احترام الموقع والبيئة والتوافق مع المكان.
- المقياس الإنساني.
- التجديد والابتكار.
- تفاعل الضوء والظلال.
- الحفاظ على الطاقة.
- مواكبة تقنيات العصر.

وسيتم عرض وتحليل بعض الأمثلة والمشاريع المعمارية التي استفادت من ملامح الفكر التصميمي للعمارة الموروثة، في العمارة العربية المعاصرة، وإسقاط هذه المبادئ الخمسة عشر عليها ومدى تطبيقها.

إن هذه الأمثلة هي مشاريع فائزة بالعديد من الجوائز المعمارية العالمية، وأصبحت فيما بعد منارات ونقاط علام في مجال العمارة العصرية والمتطورة المنبثقة عن الموروث المعماري الفكري، والتي تجمع بين الأصالة والمعاصرة في آنٍ واحد.

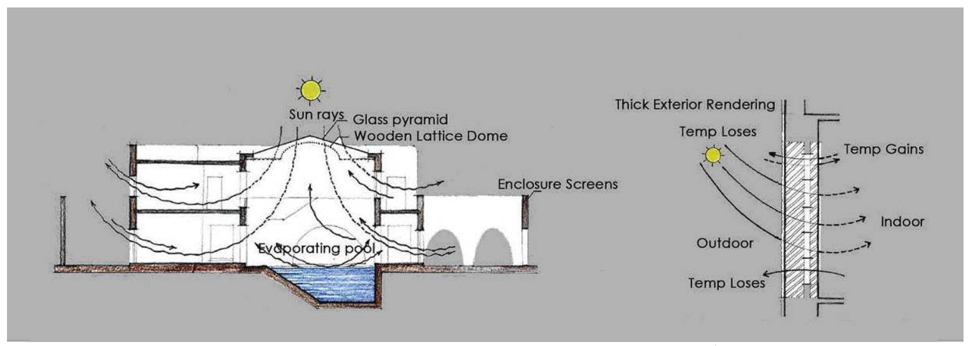
1-4 فيلا العلايلي إيكنجي ماريوط – الإسكندرية - مصر 1995

- عوض وشركاه – مهندسون معماريون د. محمد عوض – م. جمال سمعان.
- جائزة حسن فتحي للعمارة.
- إحياء الهوية المحلية من خلال صياغة العناصر التراثية ضمن مفاهيم الحياة العصرية لأسرة مصرية بأسلوب مبتكر. هذا الابتكار يظهر متجلياً في تصميم الفناء الداخلي و الفراغات المحيطة به المتدرجة من الداخل إلي الخارج.
- يعتمد منهاج الأصالة و التجديد في تجربة منزل العلايلي على مبدأ معالجة للحوش أو الفناء كأهم عناصر و مكونات العمارة التقليدية المصرية.



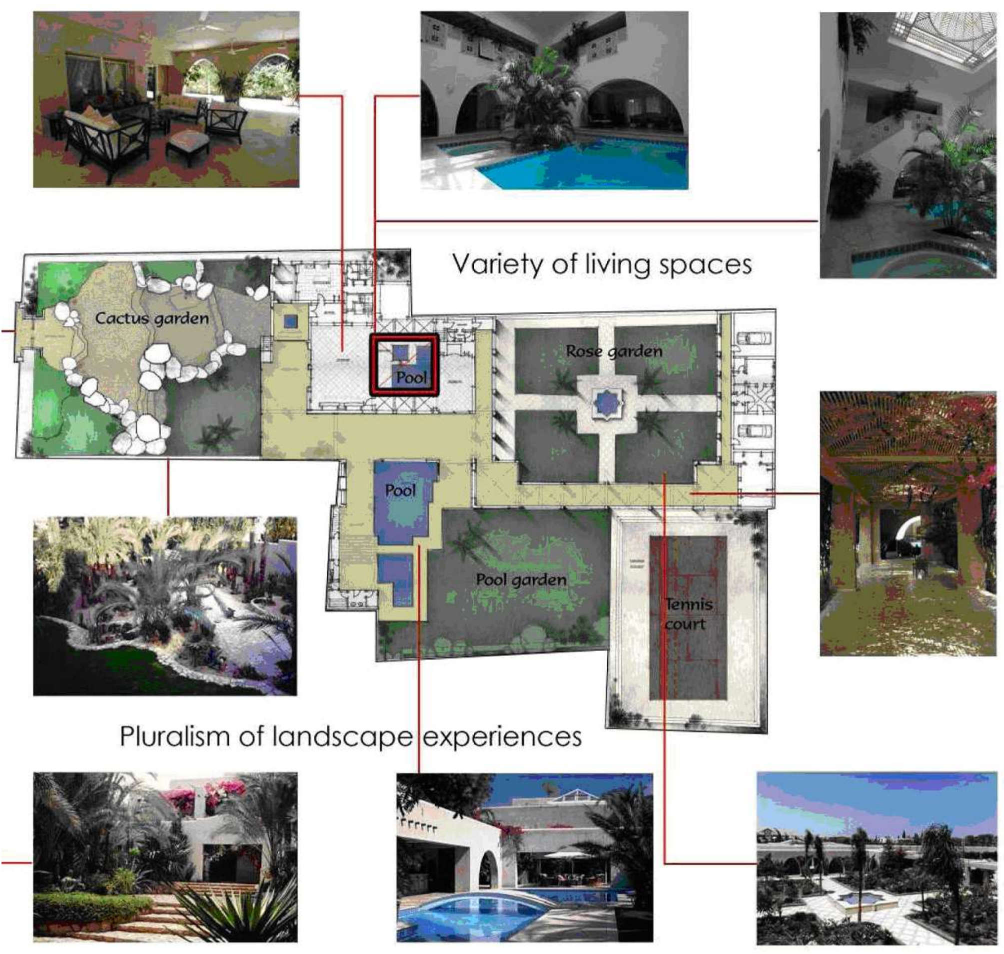
الشكل (80) مسقط الطابق الأرضي لفيلا العلايلي، المصدر[24]

- كان للحوش (الفناء) في إطاره التاريخي وظائفا متعددة منها الوظائف البيئية و المناخية ، الحركة و الاتصال . .. الخ ؟ و لأسباب اجتماعية كان الفناء مغلقاً تماماً عن البيئة الخارجية.



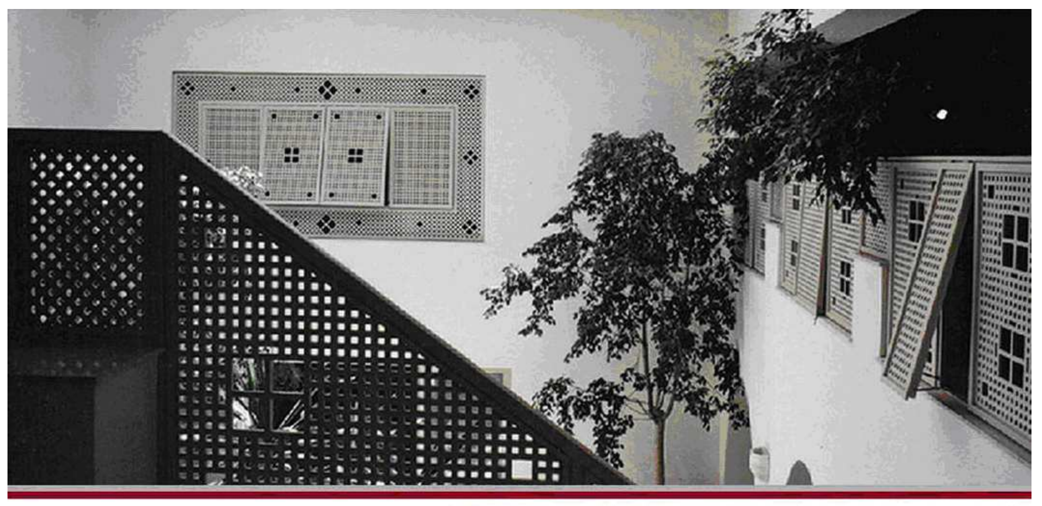
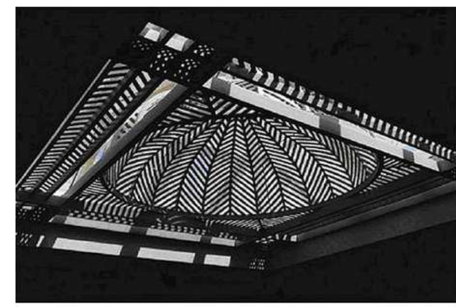
الشكل (81) مقطع شاقولي يوضح معالجة حركة الهواء والشمس، المصدر[24]

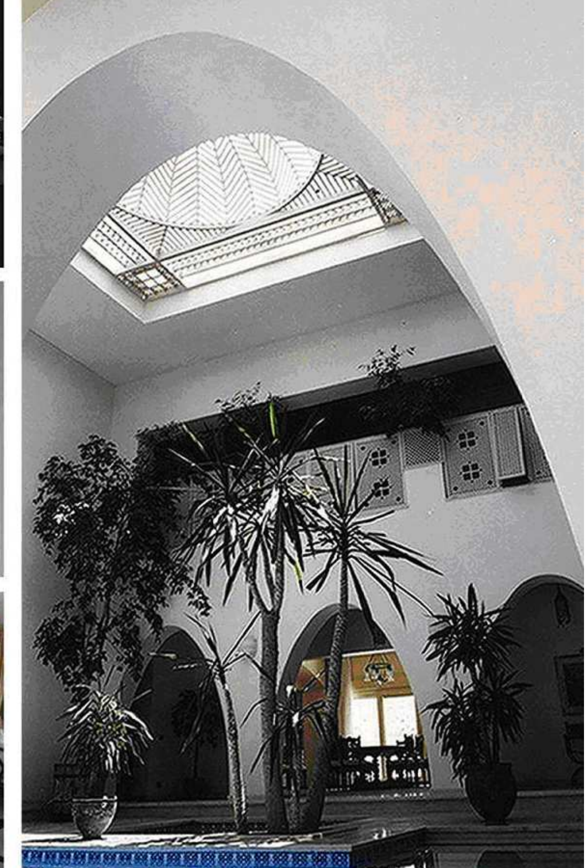
- و تبرز تجربة العلايلي في معالجة الحوش من الناحية الاجتماعية والبينية من حيث تفاعل الأنشطة المختلفة حوله وانفتاحه على مجموعة من الفراغات الخارجية والحدائق الخارجية (حديقة الصبار، حمام السباحة وما حوله ثم حديقة الورود) تأكيد لمبدأ تعدد فراغات الانتفاع والتفاعل الاجتماعي .



الشكل (82) صور للحديقة والفناءات في فيلا العلايلي، المصدر[24]

- وقد تم معالجة الحوش أيضا من الناحية المناخية فيعلوه هرم من الزجاج وقبة من الخشب تسمح بتغلغل الهواء والشمس ولكنها أيضا تحمى الفراغ وتسمح باستغلال الفراغ في ظروف مناخية متعددة تأكيدا للمنظور البيئي لخواص الفراغ . [23]
- تحقيق التوازن العام الملموس بين الفراغات الداخلية و الحدائق الخارجية، حيث جاءت من كل جانب متممة لفلسفة التصميم المعماري للمبنى.
- إرساء بعض مفاهيم الاستدامة الخاصة بتوفير الراحة البيئية داخل المنزل وتفعيل هذه المفاهيم في التصميم المعماري

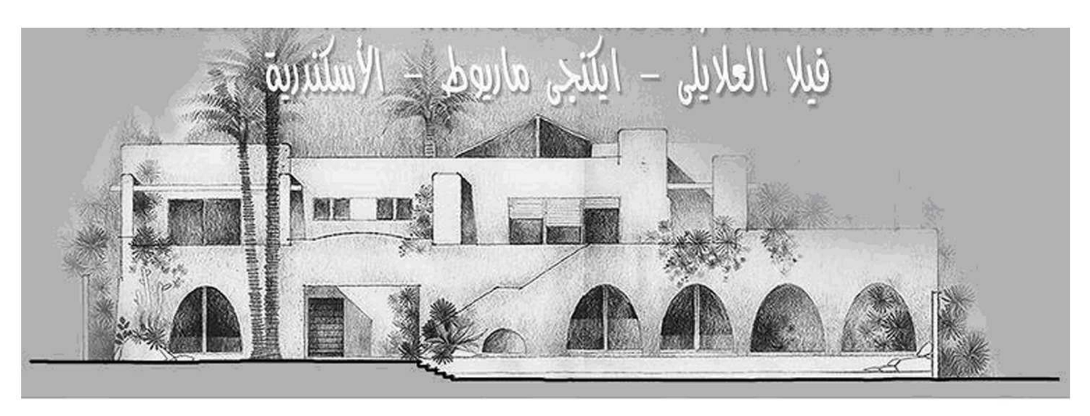



الشكل (83) صور للفراغات الداخلية لفيلا العلايلي، المصدر[24]

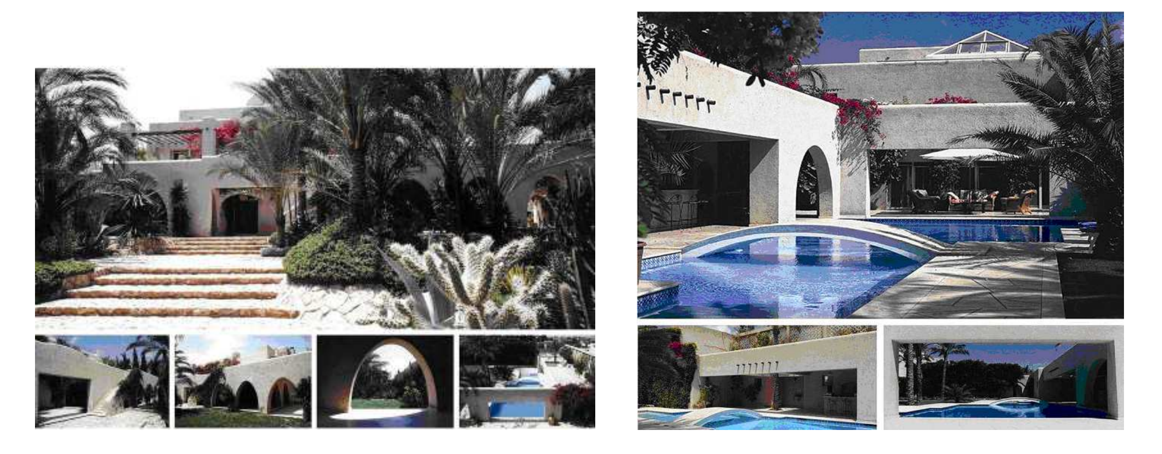
- الابتعاد عن الاستعمال المفتعل للمفردات معمارية بغرض استحضار الهوية المحلية والاكتفاء ببساطة التكوين والتناغم العام مع البيئة المحيطة.





الشكل (84) واجهة وحديقة فيلا العلايلي، المصدر[24]

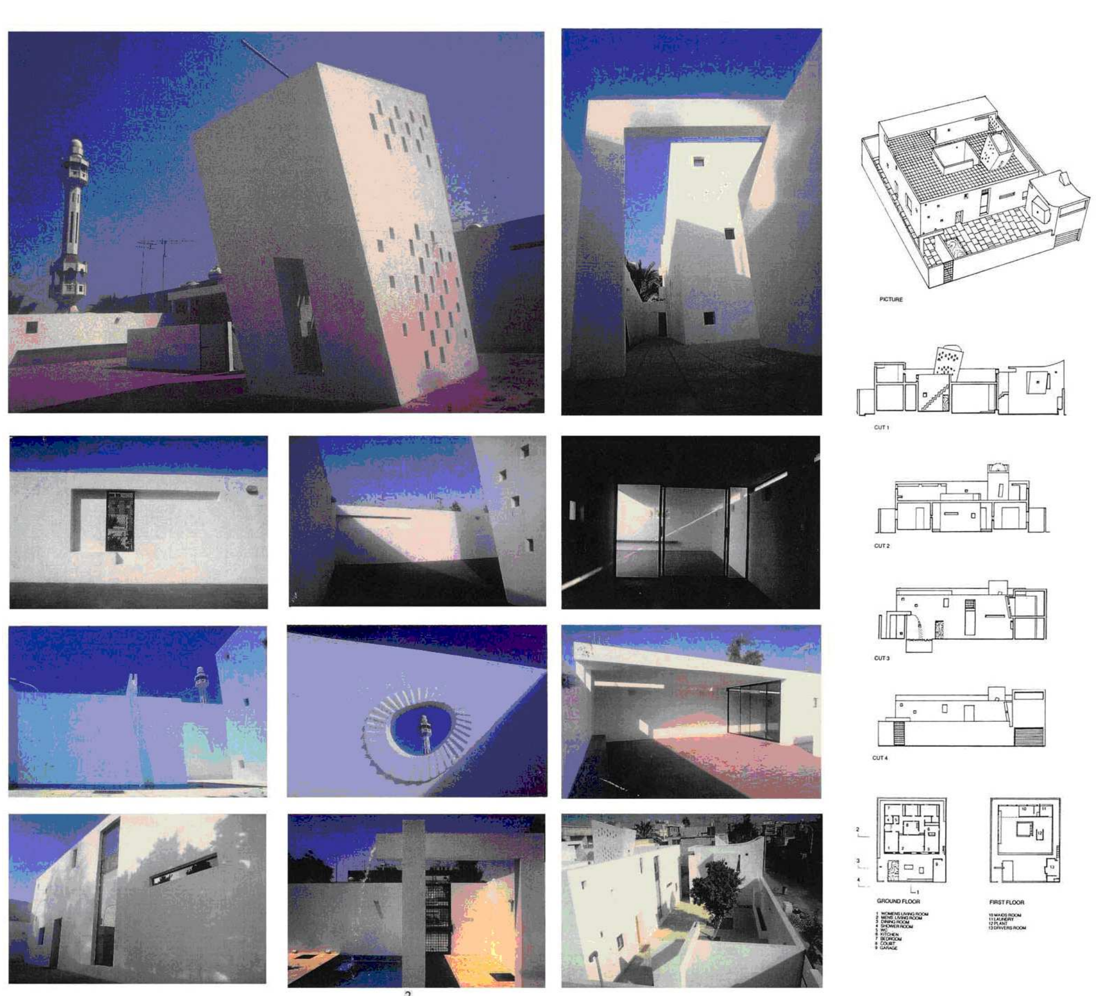
- ويعتبر منهاج الأصالة و التجديد أحد وسائل إبراز الهوية الأصيلة في العمارة المحلية الحرجة والتي تسعى إلى الحفاظ على القيم التقليدية للعمارة المحلية ولكن في إطار التحديث ومسايرة التقدم التكنولوجي والتفاعل مع احتياجات ومستلزمات الحياة العصرية للمجتمع.



الشكل (85) صور للحديقة والفناءات في فيلا العلايلي، المصدر[24]

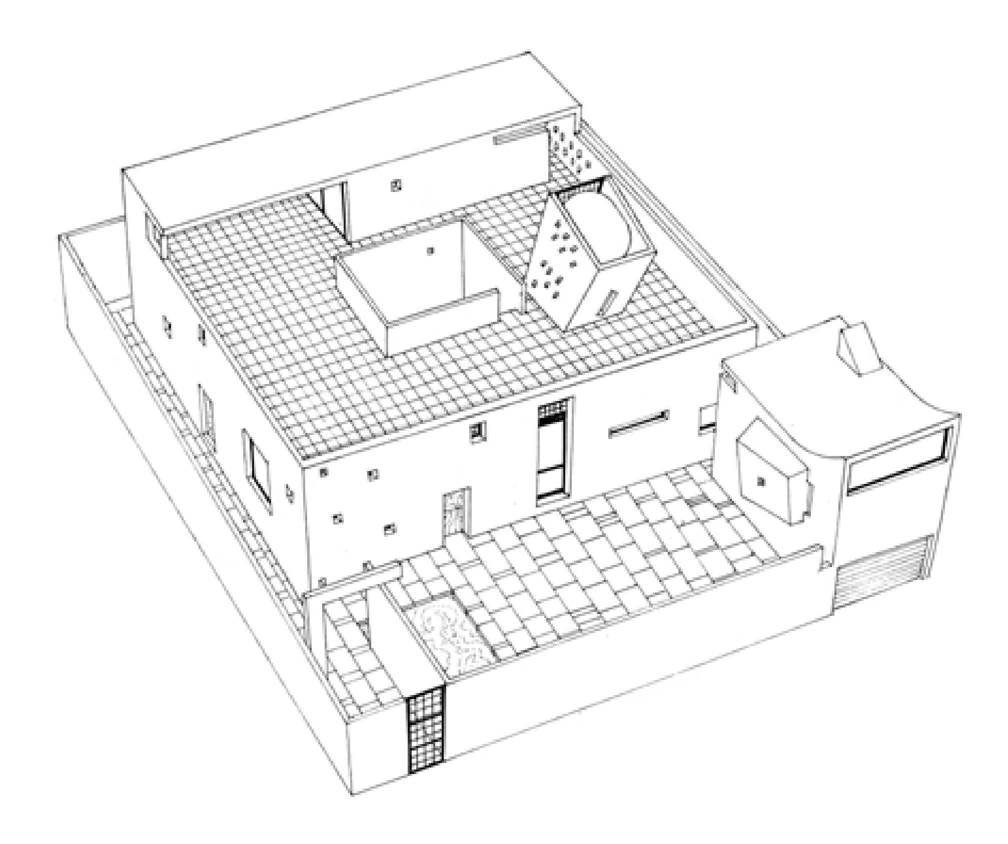
2-4 فيلا الأنبار – الدمام – العربية السعودية:

- وهي من تصميم المعماري البريطاني بيتر باربر والمعمارية نهاد التركي، سنة 1992 ، وقد رشحت هذه الفيلا لجائزة الأغا خان العالمية. [25]
- صمم البناء كمنزل خاص لكاتب سعودي يقسم وقته بين لندن والسعودية، وتحت رغبة منه في بناء منزل يحمل خصوصية البيئة السعودية التقليدية بطريقة عصرية حديثة.
- جاء المصممان بفكرة بناء تشكيلي ذو تكوينات بسيطة يحوي فناءً مركزياً بالإضافة إلى حديقة خارجية (فناء خارجي) يحوي مسبح ونافورة، وبما أن الفناء الداخلي المركزي جاء صغيراً ليضفي ظلالاً على الجدران الداخلية كان لابد من إعطاء الجدران الخارجية سماكة كبيرة نوعاً ما لعزل الداخل عن قساوة المناخ الخارجية، مع وجود بعض الفتحات الصغيرة جداً، في حين جاءت الفتحات الزجاجية الكبيرة منفتحة للداخل على الفناء المركزي.



الشكل (86) فيلا الأنبار بالدمام – السعودية، المصدر[24]

- كما أن الشرفة (اللوجيا) في السطح الأخير، والسقف المضاعف هذا خفف من تأثير أشعة الشمس على الداخل، والألوان البيضاء الناصعة للكتل الخارجية ساعدت في عكس أشعة الشمس.



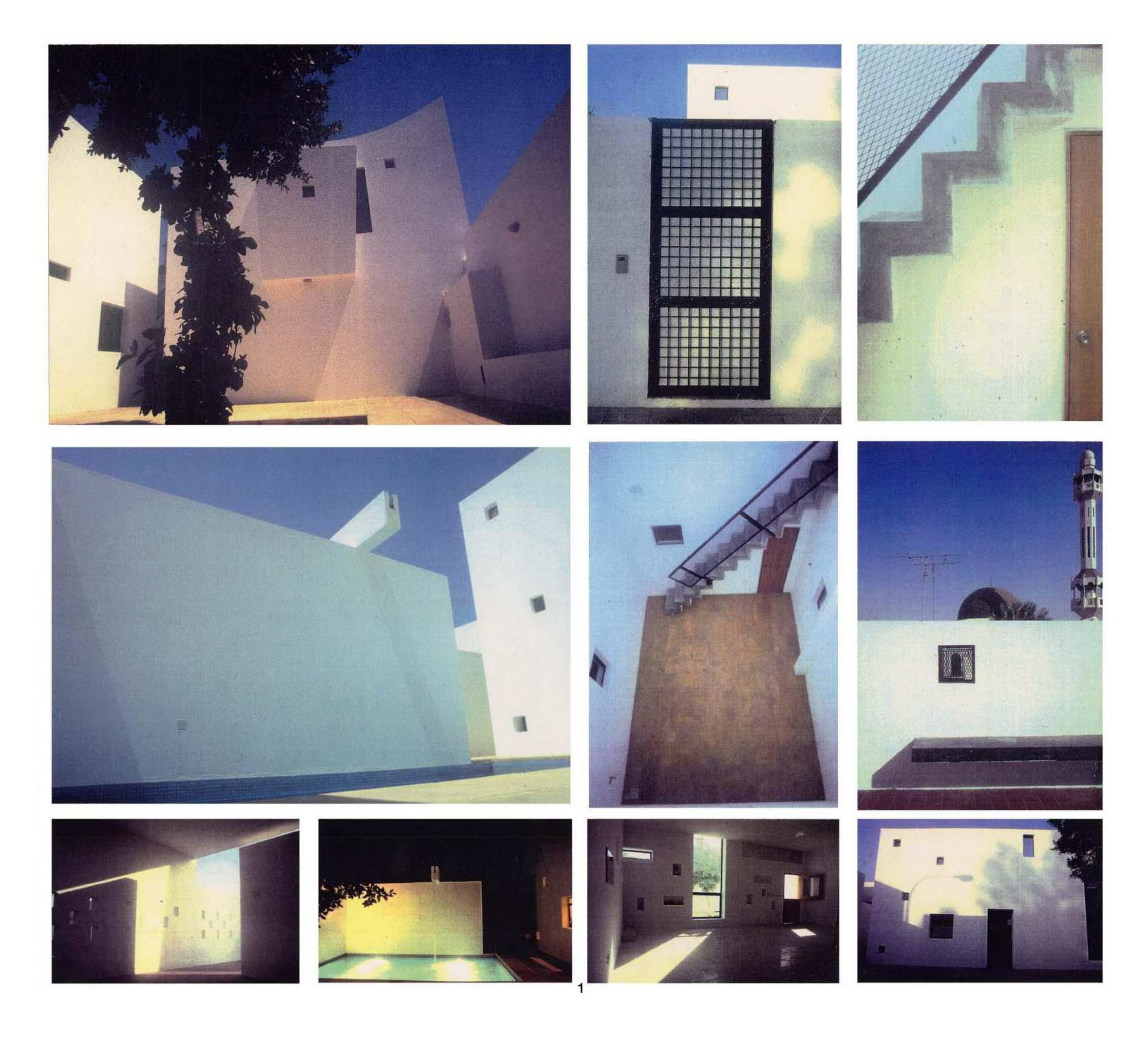
الشكل (87) منظور فيلا الأنبار بالدمام – السعودية، المصدر[24]

- إن وجود ملقف الهواء على شكل برج مستطيل مائل ذو نوافذ وثقوب صغيرة يذكر بالعمارة الطينية ويعلوه قبة ذات شكل حر .





الشكل (88) صور فيلا الأنبار بالدمام – السعودية، المصدر[24]

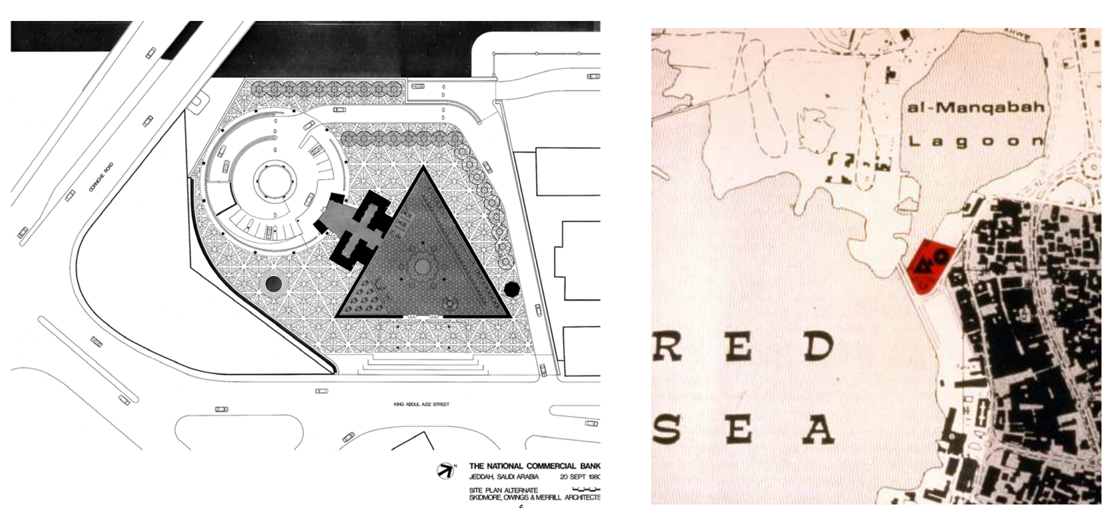


الشكل (89) صور فيلا الأنبار بالدمام – السعودية، المصدر[24]

- يمثل هذا المنزل تلميحاً جمالياً قوياً لعمارة عربية مبتكرة ومبكرة نحو تأصيل القيم والمفاهيم التراثية الفكرية بشكل حديث ومبدع وعصري عن طريق استخدام أشكال وتكوينات هندسية تجريدية جميلة، مع فضاءات خلاقة متدفقة.

3-4 المصرف التجاري الأهلي بجدة ، العربية السعودية :

- تصميم (Skidmore , Owings and Merrill) شيكاغو، الولايات المتحدة الأمريكية.
- سنة البناء 1983 ، على أرض مساحتها ثلاثة هكتارات ، بارتفاع /415/ قدم ، مقسمة على /27/ طابق. [24]
- حائز على جائزة الأغا خان وجائزة ولاية نيويورك وجوائز وطنية عديدة.
- المبنى مقراً للمصرف التجاري الوطني كفرع محلي مع إدارة ومكاتب دولية.
- الموقع: يقع المبنى على شاطئ البجر الأحمر ، ويمتد في البحر كشبه جزيرة ، على طرف كورنيش الملك عبد العزيز ، ليس بعداً عن بلدة جدة القديمة بشوارعها الضيقة والبيوت الطينية القليلة الارتفاع (3-4 طوابق) بهندستها التكعيبية ، مع بعض الأفنية الداخلية والفتحات الضيقة والمشربيات من الخارج ، بالإضافة لبعض الأبنية الحديثة ذات الارتفاع الكبير نوعاً ما على طول الكورنيش .



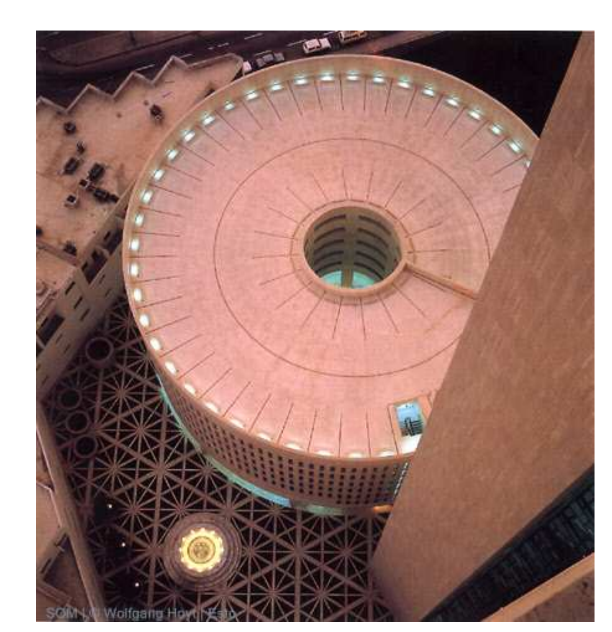
الشكل (90) الموقع العام للبنك التجاري الأهلي بجدة – السعودية، المصدر[24]

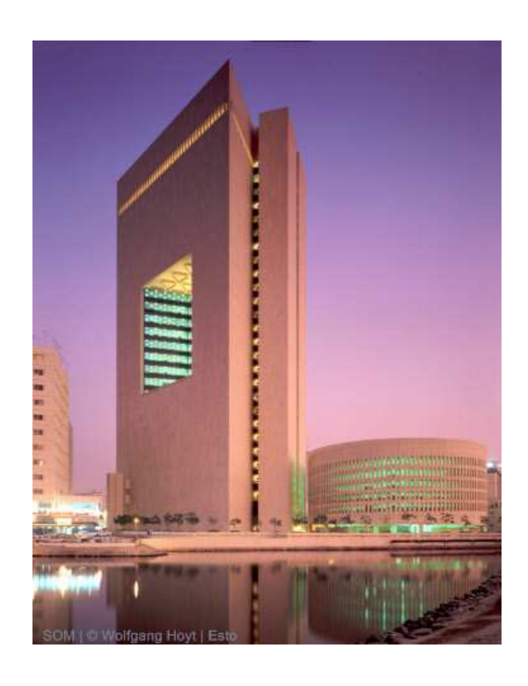
- المناخ: يتصف مناخ جدة بالحار والرطب والرياح الغربية البحرية الحارة والرطبة، مع بعض الرياح الشرقية الجافة المحملة بالرمال بين الحين والآخر.
- الفكرة التصميمية: اتجه المهندسون بالمبنى ليكون بناءً تقنياً ثقافياً متجاوباً مع المناخ والبيئة والموقع، كونه بالقرب من المدينة القديمة ويواجه البحر الأحمر ليكون خلفيةً للمدينة القديمة وواجهةً للنسيج الحضري الحالي والواجهة البحرية، فابتكر المصممون بناءً مثلثاً مصمتاً كون الموقع مثلثي الشكل، وليستقبل زوايا النظر فوق وأسفل البحر الأحمر ، وليحمي المبنى من غبار

ووهج حرارة الشمس ، وقد تم اختراق المبنى المثلثي بفتحات كبيرة بارتفاع عدة طوابق مربعة الشكل كفناءات طابقيه ، تم توجيه النوافذ الزجاجية الكبيرة على هذه الأفنية الطابقية ذات الهندسة التكعيبية المنسجمة مع الموقع المجاور.

- نتج المبنى عن دمج فكرتين : عمارة المكاتب الحديثة الزجاجية ، مع عمارة الجدران الخارجية المصمتة الشرق أوسطية.

- مرآب السيارات الخاص بالمبنى عبارة عن كتلة اسطوانية مستقلة بجانب المبنى المثلثي الذي تلتصق فيه كتلة مستطيلة الشكل هي عبارة عن المصاعد والأدراج.





الشكل (91) صور للبنك التجاري الأهلي بجدة – السعودية، المصدر[24]

- يتوسط المبنى المثلثي البرجي فناء مثلثي على طول البرج تنفتح عليه الغرف والفراغات الداخلية ، وبما أن المبنى مرتفع لسبع وعشرين طابقاً كان لابد من تهوية هذا الفناء بفناءات طابقيه تساعد على التهوية والإنارة وتسهل على تهوية وإنارة الفراغات الوظيفية.

- هذه الفناءات الطابقية بالإضافة إلى كونها تساعد الفناء المركزي بالتهوية والإنارة فإنها تشكل وجهة نظر إلى الخارج نوعاً ما ليشكل نقطة حداثة نابعة من التراث.

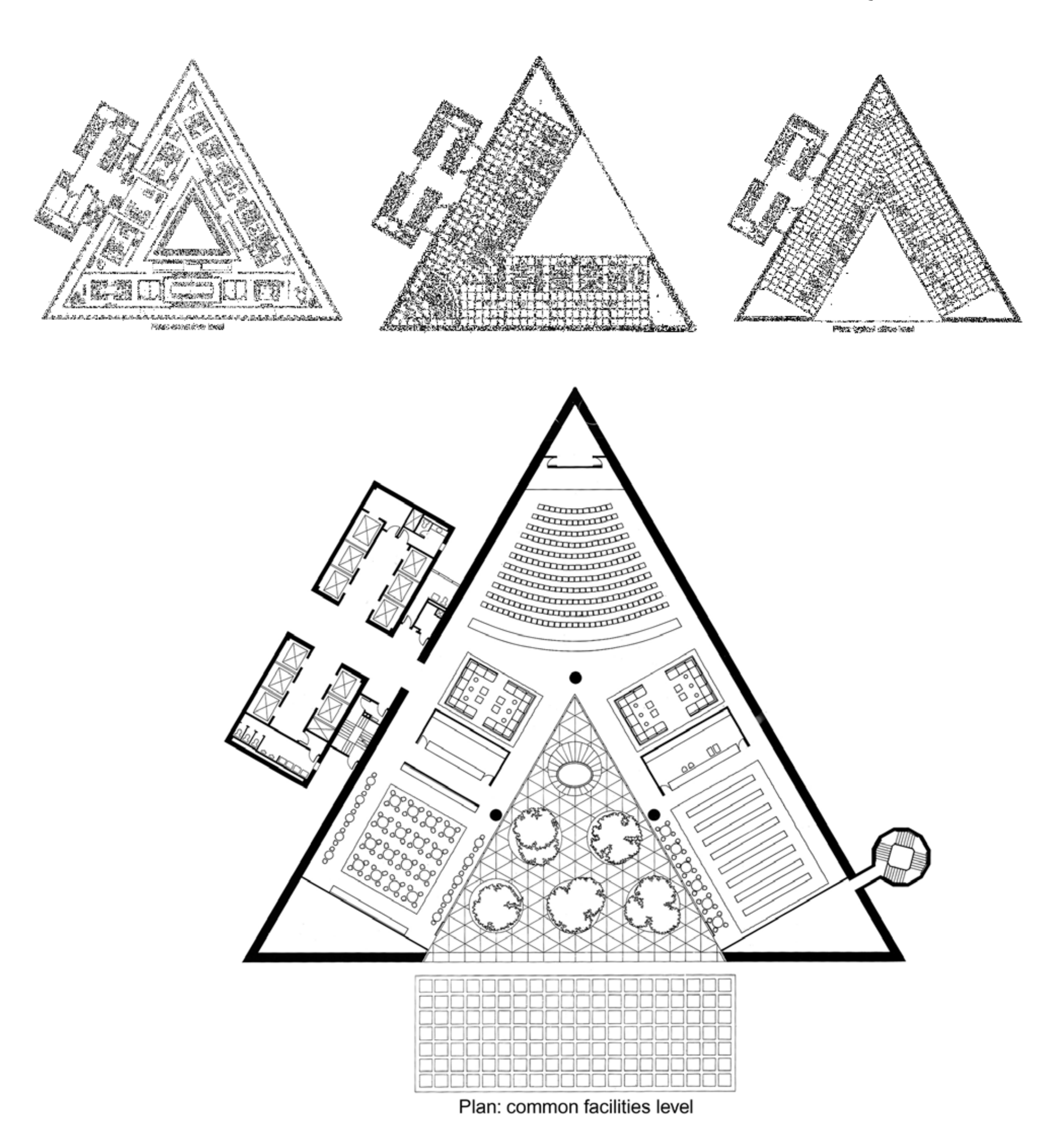






الشكل (92) صور للفناءات الطابقية في البنك التجاري الأهلي بجدة – السعودية، المصدر[24]

- تم تشييد هذا البناء بالخرسانة المسلحة والفولاذ معاً بالإضافة إلى الألمنيوم والزجاج الملون والحجر الرمادي الذي يذكر بلون الرمال والأبنية الطينية المجاورة ، لم يكن أي جزء من الموادِ والعملِ محليّاً؛ الفولاذ جاءَ مِنْ اليابان، الرخام مِنْ إيطاليا، أنظمة ميكانيكية مِنْ. إس أي ، المصاعد مِنْ ألمانيا، والأثاث مِنْ فرنسا. المستشارون الأجانب العديدون اشتركوا في المشروع، إلا أن هذا كله لا ينفي الإبداع الفكري الأصيل المتجدد في هذا المبنى ، فقد عملت هذه المعالجات المناخية على التقليل من الحمل الحراري وقللت من صرف الطاقة بكافة أشكالها بسبب التوجيه نحو الداخل وعدم الانفتاح على الخارج بطريقة مباشرة ، وبفضل حركة الهواء الفعالة الظاهرة في مقطع البناء لتجديد وتهوية البناء وخلق تفاوت بين درجات الحرارة الداخلية والخارجية.



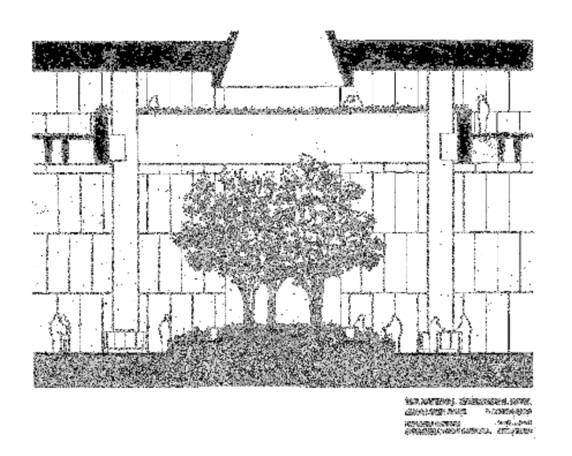
الشكل (93) المساقط الأفقية للبنك التجاري الأهلي بجدة – السعودية، المصدر[24]

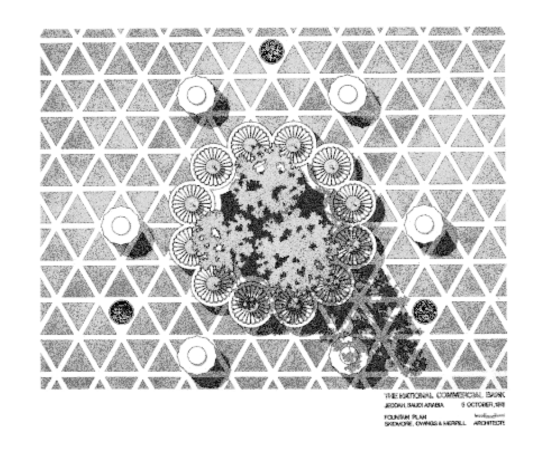
- المبنـى بسـيط تكوينيـاً مـن الخـارج وملـيء بالحيويـة والزخـارف والتكوينـات المعمارية من الداخل ، مما يذكر بالعمارة التقليدية الموروثة، فجاء صرحاً معمارياً رائعاً ومصدراً لإعجاب زائريه.

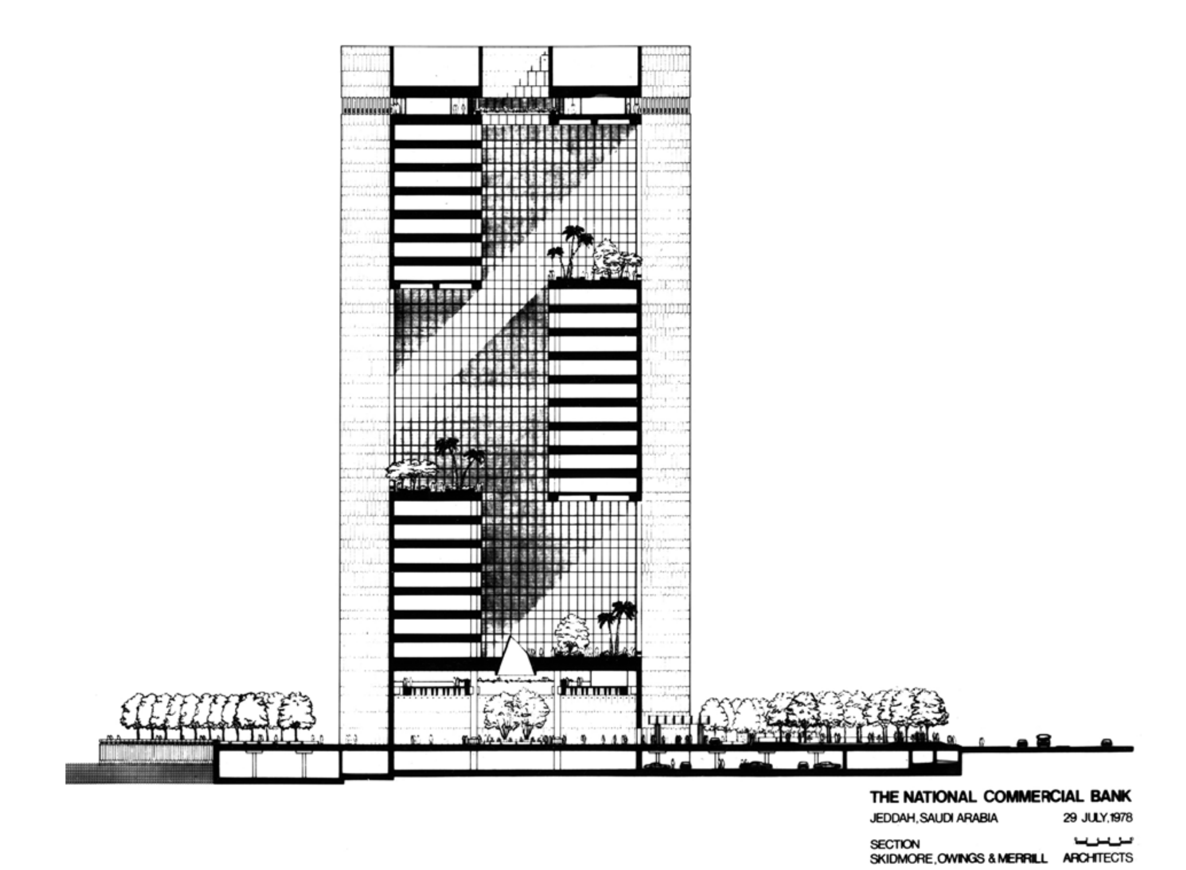


الشكل (94) منظر عام لمدينة جدة – السعودية، المصدر[24]

- مع أن البعض يرى أنه يختلف عن الأبنية التقليدية من فتحات ضيقة ذات أقواس مع مشربيات بينما جاء المبنى مصمتاً بالكامل مع وجود فناءات طابقيه تطل عليها النوافذ الزجاجية الكبيرة ، مشكلاً بذلك نقطة تحول مهمة من العمارة التقليدية إلى العمارة العصرية المتطورة.
- فكان مبنىً حديثاً لاءم الأبنية التقليدية بطريقة غير تقليدية.







الشكل (95) مقاطع تبين دراسة الفناءات في البنك التجاري الأهلي بجدة – السعودية، المصدر[24]

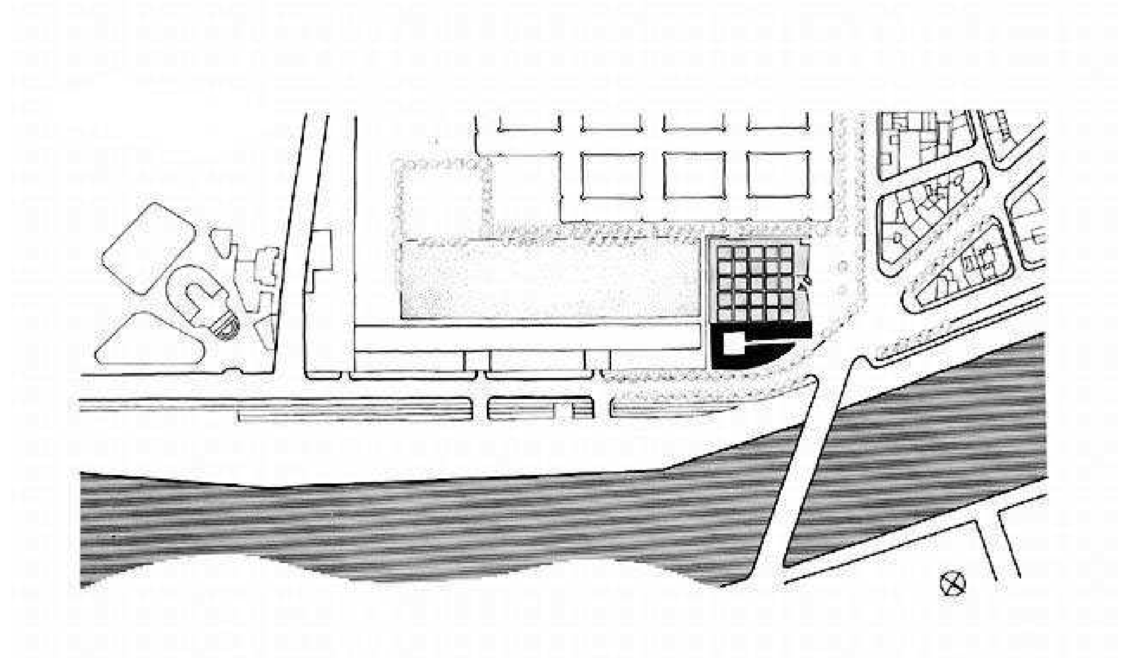




الشكل (96) صور توضح التضاد بين الداخل والخارج في البنك التجاري الأهلي بجدة – السعودية، المصدر[24]

4-4 مركز العالم العربي بباريس – فرنسا:

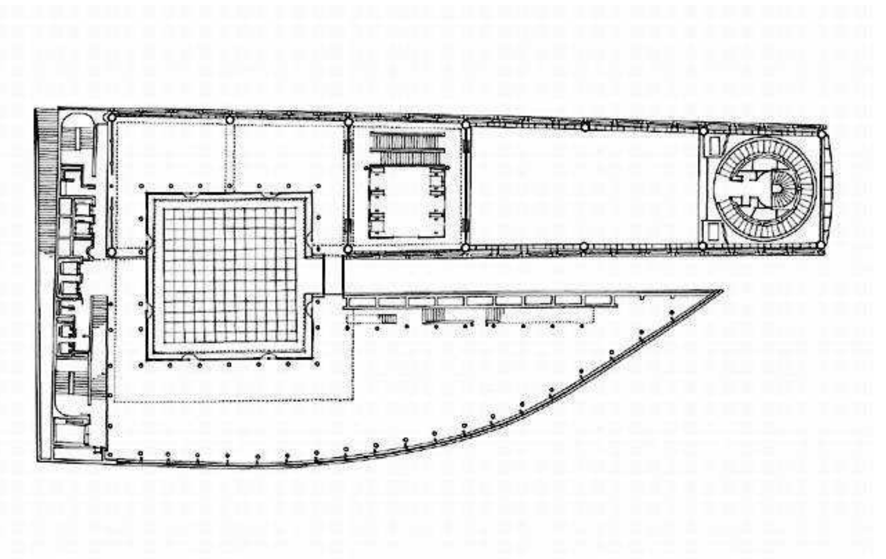
- يعود الفضل في تأسيس هذا المعهد للرئيس بومبيدو في فترة تنامي العلاقات بين الغرب والبلدان العربية في ظل النمو الاقتصادي العربي والاستثمارات والدولارات البترولية وفي ظل الحضور الشمال أفريقي واللبناني في فرنسا، ولكن المسابقة نفذت في عهد الرئيس فرانسوا ميتيرا ووزير الثقافة آنذاك جاك شيراك عام 1987 . [24]
- تألفت لجنة التحكيم من ستة فرنسيين وستة عرب وست وثلاثون عضواً من المستوى العالمي ، وبعد التصفية اختير سبعة حلول ارتقت نوعاً ما إلى المستوى المطلوب ، كل الحلول المقدمة اقترحت حلولاً تقليدية تستعمل الموقع بكامله وتلتف الفراغات حول فناء مزخرف أو أكثر مع أقواس وقناطر وقباب.........، إلا جاك نوفل قدم بناءً زجاجياً معدنياً عصرياً و ترك فضاءً بين بنائه والأبنية المجاورة كون الموقع يحمل خصوصيةً كبيرةً من حيث أنه يتضمن معالم تاريخية مثل نوتردام وبعض البيوت الباريسية القديمة والقصور الكبيرة وجامعة جوسيو .....، وكون الشوط المناخية لا تشكل عائقاً مهماً نظراً لمناخ باريس المتوسط والمتقلب ، فهدف نوفل العام من التصميم أن يغير صورة العالم العربي في فرنسا بالإضافة إلى إعطاء صورة صحيحة في هذا العالم بكل أبعاده التاريخية والمعاصرة.
- هذا الهدف كان معداً بشكل واضح بالمحتويات التالية:
- متحف الفن والحضارة العربية – مكتبة ومركز توثيق – قاعة مؤتمرات – قاعة مجلس – قاعة متعددة الأغراض – مطعم – مكاتب إدارية – مكاتب وخدمات حكومية. [24]





الشكل (97) الموقع العام لمعهد العالم العربي بباريس، المصدر[24]

- جاءت فكرة التكوين عبارة عن كتلة واحدة تنقسم إلى كتلتين واحدة مستطيلة تواجه الكتل المستطيلة للشارع السكني التكعيبي وأخرى منحنية تواجه مباني الجامعة مشكلتين فناءً مربعاً ومفتوحاً كشكل جديد للفناء التقليدي المعروف .
- هذا المحور الذي يجمع الكتلتين بشكل محور قوي منفتح نحو الشرق ويقترح وصلة مكانية بين منطقة لغة اللاتينية والفراغات العامة للحديقة النباتية ومحطة سكة الحديد والمشاريع الجديدة، والانفتاح إلى الشمال بالواجهة الزجاجية تشدد على الخصائص التزيينية وتعطي انطباع باريسي.



الشكل (98) مسقط الطابق المتكرر لمعهد العالم العربي بباريس، المصدر[24]

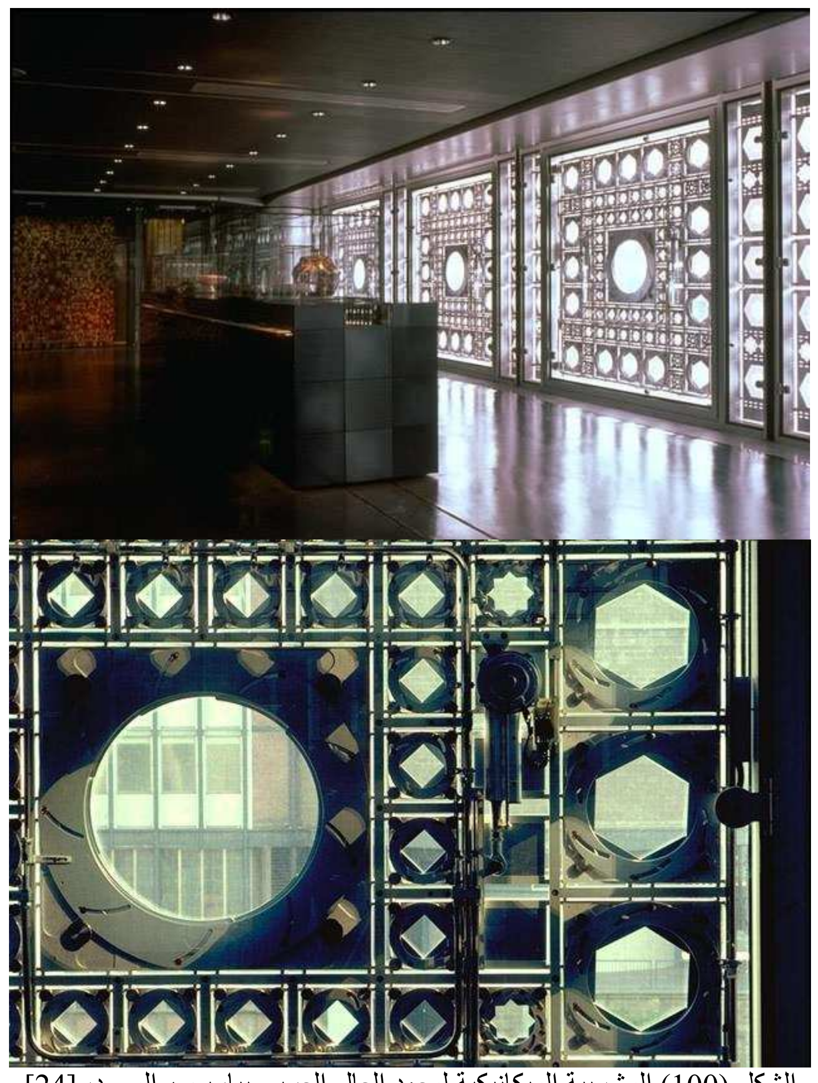
- فالزاوية الحادة والواجهات الزجاجية والمعدنية تعطي انطباعاً ورمزية للفضاءات الفرنسية ، والمستطيل التكعيبي والطريق الضيق المسدود بالفناء المربع يلمح ويرمز للعمارة العربية التقليدية.
- يمزج نوفل في هذا البناء بين الفضاء المحيط والفضاء الداخلي بطريقة معاصرة .





الشكل (99) صورة للمر الضيق والسيباط المعلق في لمعهد العالم العربي بباريس، المصدر[24]

- اهتم نوفل بالجدار الشرقي للمبنى كونه متجه نحو الشمس ومتجه نحو العالم العربي فعالجه بمشربية كبيرة جداً مؤلفة من /16320/ وحدة نقالة ، (معينات – مربعات – سداسيات – دوائر) مزخرفة بشكل موزاييك لتشكل نموذج مطور عن المشربية التقليدية ، وهذه الفتحات تفتح وتغلق تدريجياً وآلياً بحسب كمية أشعة الشمس المخترقة وزاوية دورانها ، لتسمح بمرور 10-30% من الضوء .
- أما برج سلم المكتبة فهو عنصر داخلي مرئي من الخارج فهو يشبه المئذنة، بالإضافة إلى أن المدخل إلى مربع المعهد بطريقة غير مباشرة يوحي بالمداخل المنكسرة في العمارة الإسلامية.
- إن المشربية الميكانيكية هذه ليست لذات الوظيفة التقليدية البيئية فحسب وإنما للتحكم بالضوء والإنارة في قاعات المطالعة والفراغات الأخرى ، كما وأنها تخفف من الضوضاء الخارجية ، فالتكييف الميكانيكي لهذا المبنى والمناخ الباريسي البارد يجعل السمات البيئية للمشربية التقليدية غير مهم.

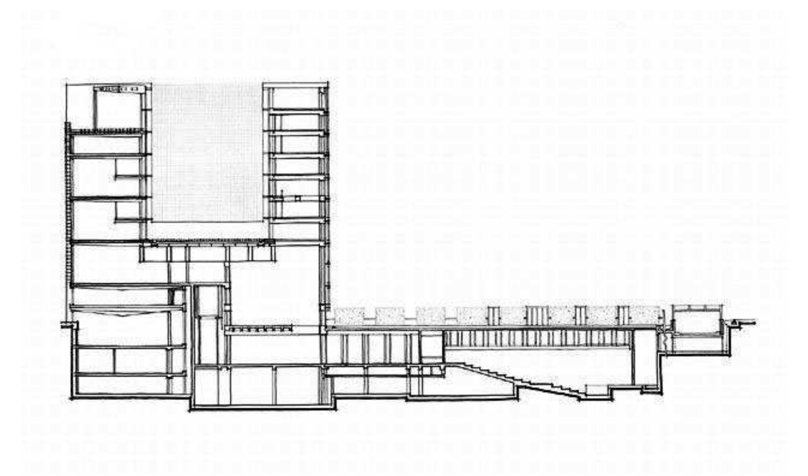


الشكل (100) المشربية الميكانيكية لمعهد العالم العربي بباريس، المصدر[24]

- إن بناية IMA– معهد العالم العربي بباريس – أصبحت واحداً من إنجازات الهندسة المعمارية الحديثة الأكثر شعبية في فرنسا، خاصة بدراستها المعمارية المميزة بالإضافة إلى موقعها المميز المشرف على أجمل قصور باريس.
- هذا العمل المميز لجان نوفل شكل انطلاقة رائعة للعمارة الحديثة والتي ترتكز على الخصائص المكانية والحضرية وتمتد إلى الجذور والأصول الفكرية بشكل معماري حديث ومبتكر لا يغفل التقنية العالية ومواكباً لمعطيات العصر، مما يجعله رمزاً بصرياً وعلامة هوية قوية على الرغم من عدم نجاحه البيئي نوعاً ما، فالإنارة الاصطناعية تعمل بالنهار وأجهزة التكييف تعمل بكثافة ومع ذلك فبعض الزوار اشتكوا من شدة البرودة.



الشكل (101) واجهة المشربية في المعهد العالم العربي بباريس، المصدر[24]

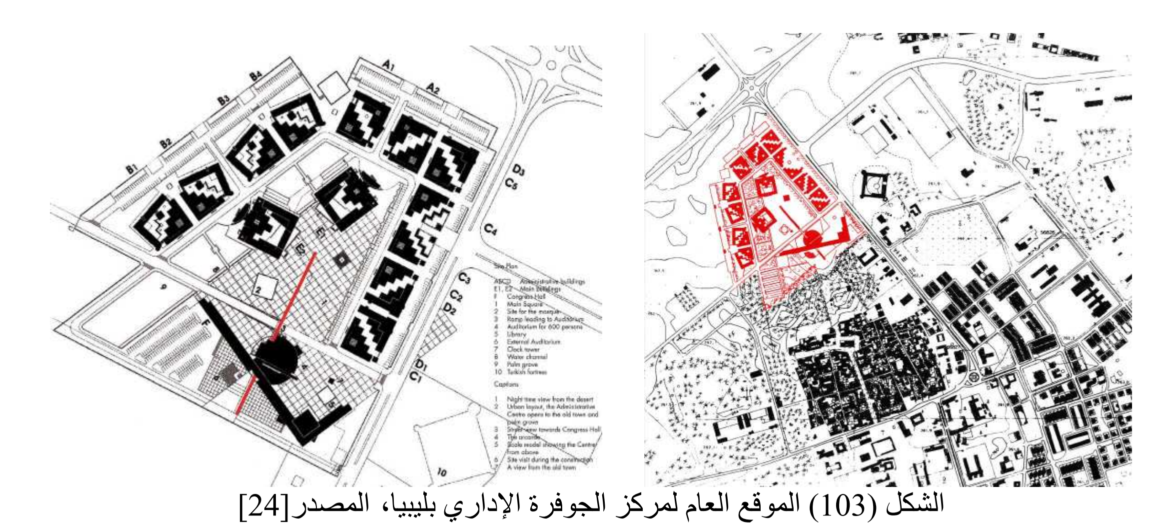


الشكل (102) مقطع شاقولي للمعهد العالم العربي بباريس، المصدر[24]

- يظهر مبنى نوفل نموذجاً للمصممين العرب ليس فقط في الحقل التقني وإنما بشكل رئيسي على مستوى الأفكار والمعايير التي تنطلق من الماضي لتصل إلى المستقبل.
- حصل المبنى على جائزة الأغا خان وجوائز فرنسية عديدة.

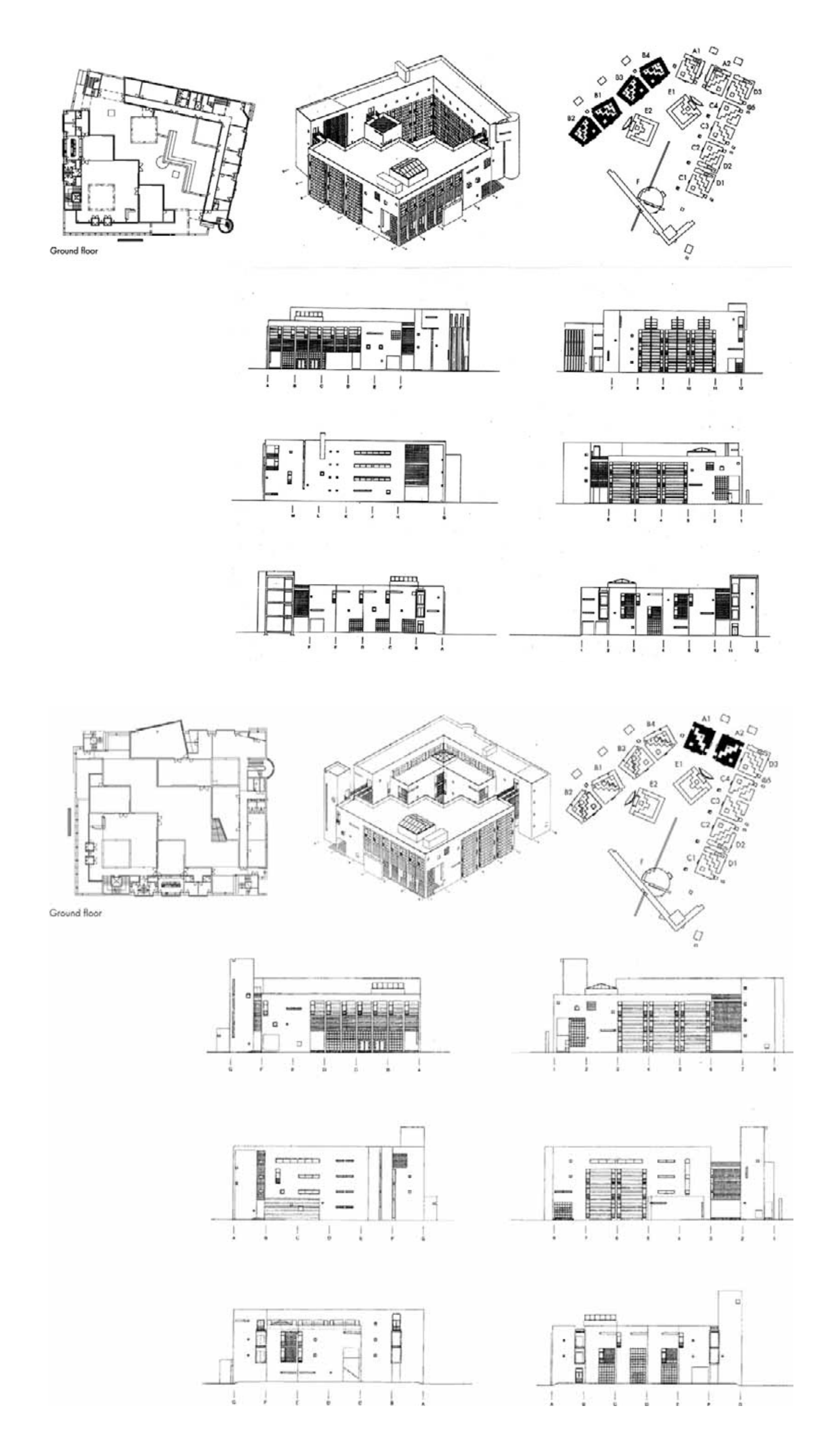
5-4 مركز الجوفره الإداري وقاعة الكونغرس – ليبيا:

- صاحبة المشروع: حكومة ليبيا – منظمة تنمية المراكز الإدارية.
- المصمم: Daniel Bruun , Jussi Murole .
- صمم سنة 1993 وانتهى بناؤه سنة 2002 .
- يتألف مركز (A.I.Jufrah) الإداري من كتلتين رئيسيتين مع أربع عشرة عمارة مكاتب وقاعة كونغرس، على موقع مساحته /35/ هكتار .
- يعكس المركز هندسة معمارية عصرية مع الحفاظ على روح العمارة التقليدية المحلية الموروثة عن طريق كتل نحتية بيضاء تحتوي فناءات وتجتمع حول ميدان عام وكبير وتطل عليه هذه الكتل بأروقة مظللة وفناءات داخلية عميقة.
- يقع المركز في مدينة هان (Hun) إحدى مدن صحراء ليبيا، في قلب واحة جوفرة ، نظام المدينة كسائر المنطقة الصحراوية ومنطقة المتوسط العربية، من شبكة شوارع متعرجة وضيقة وطرق مسدودة وميادين ومساجد ودكاكين والمدينة مسورة ومدعمة بأبراج وحصن عثماني من القرن التاسع عشر، هذه البيوت مؤلفة من طابقين وبداخلها فناء يطل منه النخل ، والجدران مصمتة وذات نوافذ وفتحات صغيرة لتقاوم المناخ الحار الجاف والعواصف الرملية.

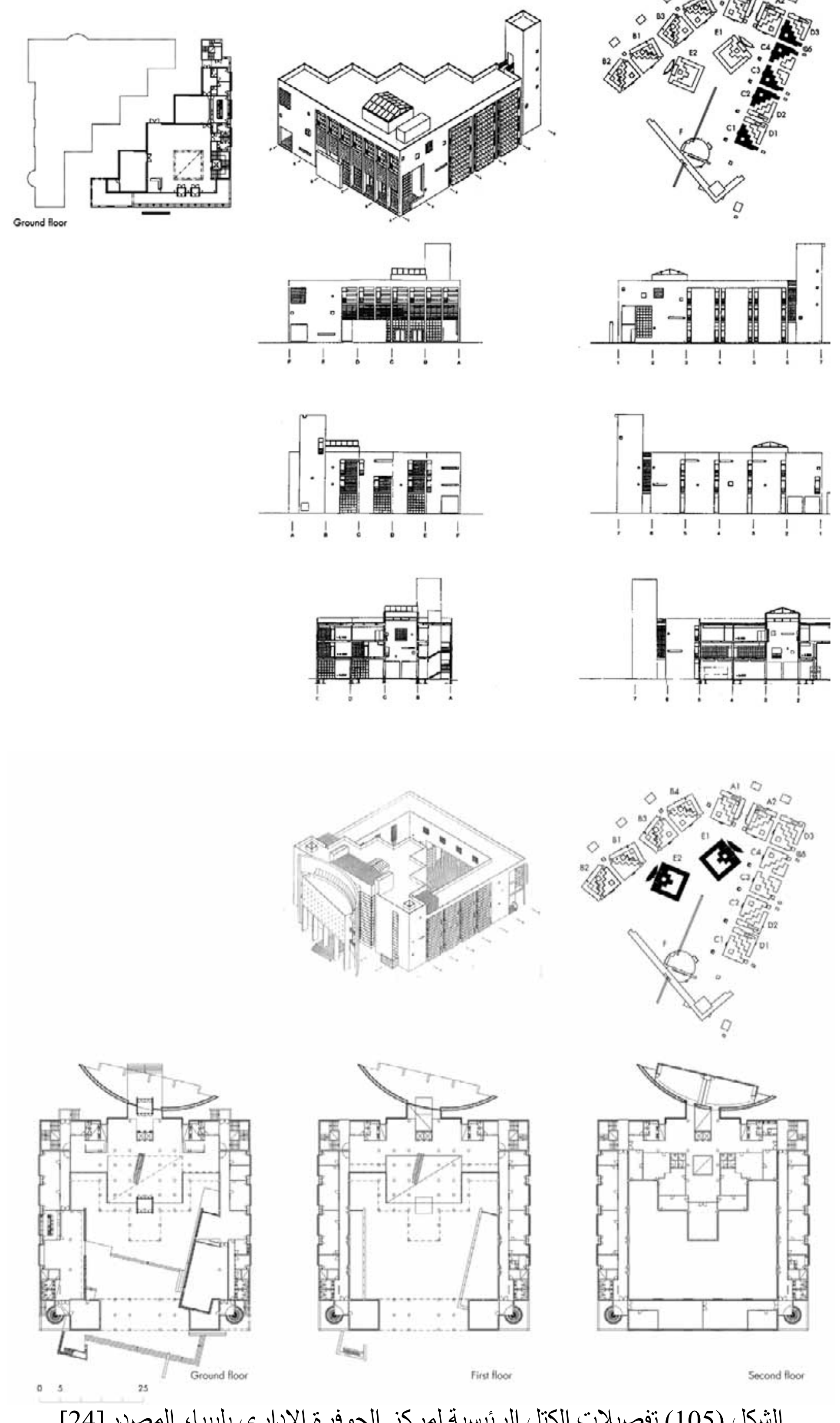


الشكل (103) الموقع العام لمركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]

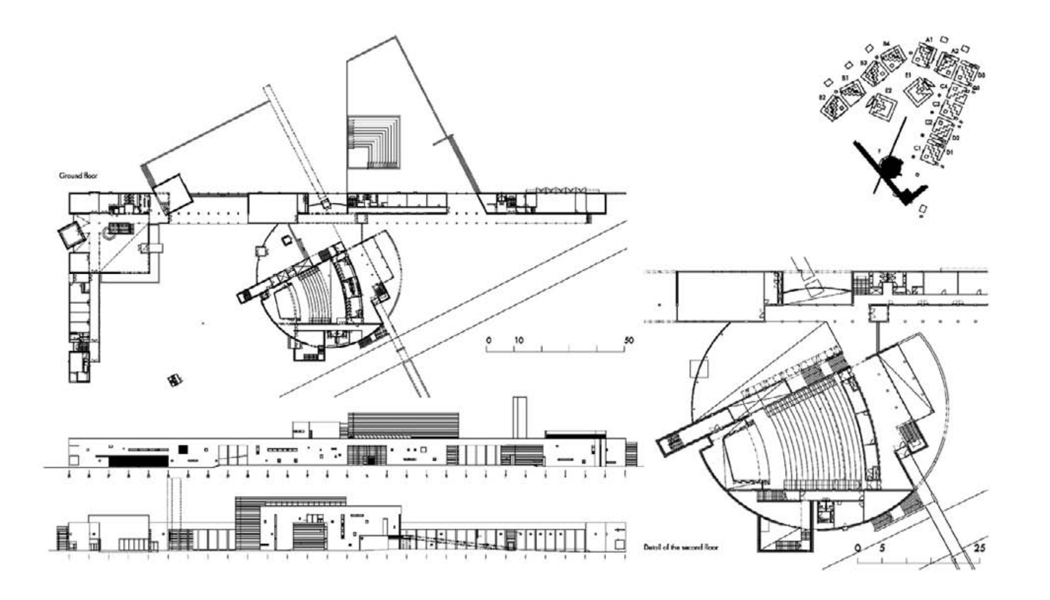
- السمات العامة للمشروع:
- الهوية المعمارية: يعكس المشروع تفسير إبداعي للتراث الليبي وهندسته المعمارية الإسلامية المحلية الموروثة من أشكال تكعيبية جديدة وتكوينات ديناميكية تشكل قيم جمالية عالية النوعية.
- تحتوي كل كتلة من المباني الأربعة عشر فناءً تقليدياً متنوع الأشكال تلتقي قطرياً وتجتمع مع بعضها لتألف فناءً كبيراً وأروقة محيطة تحمي المركز من العواصف الرملية والمناخ القاسي الخارجي.



الشكل (104) تفصيلات الكتل الرئيسية لمركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]



الشكل (105) تفصيلات الكتل الرئيسية لمركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]



الشكل (106) تفصيلات الكتل الرئيسية لمركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]

- إن المبنى الرئيسي (قاعة الكونغرس وملحقاتها) يشكل الضلع الأكبر من الموقع العام ويأتي ليشكل قفل للميدان العام كالإيوان بالنسبة للفناء.
- يتوسط الميدان العام (الفناء المركزي) للموقع العام للمركز مصلى صغير يشكل قلب الميدان، كما والمدينة الإسلامية ذات الميدان العام الذي يتوسطه المسجد الجامع، ومئذنة المسجد عبارة عن كتلة مصمتة مربعة المسقط ترتفع فوق المباني جميعها.
- يلحظ من المساقط أن الغرف والأروقة تحيط بالأفنية الداخلية والخارجية، والخطوط المستقيمة والمتدرجة المستوحاة من الشكل الهندسي المربع ذو الإيحاء الإسلامي، مع بعض الكتل الأسطوانية التي تحاكي الحصن المجاور للمركز.



الشكل (107) صورة للميدان العام لمركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]

- يحـوي الميـدان العـام أشـجار نخيـل ونـافورة وقنـوات ميـاه صـغيرة ومحـاط بالأروقة ويؤمن الوصل بين كل الكتل المحيطة وإلى مواقف السيارات.
- هناك أربعة أنواع من الكتل الإدارية المحيطة الأربعة عشر، بعضـها يشـكلون بنايـة واحـدة وأخـرى كتلتـين متقـابلتين يشـكلون مربعـاً، وأخـرى تتقابـل بشـكل مائل ومنحرف .
- عموماً البنايات أربعة طوابق تحوي فناءات مختلفة عميقة ومنكسرة تظلل الفراغـات والواجهـات الداخليـة وتخلـق فراغـات وفضـاءات داخليـة متنوعـة ومثيرة.



الشكل (108) صورة للميدان العام لمركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]



الشكل (109) صورة للواجهات الخارجية شبه المصمتة للكتل في مركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]

- ترتبط كتلة الكونغرس بشكل معماري وبصري مع الميدان الكبير بالرواق الممتد ومع بقية الكتل الإدارية.

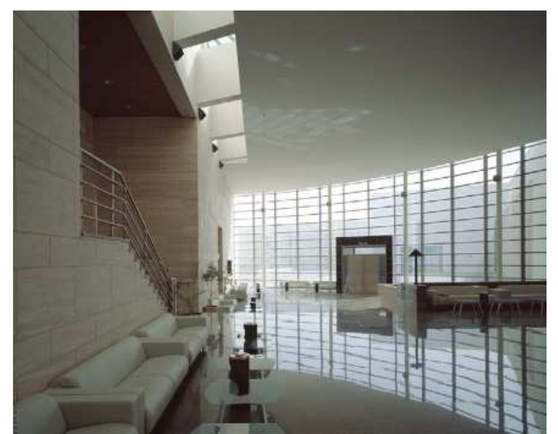
- تمت دراسة الفناءات الصغيرة والميدان العام بنفس طريقة الأفنية التقليدية من ساحات مبلطة متماثلة مع بساتين نخل طولية وزعت حولها المقاعد و النوافير مع أبواب وبوابات رمزية وإضاءة مخفية رائعة تضيء الكتل وإضاءة أقل للميدان العام.




الشكل (110) صورة للواجهات الداخلية الزجاجية للكتل في مركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]

- عولجت الكتل الأربعة عشر بنظام الأروقة المحيطة بالكتل من الخارج مع فتحات خارجية صغيرة وضيقة وجدران مصمتة تقريباً بينما امتدت الواجهات الزجاجية الكبيرة تحت الأروقة وعلى الفناءات الداخلية، في حين أحيطت الكتلة الرئيسية (الكونغرس) بجدران مضاعفة تعمل عمل الأروقة وتنفتح عليها مساحات زجاجية كبيرة، هذه الجدران الإسمنتية ذات السماكة/30/سم ترمي ظلالها على الجدران والأرض بينهما لتقلل من الحمل الحراري وتعمل عزلاً حرارياً عن الداخل.

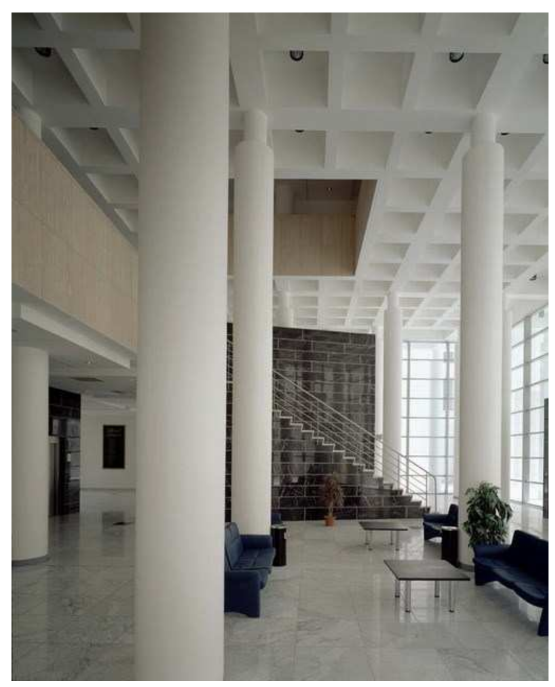






الشكل (111) صورة للواجهات الداخلية الزجاجية للكتل في مركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]

- على الرغم من أن المركز بني من الخرسانة المسلحة وتم إكساؤه بالزجاج المستورد والرخام الإيطالي الرمادي والطينة ذات اللون الفاتح والخشب الكندي وأجهزة المراقبة والكهربائية المستوردة، إلا أن استخدام هذه المواد والتقنيات لم يقلل من قيمة المركز المعمارية الأصيلة والنابعة من العمارة الموروثة، فقد ساهمت هذه الدراسة والمعالجات المناخية بالتقليل من صرف الكهرباء والطاقة بشكل كبير، وقد دل على ذلك رضا الموظفين والمستخدمين للمبنى، مع ملاحظة أن المساحات المزروعة القليلة ساعدت على زيادة مستوى الإشعاع الشمسي.



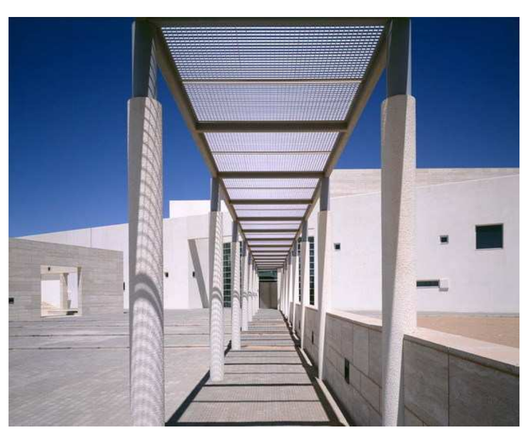






الشكل (112) صور داخلية وخارجية للكتل في مركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]




الشكل (113) صورة للأروقة والأكتاف المظللة للكتل في مركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]

- إن تكامل الموقع والرسالة الرمزية والمضمون الذي يحويه والمعالجات المناخية والبنايات شبه التكعيبية البيضاء والنوافذ القليلة الضيقة الخارجية ، والتظليل بالأروقة والبروزات والأكتاف ، بالإضافة إلى الديناميكية في تجميع الكتل ذات الهوية الجماعية القوية والتراكيب التكوينية المجتمعة قطرياً النابعة من الهندسة المعمارية المحلية الأصيلة، مع استخدام تقنيات العصر والمواد الحديثة، جعل هذا المركز نموذجاً معمارياً مهماً لحل معضلة صراع الأصالة والتجديد والمعاصرة ، والنتيجة فوز الفكر الموروث الأصيل بمواد وتقنيات حديثة وعصرية.



الشكل (114) صورة للكتل في مركز الجوفرة الإداري بليبيا ومدى ملاءمتها للموقع ، المصدر[24]



الشكل (115) صورة لإنارة الكتل في مركز الجوفرة الإداري بليبيا، المصدر[24]

نتائج تحليل الأمثلة :

بعد عرض وتحليل الأمثلة المعمارية الخمسة السابقة يمكن لنا أن نقيم مدى الاستفادة من المبادئ الفكرية المستخلصة من الدراسة، بالجدول التالي:

	فيلا العلايلي بالإسكندرية	فيلا الأنبار بالدمام	البنك التجاري الوطني بجدة	مركز العالم العربي بباريس	مركز الجوفرة الإداري بليبيا
الشكل يتبع الوظيفة	✓	✓	✓	✓	✓
الوحدة الفراغية وتكامل الفراغات	✓	✓	✓	✓	✓
التوجيه نحو الداخل	✓	✓	✓	-	✓
التحكم المناخي ومعالجة الظروف المناخية	✓	✓	✓	-	✓
البساطة العضوية في التكوين"القليل كثير"	✓	✓	✓	✓	✓
التباين والتضاد بين المسطحات المقفلة والمفتوحة	✓	✓	✓	-	✓
التنغيم في التشكيل المعماري	✓	✓	-	-	✓
الاهتمام بالتشكيلات الهندسية	✓	✓	✓	✓	✓
الاهتمام بتنسيق الموقع والحديقة والعنصر المائي	✓	✓	✓	✓	-
احترام الموقع والبيئة والتوافق مع المكان	✓	✓	✓	✓	✓
المقياس الإنساني	✓	✓	✓	✓	✓
التجديد والابتكار	✓	✓	✓	✓	✓
تفاعل الضوء والظلال	✓	✓	✓	-	✓
الحفاظ على الطاقة	✓	✓	✓	✓	✓
مواكبة تقنيات العصر	✓	✓	✓	✓	✓

الشكل (116) جدول تحليلي للأمثلة المدروسة، المصدر الباحث

إن المبادئ التقليدية لم يكن لها صفة التخريب والتأخر والرجعية حين وظفت في المشاريع الحديثة. بل بالعكس أمدت مشاريع المستقبل بالأداء الأفضل والعطاء المستمر. فاستوعبت المشاريع الحديثة (إلى حد ما) تلك المبادئ التقليدية باقتدار واستغلتها أحسن استغلال في سبيل تعزيز وظائفها ومتطلبات برامجها المعمارية الحديثة.
حتى رضي عنها المصممون والنقاد والمستخدمون لهذه المباني.

أي أن الناتج النهائي الذي وظف الفكر التقليدي كان أفضل أداءً للمجتمع وأجمل على نسيج الحي من تركة الأحياء الجديدة الأخيرة . وبمعنى آخر كان من الأولى أن نستفيد من الإمكانات في هذه المشاريع ونبنى في برامج تطويرنا على هذه المشاريع أو على الأقل الجيد مما سبق . المهم نجري محاورة علمية للتجربة العمرانية الجديدة القائمة ، وندرسها ونحللها بنقد علمي جاد كي نخرج بتقارير مستقبلية قبل أن نتجاهلها فنقع فريسة مشاكل بيئية رهيبة ليس لنا بها إلا الخسائر الفادحة الاجتماعية والاقتصادية الضخمة نتيجة غض الطرف والإهمال.. أي أن لا نبدأ من جديد بل نبدأ من حيث وقف الآخرون. وهذه فائدة عظيمة من فوائد توظيف القيم المكانية في مشاريع العصر الحاضر وهي توفير الوقت ووسيلة لجودة الإنتاج الذي يلاءم السكان ويرفع درجة الرضا بينهم. فإن هناك إمكانات متعددة وضخمة في عناصر تصميم العمارة الحديثة وخاصة إذا تمت الاستفادة من حلول ومبادئ العمارة المحلية التقليدية مؤشر ألأصالة المدخرة في هذه الحلول ، لتعزز نواحيها التصميمية لأنها بذلك تفي بمتطلبات السكان المختلفة ،سواء الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية أو غيرها ،في البرنامج المعماري المعاصر الحديث فتكسب المنتج المعماري النهائي أداءً أفضل بكفاءة عالية وجودة أعلى.

النتائج:

- إن المشهد المعماري الحالي المتردي للعمارة العربية ما هو إلا انعكاساً للواقع الاجتماعي والفكري ، وتعبيراً عن ثقافته التي تمر بحالة من التخبط والضياع.

- يفتقد الواقع المعماري العربي المعاصر إلى جيل معماري يحمل على عاتقه رسالة العمارة كثقافة بصرية واجتماعية يمكن أن تعكس مستقبل الثقافة العربية.

- إن بناء الصورة الجديدة للمشهد المعماري المعاصر لا يكون بالتخلي عن الموروث المعماري ونبذه، وإنما بالرجوع لمبادئه الفكرية المتجددة.

- إن علاج الموقف العمراني والمعماري المعاصر لا يكون باعتناق شعارات أو الاعتقاد في مبادئ أفراد أو في مذهبيات الرواد الغربيين (مع ملاحظة تضاربها و تنافر معانيها برغم مصداقية كل منها بحد ذاتها).

- الموروث المعماري في المدينة العربية مليء بالمبادئ المعمارية المنبثقة عن التوافق مع المكان والبيئة والمناخ في ظل المقياس الإنساني، التي تعتبر من الثوابت التي لا يمكن التخلي عنها للوصول إلى عمارة معاصرة ناجحة ذات هوية مميزة.

- إن الأصالة و المعاصرة ليستا متناقضتين وإن هناك منطقة تلاقي واسعة بينهما تتمثل في الابتكار والفكر الحديث ضمن إطار المحافظة على شخصيتها العربية المحلية المنبثقة عن القيم والمبادئ الفكرية للمجتمع.

- ضرورة تغيير النظرة إلى العمارة التراثية من أنها عمارة مفردات وعناصر معمارية إلى كونها عمارة فكرية تنطوي على كثير من القيم والمفاهيم الفكرية التي يمكن من حلالها تحقيق عمارة معاصرة تناسب احتياجاتنا البيئية والاجتماعية والاقتصادية، لا أن نستعير مفرداته وأشكاله الهندسية المجردة وزجها في العمارة المعاصرة.

- إن العمارة العربية الموروثة عبارة عن فلسفة ذات ثلاثة أبعاد فهي وظيفية بالدرجة الأولى، ومتجاوبة مع الظروف البيئية والمناخية، وهي بالنهاية عمارة متجددة ومتطورة.

- الموروث المعماري هو مجموعة من المبادئ الفكرية الثابتة والمتجددة، والتي يجب أن نستفيد منها في ظل التقنيات المتطورة والمتغيرة.

- الإسلام كدين لا يعارض الاستفادة من التقنيات ومواد البناء الجديدة والأشكال الناتجة عنها ويعتبرها من المتغيرات، ولكن ضمن احترام الإنسان ومعتقداته وعاداته الاجتماعية والتي تعتبر من الثوابت.

- المبادئ الفكرية الموروثة يمكن الاستفادة منها في ظل المستجدات الاقتصادية والتقدم التكنولوجي وإدخالها في مناهج التعليم المعماري مع تطويع قوانين البناء الحالية لتخدم هذه المبادئ.

- من خلال تجارب الغرب وكيفية تعاملهم مع التراث، يتضح لنا أن العودة للتراث والاستفادة من مبادئه الفكرية، لا يعني أننا أمة متخلفة وتعيش على أمجاد الماضي، بل يجب علينا العودة له وعدم التخلي عن مبادئه.

- إن ارتفاع البناء ليس عائقاً يحول دون استخدام الفناء وإنما يمكن من خلال إبداع الفكر في إيجاد حلول غير تقليدية لإعادة توظيف الفناء في المنظومة العمرانية.

- إن النماذج والأمثلة المعمارية المدروسة هي معالم معمارية ناجحة و منارات معمارية هامة فازت بالعديد من الجوائز، وتحث المعماريين على الابتكار والعودة إلى الفكر المعماري الموروث وتحرض المعماريين الجدد على سلوك هذا المنحى.

- الاستفادة من الفكر المعماري الموروث ممكن، ويقودنا إلى عمارة عربية معاصرة وأصيلة تلاءم الزمان والمكان اللذان بنيا فيه.

التوصيات:

- عدم التقليد الأعمى للعمارة الوافدة من الغرب والتي انتشرت في العالم وكأنها قوانين ثابتة تصلح لكل زمان ومكان.

- التأكيد على أصالة التراث العمراني والمعماري العربي و الاعتقاد في مداخله الثابتة و منطلقاته الراسخة المرتكزة على أسس حضارة الإنسان العربي و قيم وجوده.

- مراعاة الأشكال و المواد التي تناسب البيئة و الوضع السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي في عالمنا العربي .

- دعوة نحو الأصالة و محاولة التحرر من عبث المؤثرات الغربية و ذلك اعتماداً علي الفهم الصحيح لعناصر و وحدات العمارة التقليدية و تحليلها هندسياً و ليس مجرد مسح أو تنقيب أثري .

- ضرورة توعية الأجيال القادمة بأننا نملك تراثاً عمرانياً حقيقياً غنياً يبعدنا عن الوجبات المعمارية السريعة المجهولة التكوين و التشكيل.

- دراسة فكر و تصاميم رواد العمارة العربية المعاصرة و تحليلها تحليلاً علمياً سليماً بعيداً عن التشنج و العصبية، والاستفادة منها دون الانبهار بها حتى لا يؤدي ذلك إلى تقليدها.

- عدم إغفال استخدام التكنولوجيا المعاصرة في الوصول إلى صيغ معمارية جديدة لمبادئ الفكر المعماري ومفرداته وخصوصاً بعد ما ثبت أنه يمكن تحقيق ذلك من خلال الأمثلة التي تم عرضها.

- تفعيل دور الجوائز المعمارية العربية الأصيلة التي تحث على إبراز التراث المعماري وفكره وأصالته في العمارة المعاصرة، والتأكيد على ملائمة التصميم للظروف الاجتماعية للمنطقة العربية بطريقة معاصرة وتقنية مبتكرة.

- التأكيد على واجبات الجهات الحكومية في الحفاظ علي الأصالة و الحداثة بالمباني الحكومية المعاصرة و معالجة آثار الفوران الاقتصادي و الصناعي خلال فترة التحولات السريعة التي تمت في البلاد العربية على استيراد الفكر و الشكل المعماري الغريب عن تراثنا و عاداتنا بدافع النهضة.

- إعادة النظر في القوانين والتشريعات الجامدة التي تؤدي إلى وقوف الفكر المعماري عند حدود ضوابط القانون من وجائب وبروزات ونسب للبناء ونسب للفراغات لا تعطي قيمة تشكيلية ومعمارية للمبنى وللتكوين العمراني ككل، ولا تساعد المعماري في توظيفه للمبادئ الفكرية الموروثة.

- إعادة النظر في مناهج التعليم المعماري بحيث يتمكن الطالب من تطبيق التراث من خلال مشروعات تعليمية ليكتسب القدرة على تطبيق هذا الفكر في الواقع العملي بعد التخرج. كما يجب الإسراع باستكمال الدراسات المنهجية الأكاديمية لتصنيف الثوابت التراثية وتحليلها تحليلاً مقارناً وردها إلى أسبابها وتطوير الأصيل منها لتوظيفه في عمارتنا المعاصرة في إطار واقعنا البيئي والاجتماعي.

- واجب المعماري في العالم العربي ، السعي لبناء عمارة خاصة يعتمد في إستراتيجيته خلق البيئة الصالحة لحياة الإنسان العربي معتمداً في ذلك على المعطيات الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والبعد كل البعد عن التقليد الأعمى، والتبعية العلمية التي تبعد العمارة عن الواقع المعايش ، والأصالة المرتبطة بهذا الواقع ، وبالتالي الخروج بالعالم العربي من دور التبعية والتقليد ، لدور الخلق والإبداع.

- بالنسبة للمباني السكنية فإن المساكن تتولد من احتياجات وتطلعات الناس في مجتمع معين فإذا كان لا بد من إنشاء مساكن باستعمال نظم ومواد حديثة للبناء، فالمهم هو إيجاد مساكن تتناسب مع الاحتياجات المعيشية . كما يجب محاولة الإقلال من الأدوار السكنية إلى الحد الذي يضمن التوازن بين الكثافة السكانية ومتطلبات الخصوصية، والوقاية من الأمراض النفسية التي تنتج عن ارتفاع الأدوار السكنية.

- بالنسبة إلى المباني العامة فيجب الأخذ في الاعتبار العامل الاقتصادي في تصميم المباني العامة، مع استخدام تكنولوجيا متوافقة تتناسب مع طرق ومواد الإنشاء المحلية وفى حدود الإمكانيات الاقتصادية للمجتمع، بحيث يقل حجم الاستيراد من الخارج. مع الإقلال من المغالاة في التصميم المعماري والموازنة بين الإمكانيات وبين الإسراف والتقتير في البناء. مع ضرورة عدم الإسراف في استخدام المسطحات الزجاجية الضخمة والتي تؤدى إلى زيادة الأحمال الحرارية على المبنى، مع الاعتماد بصورة رئيسية في تصميم المبنى على استخدام الإضاءة والتهوية الطبيعيتين والذي يؤدى بدوره إلى خفض تكلفة تشغيل المبنى.

- على المعماري المعاصر أن يعيش الماضي والحاضر و المستقبل في تصميماته وابتكاراته وإبداعاته لأنها تمثل دون أدنى شك عمارته و عمرانه وهوية بلده العمرانية.

خاتمة:

إن ربط العمارة بالمجتمع والبيئة يساعد على إيجاد الصيغة الحضارية للعمارة والتي ترتبط فيها الأصالة بالمعاصرة، والبحث عن تطور جديد يسعى إلى جعل العمارة من الخارج عاكسةً للمنظور الحضاري للمجتمع، ومن الداخل عاكسةً للمنظور الحضاري للفرد. فلا بد لنا من الاستفادة من الفكر الموروث دون إغفال التجديد والابتكار ومواكبة العصر، أي فكر كونياً وابن محلياً.

يجب أن يكون المعماري العربي عصرياً في قلبه وفكره غير منعزل عن جذوره التاريخية ، فالبحث عن صورة معاصرة للعمارة العربية هو نوع من تسجيل وجودنا الحضاري بين حلقات التاريخ المتتابعة لنشكل حلقة أخرى غير متطابقة مع الماضي ولكنها امتداد له.

المراجع :

[1]- عباده ، جلال، 16- 20 ابريل 2006 منتدى جده الدولي للعمران "التحضر والاستدامة في عالم متغير.

[2]- مجلة البناء الأعداد 118، 162.

[3]- الجادرجى، رفعت 1995، حوار في بنيوية الفن والعمارة، لندن.

[4]- سراج الدين، إسماعيل 1991، التجديد والتأصيل في عمارة المجتمعات الإسلامية، جنيف.

[5]- الحداثة والتراث ـــ محمد قجة – سورية، مجلة الموقف الأدبي - اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد 414 تشرين الأول2005 .

[6]- النعيم، مشاري وآخرون (2005، 2006) العمارة العربية المعاصرة، مجلة البناء للشئون العمرانية، العدد رقم 183، 184.

[7]- الموسوي هاشم عبود، عامر أحمد علي، أبو بكر حمزة محمد، تجارب عالمية في تقييم مصادر التراث المعماري وتحديد القيم المرتبطة بها.

[8]- الهذلول ، صالح بن علي ، المدينة العربية الإسلامية ، أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية ، نهال للتصميم والطباعة ، الرياض ، 1414 هـ .

[9]- الطاشكندي ، فرحات خورشيد، التراث والمعاصرة ، المحافظة على التراث العمراني في منطقة الخليج ، قطر ، 1994م .

[10]- الطاشكندي، فرحات خورشيد، التراث بين القطيعة والاستمرارية ، الرياض، 1997م .

[11]- الإكيابي، محمود عبد الهادي ، حسن نوبي محمد، القيم والمفاهيم التصميمية للعمارة التراثية (دراسة حول إمكانية التطبيق في المناطق الصحراوية الجديدة).

[12]- العمارة الإسلامية فكر وحضارة (الدكتور المهندس توفيق عبد الجواد).

[13]- مقالات الدكتور وليد احمد السيد – جامعة لندن، walid_sayed1@hotmail.com.

[14]- مسوح، عماد، رسالة ماجستير ، جامعة البعث، "الاتجاهات الحديثة لإحياء الأبنية السكنية في نوى المدن العربية التقليدية – دراسة شريحة في مدينة حمص القديمة".

[15]- يوسف، وائل حسين، و يوسف، ممدوح علي، أنواع الأفنية في العمارة العربية ومدى مواكبتها للمتطلبات البشرية، جامعة أسيوط، 2001.

[16]- التصميم المعماري الصديق للبيئة نحو عمارة خضراء، الدكتور المهندس يحيى وزيري، عربية للطباعة والنشر، القاهرة 2002.

[17] Ragette, Fredrick, Traditional domestic of the Arab region, Axel Menges 2003

[18] www.acad.itgo.com

[19] www.almohandes.com

[20] www.zag-arch.com

[21] www.syriators.com

[22] www.al-hakawati.com

[23] www.egyptarch.com

[24] www.archnet.org

[25] www.me3mary.com

[26] www.notcut.org

[27] www.arab-eng.org

[28] www.look4design.co.uk

[29] www.egyptsons.com

ملخص البحث

في ظل العولمة واجتياح النماذج المعمارية الغربية والغريبة عن مجتمعنا وثقافتنا وهويتنا الخاصة ، كان لابد لنا (نحن كمعماريين مسئولين و معنيين بشكل مباشر بالابتعاد عن العمارة المحلية الأصيلة التي تذخر بها مدننا العربية) الوقوف في وجه هذه النماذج المستوردة والعودة لما يحمله تراثنا المعماري من مضامين ومفاهيم فكرية ميزته عن باقي الحضارات ، فهو فكر متجدد ومرن ويتضمن ملامح مستديمة .

يتضمن المحور الأول القيم والمفاهيم الفكرية المستنبطة من العمارة التراثية المحلية وأهم هذه المبادئ المتجددة .

في المحور الثاني تم تحديد المشكلات والمستجدات المعاصرة التي يمكن أن تعيق تطبيق المبادئ الفكرية التراثية المحلية في عمارتنا المعاصرة .

أما المحور الثالث فيتضمن دراسة تحليلية لبعض الأمثلة العربية المعاصرة التي حاولت تطبيق المبادئ والقيم الفكرية للعمارة التراثية .

The summary of research:

Due to the globalization and spreading the Western designs which are odd to our society, to our culture and to our specific identity. We (as architects are directly responsible and concerned in keeping away the local and original architecture that is much available in our Arab cities) had to face these imported designs and get back for our traditional architecture's content which has intellectual concepts identified it from other civilizations. It is renewed and flexible intellection contains permanent features.

The first chapter includes concepts and values invented of local traditional architecture and the most important of these renewed principles.

In the second chapter we limited the troubles and the contemporary achievements, that could restrain applying the local traditional and intellectual principles in our contemporary architecture.

The third chapter contains an analytical study for some contemporary Arab examples that tried to apply Values and the intellectual concepts of traditional architecture.

AL BAATH UNIVERCITY
Faculty of Architecture
Dep. OF Architectural Design

The intellectual trend for the investment of architectural heritage in contemporary Arab architecture

A thesis submitted for Master Degree in Architectural Design

Submitted by

Eng. MOHANNAD AL-BAKEER

Directors of study

Prof. Dr. Moutaz Abbara
Faculty of Architecture
AL BAATH UNIVERCITY

Prof. Dr. Ahed Khezam
Faculty of Architecture
AL BAATH UNIVERCITY

2010